دحلان: عباس مسؤول عن الانقسام الفلسطيني

ص7

السينما العربية تكافح للبقاء في عصر سينمائي رقمي

ص13

عبدالرحيم مراد

عرّاب «سنّة حزب الله» الذي لا يقبّل يده أحد

ص8

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2018/12/23

15 ربيع الثاني 1440

السنة 41 العدد 11208

Sunday 23/12/2018

41st Year, Issue 11208

البشير في عين العاصفة: من انتفاضة خبز إلى دعوات لإسقاط النظام

❑ **الخرطوم** – توسعت دائرة الاحتجاجات في السودان، وخرجت من بعدها المطلبي المباشر، وأصبحت بمضامين سياسية تطالب بإسقاط نظام الرئيس عمر البشير، خاصة بعد أن انضمت إليها المعارضة.

وأعلن تحالف المعارضة السودانية، الذي يضم عددا من الأحزاب، منها "الشيوعي" و"البعث العربي"، أن قوات الأمن اعتقلت في الخرطوم 14 من قياداته، على رأسهم فاروق أبوعيسى.

وقال زعيم حزب الأمة المعارض في السودان الصادق المهدي في مؤتمر صحافي، السبت، "في السودان نحن نقول الشعب يريد نظاما جديدا".

وأعلن المهدي عن سقوط 22 قتيلا جراء الاحتجاجات المتصاعدة، حاثا على تقديم مذكرة للحكومة تحتوي مشروع نظام بديل للحكم الحالي.

ولم تجد السلطات سوى اللجوء إلى نشر قوات الأمن والجيش حول المناطق الحيوية، خاصة مراكز السيادة لمنع اقتحامها من المتظاهرين الغاضبين.

وقال مساعد الرئيس السوداني فيصل حسن إبراهيم، السبت، إن الرئيس عمر البشير عقد، الجمعة، اجتماعا ضم نائبيه ومدير جهاز الأمن ووزير شؤون الرئاسة ووزيري الدفاع والداخلية ورئيس البرلمان، لبحث أزمة الاحتجاجات في البلاد.

وأضاف "تقرر خلال الاجتماع حراسة المنشآت الحيوية بواسطة الجيش السوداني، واستمرار تعليق الدراسة في كل مستوياتها، لأن الذين بدأوا التخطيط للاحتجاجات يستهدفون إحداث خسائر كبيرة وسط الطلاب وصغار السن".

والجمعة، أعلن وزير التعليم العالي الصادق الهادي المهدي، تعليق الدراسة في مؤسسات التعليم العالي الحكومية والخاصة بالخرطوم.

وتباطأت خدمات الإنترنت واتهم نشطاء الحكومة بإغلاق مواقع التواصل الاجتماعي لمنع المحتجين من التواصل. وحملت السلطات من وصفتهم بـ"المندسين" مسؤولية الاحتجاجات.

وتقول أوساط سودانية إن الاحتجاجات القوية والتي بدأت رقعتها تتسع يوما بعد آخر، لا يمكن أن تجارى بالوعود كالسابق، مشيرة إلى أن رهان البشير على الخارج لن يحل مشكلات هيكلية عميقة يعيشها السودان منذ ثلاثين عاما من حكم الإنقاذ الإسلامي.

وفي محاولة لامتصاص الغضب والظهور بمظهر الباحث عن "حلول سريعة"، اتصل البشير بأمير قطر الشيخ تميم بن حمد آل ثاني وتلقى وعودا بتقديم "الدعم المطلوب"، وفق ما جاء في بيان للرئاسة السودانية. وقال البيان إن البشير "طمأن الشيخ تميم على هدوء الأوضاع وسعي القيادة وحكومة الوفاق الوطني إلى معالجة أسباب الأزمة".

رؤية ضبابية

والجمعة، اتسعت دائرة الاحتجاجات المندّدة بالأوضاع الاقتصادية المتردية وغلاء الأسعار، في مدينتي ربك (مركز ولاية النيل الأبيض)، والأبيض (مركز ولاية شمال كردفان)، جنوب العاصمة الخرطوم، وعطبرة (ولاية نهر النيل/ شمال).

تحذيرات من التفاف حوثي على التهدئة في الحديدة

صالح البيضاني

❑ **عدن** – يسيطر تفاؤل حذر بشأن الالتزام باتفاق وقف إطلاق النار في اليمن وسط تخوف من التفاف جماعة الحوثي على التهدئة، بإظهار التزامها بالقرار الأممي الجديد على مستوى التصريحات وخرقه على الأرض.

وأكد التحالف العربي لدعم الشرعية في اليمن، السبت، أن الميليشيات الحوثية تواصل خروقاتها لاتفاق وقف إطلاق النار بالحديدة وأن عدد الخروقات قد بلغ 14 خلال الـ24 ساعة الماضية، وأنه شمل كافة أنواع الأسلحة كالصواريخ الباليستية وقذائف الهاون والآر.بي.جي وصواريخ الكاتيوشا.

ويتزامن هذا مع زيارة الجنرال الهولندي باتريك كاميرت، رئيس فريق المراقبين الدوليين، السبت، إلى العاصمة اليمنية المؤقتة عدن، حيث عقد أول لقاءاته المباشرة مع قيادات في الحكومة وفريق إعادة الانتشار العسكري التابع للشرعية، إضافة إلى قيادة السلطة المحلية في محافظة الحديدة.

وقالت مصادر سياسية لـ"العرب" إن كاميرت استهل مهمته الأممية في اليمن، بزيارة عدن التزاما بالبروتوكولات الأممية التي تلزمه بأن يبدأ مناقشة الترتيبات مع الطرف الحكومي.

وتوجه كاميرت بعد ساعات قصيرة قضاها في عدن إلى صنعاء، حيث أجرى لقاءات مشابهة مع الانقلابيين، قبيل التوجه إلى الحديدة برفقة عدد من الضباط والآليات التابعة للأمم المتحدة التي وصلت إلى مطار صنعاء قبل أيام.

وتزامن وصول فريق المراقبين الدوليين إلى اليمن مع صدور القرار البريطاني الخاص باليمن في مجلس الأمن الدولي، بعد استيعابه لملاحظات المجموعة العربية والولايات المتحدة وروسيا في انعكاس لحالة التوافق الدولي الهشة حول الملف اليمني.

ومرّ المشروع البريطاني بعدد من مراحل النقاش والتعديل قبل التصويت عليه بالإجماع في مجلس الأمن، الجمعة، حيث ساهمت المقترحات الأميركية في جعله أكثر تقبلا من المجموعة العربية، بعد التأكيد في نص القرار على المرجعيات الثلاث للحل التي ترتكز عليها رؤية الحكومة اليمنية للتسوية السياسية.

ودعا القرار الأطراف لتنفيذ اتفاق ستوكهولم وفقا للجداول الزمنية المحددة فيه، والاحترام الكامل لوقف إطلاق النار في محافظة الحديدة، الذي دخل حيز النفاذ في 18 ديسمبر 2018، وإعادة الانتشار المتبادل للقوات في مدينة الحديدة وموانئ الحديدة والصليف ورأس عيسى إلى مواقع متفق عليها خارج المدينة والموانئ خلال 21 يوما من سريان مفعول وقف إطلاق النار، والالتزام بعدم جلب أي تعزيزات عسكرية إلى المدينة والموانئ وإزالة المظاهر العسكرية.

ورحبت الحكومة اليمنية بالقرار الأممي 2451 فور صدوره، وقالت في بيان نشرته وكالة الأنباء اليمنية الرسمية سبأ إن القرار يجدد تأكيد المجتمع الدولي على وحدة وسيادة اليمن وسلامة أراضيه، وضرورة التوصل إلى حل سياسي شامل استنادا إلى المرجعيات الثلاث.

كما رحب البيان الحكومي اليمني "بالدعوة إلى الالتزام باتفاق ستوكهولم وفقا للجداول الزمنية المحددة له بما في ذلك انسحاب ميليشيا الحوثيين من مدينة الحديدة وموانئ الحديدة والصليف ورأس عيسى وتنفيذ آلية اتفاق تبادل الأسرى وما ورد في إعلان تفاهمات مدينة تعز".

واعتبر وزير الإعلام في الحكومة اليمنية معمر الإرياني القرار الصادر عن مجلس الأمن 2451 بأنه قطع الطريق أمام مساعي الحوثيين للالتفاف على اتفاق السويد.

وقال الإرياني في تغريدة على تويتر إن القرار "جدد التأكيد على المرجعيات الثلاث لحل الأزمة اليمنية، والضغط على الميليشيا الحوثية لتنفيذ اتفاق ستوكهولم عبر الوقف الفوري لإطلاق النار وتسليم مدينة وموانئ الحديدة للسلطة المحلية المعينة من الحكومة الشرعية".

رحّب المتمرّدون الحوثيون بقرار إرسال مراقبين مدنيين إلى مدينة الحديدة الساحلية، معتبرين ذلك "خطوة مهمّة".

وتشكك الحكومة اليمنية في نوايا الحوثيين التي ترى أن تحركاتهم على الأرض منذ توقيع اتفاقات السويد لا تشير إلى اعتزامهم الانسحاب من الحديدة.

وتوقع مراقبون أن يواجه فريق المراقبين الكثير من العوائق على الأرض، في ظل حالة عدم الثقة التي تسود بين الفرقاء اليمنيين، وتباين التفسيرات حول مخرجات ستوكهولم التي ستسعى الأمم المتحدة لتقديم تفسيرها الخاص حيالها في الأيام القادمة، وهو ما قد يخل بالجدول الزمني للتنفيذ ويخلق جولات جديدة من الصراعات.

وتتمحور مهمة فريق المراقبين الدوليين حول تثبيت وقف إطلاق النار ومراقبة آلية تنفيذ إعادة الانتشار والتزام الطرفين بها، إضافة إلى فتح المنافذ البرية والبحرية في الحديدة أمام المساعدات الإنسانية.

حرب أهلية داخل واشنطن بوست: أصابع قطرية كتبت مقالات خاشقجي

● مسؤولو صفحات الرأي لم يعلموا بضعف قدرات خاشقجي باللغة الإنكليزية ● موظفة بمؤسسة قطرية تراجع المقالات قبل أن ترسل للصحيفة

❑ **واشنطن** – تثير حقائق جديدة عن علاقة الصحافي السعودي الراحل جمال خاشقجي بقطر، ووقوفها وراء ما ينشر من أفكار تحت الطلب، ضجة كبيرة بين محرري صحيفة واشنطن بوست التي كانت تنشر آراءه.

وتوصلت الصحيفة في تقرير لها عن خاشقجي نشرته، الجمعة، إلى أن الصحافي، الذي أثار مقتله ضجة كبرى، كان يرتبط بمؤسسة قطرية موجودة في الولايات المتحدة، وهو ما قد يفسر إلى حد كبير نوعية الآراء التي كان يكتبها ضد السعودية وينحاز فيها لجماعة الإخوان المسلمين وتركيا، ويبدو فيها أقرب إلى قطر من مواقف بلاده، خاصة في الأزمة الخليجية.

وكشفت من خلال رسائل نصية بين خاشقجي ومديرة تنفيذية في مؤسسة قطر الدولية، اسمها ماغي ميشال سالم، أن الأخيرة كانت تراجع وأحيانا تكتب المقالات التي يفترض أن يعدها جمال بنفسه للنشر.

وزعمت سالم أنها كانت تقدم مساعدة لخاشقجي كصديق ليس أكثر، خاصة أن قدراته في اللغة الإنكليزية محدودة، وأن المؤسسة التي تتولى فيها مهمة مدير تنفيذي لم تدفع للصحافي السعودي الراحل مالا كما أنها لم تؤثر عليه.

وبدا التفسير الذي قدمته مسؤولة الشركة القطرية مثيرا للسخرية، خاصة أن خاشقجي لم يكن ليغامر بإقامة علاقة مع دائرة قطرية، وهو يعلم بالتوتر بين الرياض والدوحة، وأنه يمكن أن يكون محل مراقبة من مخابرات بلاده، لو لم يكن واعيا بأنه يخدم أجندة قطر ويتحمل مسؤولية المجازفة بذلك.

وفجر التقرير مفاجأة أخرى حين أورد أنه في الفترة التي كان خاشقجي يكتب فيها مقالاته في واشنطن بوست مهاجما الرياض وخيارات ولي العهد السعودي الأمير محمد بن سلمان الإصلاحية، طلب مليوني دولار تمويلا من وزارة الإعلام السعودية لإنشاء مركز دراسات.

وأثارت هذه الحقائق حربا داخلية في الصحيفة، وفيما نأى محررو الأخبار بأنفسهم عن هذه الفضيحة، تمسك مسؤولو صفحات الرأي بأنهم لم يكونوا على علم بذلك وإلا لما سمحوا له بالكتابة.

ومن شأن هذا الكشف أن يدفع المحللين إلى مراجعة أسباب الحملة الإعلامية الكبيرة التي قادتها وسائل إعلام قطر على السعودية بعد مقتل خاشقجي. وتبدو قطر بهذا تدافع عن عميل لها، وتكون حملتها على الرياض أبعد من أن تكون دفاعا عن حرية الصحافة.

ولم يكن خاشقجي طوال تجربته مع واشنطن بوست بمنأى عن أجندة قطر وتركيا وجماعة الإخوان المسلمين.

ويشير تقرير واشنطن بوست المثير للجدل إلى أن أشخاصا من بين أصدقاء خاشقجي في الولايات المتحدة ينتمون إلى جماعة الإخوان أو متعاطفون معها.

وكانت لخاشقجي علاقات بفاعلين في مركز العلاقات الأميركية الإسلامية الذي لم يكن يخفي دعمه لثورات "الربيع العربي" التي ركب موجتها الإسلاميون قبل أن ترتد عليهم. كما كان يقيم علاقات مع كبار المسؤولين في الحكومة التركية، التي كانت علاقتها فاترة مع السعودية.

ولم يكن انتماء خاشقجي إلى الجماعات الإسلامية المتشددة مثار شك. ويقول موقع "ديلي ووتش" المتخصص في مراقبة أنشطة الإخوان عالميا إن حيثيات الأدلة تشير إلى أن جمال خاشقجي لم يكن فقط عضوا بارزا في جماعة الإخوان المسلمين وقريبا من شبكة الإخوان المسلمين العالمية، بل كان في الواقع يدعم بشكل نشط المشاريع المرتبطة بجماعة الإخوان المسلمين.

ما مفاجأة ترامب المقبلة...

خيرالله خيرالله

» ص5

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

رئيس الحكومة التونسية يعد بانفراج الأوضاع الاقتصادية

الشاهد يغازل العائلة الدستورية ويؤكد أنه ليس أداة بيد حركة النهضة

تباينت ردود الفعل حول تصريحات رئيس الحكومة يوسف الشاهد الأخيرة بين من رأى أن الشاهد الذي صارح الرأي العام بصعوبة الأوضاع الاقتصادية يتحرّك بجدية لمعالجة الأزمة الأمر الذي يعد بانفراج الأوضاع الاقتصادية في العام الجديد، فيما أشار آخرون إلى أنه لم يقدم إجابات واضحة عن الأزمة السياسية أو مشروعه السياسي الجديد، مكتفيا بنفي التوتر مع رئيس الجمهورية الباجي قائد السبسي.

الشاهد يدافع عن حكومته

❑ **تونس** – وجّه رئيس الحكومة التونسية يوسف الشاهد رسائل طمأنة للتونسيين، مؤكدا أن الوضع الاجتماعي والاقتصادي والأمني سيسترد عافيته في البلاد مع بداية عام 2019، رغم ما يسود المناخ العام من حالة احتقان ودعوات للتظاهر وإضرابات نقابية.

وأوضح الشاهد مساء الجمعة، في حوار مع قناة تلفزيونية خاصة، أن "الوضع المالي سيشهد تحسنا في آفاق 2020، وأن حكومته منكبّة على تقليص عجز الميزانية (من 4.9 بالمئة إلى 3.9 بالمئة في 2019) ورفع نسبة النمو (من 2.6 إلى 3.1 بالمئة في 2019)"، لافتا إلى أن قانون الموازنة للعام المقبل لم يتضمن أي جباية إضافية على المواطن.

وقلّل سياسيون ومحللون في تصريحات لـ"العرب" من تفاؤل رئيس الحكومة، واصفين الأوضاع بالصعبة، وأنها محاولة للجم الأصوات المعارضة.

وقال أحمد نجيب الشابي السياسي البارز لـ"العرب"، إن "ما قاله الشاهد كان مخيّبا للآمال وكل أقواله مجرد وعود، ففي المستوى الاجتماعي لم يبعث برسائل مطمئنة باتجاه التسوية مع اتحاد الشغل، بل خاض معركة مجانية مع رئيس الدولة وابنه المدير التنفيذي لحركة حزب النداء."

> الشاهد يريد أن يسترد ثقة العائلة الدستورية به حيث وجه رسالة قوية إلى التيار الدستوري بتأكيد انتمائه إليه، وهي خطوة يطمح من خلالها إلى كسب دعم الدستوريين في حال ترشحه للانتخابات القادمة

وأضاف "تونس تعيش حالة احتقان اجتماعي وحالة من التعطل الاقتصادي الكبير والأزمة السياسية في تعسّر مستمر، كان من المفروض أن يفتح رئيس الحكومة بكلمته البارحة ولو نافذة للأمل وهو لم يفعل ذلك"، وتساءل "لماذا يشعر بالحاجة إلى الحديث مع الشعب وهو لا يملك ما يقول؟".

وتعيش الحكومة التونسية ضغوطا غير مسبوقة بسبب تحركات اجتماعية في العديد من القطاعات للمطالبة بالزيادة في الأجور وتحسين الأوضاع المعيشية التي يدعمها اتحاد الشغل (أكبر منظمة نقابية في البلاد).

وأعلن اتحاد الشغل شنّه إضرابا وطنيا عاما في 17 يناير المقبل يشمل موظفي وشركات الدولة سعيا للضغط على الحكومة لرفع الأجور. وفي معرض تعليقه على الإضراب، شدّد الشاهد على أنه "حق دستوري.. لكن غلاء الأسعار يمس كل الطبقات المعوزة والعاطلين عن العمل، وأن الزيادة تتطلب المزيد من العمل والإنتاج". ودافع الشاهد عن حكومته مشيرا إلى التركة الثقيلة لـ8 سنوات بعد ثورة يناير ومخلفات الانتقال الديمقراطي الصعب التي تعيشه تونس وما فرضه من تحديات داخلية وخارجية. ولم يقدم الشاهد توضيحا كافيا في ما يتعلق بالأزمة السياسية، مكتفيا بنفيه التوتر مع رئيس البلاد الباجي قائد السبسي.

وقال "علاقتي لم تتوتر مع رئيس الجمهورية (..) تغيرت فقط". وأشار إلى أن السبسي "لعب دورا هاما في الانتقال الديمقراطي، وأحدث توازنا سياسيا في البلاد".

وجدّد التأكيد على أن "نجل رئيس الجمهورية، المدير التنفيذي لحزب نداء تونس (الحاكم)، حافظ قائد السبسي، دمّر الحزب، ويريد التصرف في الدولة كأنها ملك خاص، وأنا أرفض هذا العبث". وعن إمكانية ترشحه للانتخابات الرئاسية قال الشاهد إن الأمر "لا يغريه، ولا يفكر به حاليا".

وأشار متابعون إلى أن الشاهد، الذي تكمن من تجاوز الأزمة السياسية التي كانت تهدد مصيره على رأس الحكومة بعد أن توجه إلى البرلمان ومنحه الثقة في فريقه الحكومي الجديد، لم يكشف عن مشروعه السياسي البديل عن حزب النداء.

وعلق أحمد نجيب الشابي بقوله "الشاهد لم يحسم أمره في ما يتعلق بمستقبله السياسي سواء من جهة الترشح للاستحقاقات الانتخابية القادمة أو من جهة نواياه لتأسيس حركة جديدة."

لكن أنيس معزون القيادي في حزب نداء تونس كان له رأي آخر، حيث اعتبر في تصريح لـ"العرب" أن "حوار الشاهد كان شاملا وجاء على أهم المستجدات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، حيث صارح الشعب بحقيقة الأوضاع الصعبة التي تعيشها البلاد".

وقال معزون "الشاهد ابتعد عن الشعبوية وتكلم بلغة جديدة وبدا مدركا لحجم التحديات وهو يحاول أن يتحرك حسب تخطيط محكم لإنقاذ البلاد من الأزمة الاقتصادية."

وبخصوص علاقة الشاهد بحزب نداء تونس، رأى معزون أنه كان واضحا وأكد أن العلاقة بينهما انتهت وأن النداء بالقيادة الحالية لم يعد من ضمن حسابات الشاهد بل طوى صفحته وصار من الماضي.

ويعتقد مراقبون أن المعركة التي خاضها الشاهد ونجاحه في أن يقلب موازين القوة لصالحه في البرلمان بدعم من حركة النهضة صاحبة الأغلبية دفاعا عن منصبه، يؤكدان طموحه السياسي، لكنه فضل مؤخرا الحديث عن الملف الاقتصادي الذي يؤرق التونسيين لامتصاص الغضب الشعبي تجنبا لتحركات اجتماعية مرتقبة وسعيا لاسترجاع الثقة في عمل الحكومة.

وشرح منذر ثابت المحلل السياسي لـ"العرب" دوافع تجنب الشاهد الخوض في مستقبله السياسي والرسائل التي أراد أن يوجهها للطيف السياسي والشعبي.

وقال ثابت "الشاهد لم يعلن نيته الترشح للاستحقاق الانتخابي 2019 ولم يحدد موقفا واضحا ولم يطرح أي مشروع بديل عن نداء تونس. لقد اكتفى بنقده لحافظ السبسي وحزب النداء وهذا يترك موقع الشاهد ضبابيا، على الرغم من أنه دافع على نفسه بأنه ليس أداة تحركها حركة النهضة لكن عمليا حاول المغالطة، فسياسيا وبرلمانيا هو مدعوم من الحركة وبفضل النهضة هو مستمر في موقعه."

ويقول مراقبون إن حسابات 2019 تبرر دعم النهضة للشاهد، حيث اختارت الاصطفاف مع طرف قوي تصعب إزاحته من الحكم كما يحظى داخليا بحزام سياسي ودوليا يتمتع بثقة المانحين الدوليين. ويعتقد هؤلاء أن تقارب الشاهد مع النهضة كان سببا في الشرخ الحاصل بعلاقته مع رئيس البلاد وحزب النداء.

وأشار ثابت إلى أن "الشاهد أقر ضمنيا بتوتر العلاقة مع الرئيس لكنه نبّه من اختلال التوازن السياسي". ورأى أن الشاهد أراد أن يسترد ثقة العائلة الدستورية حيث وجه رسالة قوية إلى التيار الدستوري بتأكيد انتمائه له وبالحديث عن الإرث الدستوري للبلاد، وهي خطوة يطمح من خلالها الشاهد إلى كسب دعم الدستوريين في حال ترشحه للانتخابات القادمة. وتابع "هي محاولة لاستدراج التيار الدستوري والتموقع كخليفة لإرث الحزب الدستوري الديمقراطي، إذ قدم الشاهد نفسه على أنه البديل والوريث الشرعي لهذه العائلة".

أما على المستوى الاقتصادي، فيستنتج منذر ثابت أن رئيس الحكومة رغم أنه لم يقدم بدائل واضحة، إلا أنه ركز على مسألة التحكم بالسوق حتى يواجه الضغوط الاجتماعية عبر ضمان استقرار الأسعار، وفي حال نجح في ذلك سينعكس إيجابا على حظوظه في حال ترشحه للانتخابات.

توقف الاحتجاجات العمالية في أكبر مصنع للحديد بالجزائر

❑ **الجزائر** – أعلن مصدر نقابي جزائري السبت، عن عودة الإنتاج إلى أكبر وأقدم مصنع للحديد والصلب في البلاد بعد احتجاجات عمالية استمرت 14 يوما. وجاء ذلك وفق ما أفاد به مصدر نقابي بالمصنع في محافظة عنابة الساحلية (شرق)، لوكالة الأناضول.

وأقدم نحو 1000 عامل بعقود مؤقتة على شل عمل المصنع؛ احتجاجا على عدم دمجهم بعقود عمل دائمة فيه، ما تسبب في توقف الإنتاج 14 يوما.

وحسب المصدر ذاته، فإن اتفاقا تم التوصل إليه بين إدارة المصنع والنقابة والعمال المحتجين، أفضى إلى عودة العمال إلى عملهم.

ونص الاتفاق على منح أصحاب العقود المؤقتة إمكانية الاستفادة من ترسيم بعقد عمل دائم في غضون سنة واحدة. كما تم تعليق متابعات قضائية باشرتها إدارة المصنع في حق عدد من العمال المحتجين.

وتوقف الإنتاج في المصنع لـ13 يوما من أصل 14 يوما من الاحتجاجات العمالية، ما تسبب في خسارة أكثر من 2200 طن من الإنتاج يومياً، وفق المصدر.

ومصنع الحديد والصلب بعنابة هو الأكبر من نوعه في الجزائر، وتعود أولى تجهيزاته ووحداته الصناعية إلى العام 1969، وتقدر مساحته بنحو 830 هكتارا، ويشغل حاليا 4500 عامل بينهم نحو 1500 من المؤقتين.

وأعلنت الجزائر في 2015 استعادة رأسمال المصنع بنسبة 100 بالمئة والاستحواذ على حصة "إسبات" فرع العملاق الهندي "أرسيلور ميتال" التي كانت مقدرة بـ70 بالمئة، بمدة استغلال تمتد على 10 سنوات.

ولجأت الجزائر إلى فتح رأسمال هذه الشركة (خصخصة)، مع مطلع الألفية بعد أن واجهت صعوبات مالية وبسبب تراكم ديونها، كانت الشراكة من نصيب "أرسيلور ميتال" الهندية التي استحوذت على 70 بالمئة من رأسمال المصنع.

وبعد نحو 14 عاما أعلنت السلطات الجزائرية إعادة تأميم المصنع بسبب تراجع الإنتاج وعدم وفاء الشريك الهندي بالتزاماته.

وأعلنت السلطات عقب استعادة المصنع من الشركة الهندية، عن استثمار مليار دولار بغية إعادة تهيئته ورفع الإنتاج إلى 2 مليون طن.

وتستهدف الجزائر التحول إلى بلد مصدّر للحديد والصلب عام 2019، بعد الانتهاء من إعادة تهيئة هذا المصنع، إضافة إلى دخول مصنع توسيالي بوهران (غرب) الإنتاج بشراكة تركية، ومصنع بلارة بجيجل (شرق) بشراكة قطرية.

وقبل أسبوعين، أعلن وزير الصناعة الجزائري يوسف يوسفي، عن عمليات تصدير محدودة لحديد البناء إلى الولايات المتحدة، دون الكشف عن كميتها ولا قيمتها.

ومطلع سبتمبر الماضي، دعا البنك الدولي الحكومة الجزائرية إلى تنويع اقتصاد البلاد بشكل عاجل والتخلص من الاعتمادية خاصة في ما يخص مصادر الطاقة، التي تمثل 94 بالمئة من إيرادات البلاد من النقد الأجنبي للنهوض بالاقتصاد.

المعركة ضد الإرهاب مستمرة في المغرب

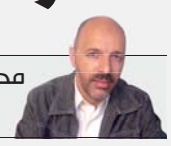

محمد بن امحمد العلوي
كاتب مغربي

❑ بدم بارد وعن سبق إصرار وترصد جرى قتل سائحتين اسكندينافيتين على سفح جبل توبقال الذي يقع بجهة مراكش، وقد تم القبض على الجناة وثبت أنهم منتمون لتنظيم داعش وقدموا لزعيمه الولاء قبل ارتكابهم الجريمة المروّعة التي شهدتها منطقة إمليل بالأطلس الكبير الآثنين الماضي، واستنكرتها كل فئات الشعب المغربي دون استثناء.

لقد اتخذ أفراد الخلية الإرهابية خيارهم في تلك الليلة، فمن اللحظة التي أقسموا فيها بالولاء لداعش لم يعد يجمعهم رابط بالدولة التي نضجوا في ظلها، ولم يبالوا بما سببوه للمجتمع الذي كفروا به عندما رفعوا السلاح على ضيوفه، والمتوقع أيضا أنهم لم يكونوا سيتورعون عن سفك دماء آخرين من بني جلدتهم.

أربعة أنفار قدروا وفكروا وقرروا اتباع طريق الدم والقتل والإرهاب الذي لا يمكن العودة منه إلا بمشقة وصعوبة كبيرتين. قبل ذبح الضحيتين بالطريقة الداعشية انخرطوا في أيديولوجية التنظيم الذي دأب على تعظيم الدم والسلاح كمنهج وحيد للتواصل مع مخالفيه. أسلوب الرعب والترهيب هذا دأب عليه الداعشيون منذ العام 2014 ولن يتوبوا عنه في القريب.

أيفترض بهذا الأسلوب إخافتنا؟ أشك في هذا لأن هناك محطات خطيرة ومريرة مر بها الوطن والمواطن كانت امتحانا شاقا وطريقة شقية للتذكر والذكرى، نذكر منها الأحداث الإرهابية بالدار البيضاء في مايو 2003 وتفجير أركانه المطلة على ساحة جامع الفنا بمراكش في العام 2011، والذي خلف مقتل 17 شخصا وإصابة 21 آخرين، أغلبهم سياح أجانب.

لا بد من أخذ الدرس من هذا الحادث الجهنمي بأن التطرف صناعة وأن التصدي لجرائمه غاية قصوى من الضروري أن تشمل كافة التراب المملكة دون استثناء، لمقاومة أي فعل إجرامي مستقبلي يحاول النيل من نموذج المغرب ونمط عيشه المتسامح والمعتدل.

الفكر المتطرف كان سببا في انتقال أربعة من المغاربة إلى الضفة الأخرى من الاعتدال والوسطية اللذين عرف بهما المغاربة منذ قرون، ليسقطوا في فخ عصابات تطرف وتعصب تصطاد في المياه العكرة.

لقد حان الوقت لإعادة التفكير في إعداد مشروع مجتمعي متكامل وعلى كافة المستويات والأصعدة يشارك فيه جميع من له القدرة على إيداع خطط الإنقاذ والتعامل مع الأزمات وفتح أبواب الأمل لغد أفضل لكل المغاربة دون إقصاء.

مشروع له قدرة على إقناع المواطنين بأن طريق بناء الوطن والانتماء الصحيح هو الذي يجب أن يسلكوه ويتبعون سبيله.

على الرغم من وضوح العواقب، فقد سلك المجرمون الأربعة طريق الدم باندماجهم في سلك ما يعتبرونه إسلاما حقيقيا. قد تكون بعض الأيام أو الساعات أو اللحظات كافية لتكوين انطباع عاطفي مقنع حول الطريق الجديد الذي سلكوه دون أن يكلفوا أنفسهم بأنه سيكون وبالا عليهم وعلى معارفهم نفسيا واجتماعيا.

الخطير في الأمر أن يتم تصوير شريط فيديو خلال الأسبوع الماضي، يظهر الموقوفين الأربعة المتهمين بقتل السائحتين الأجنبيتين، وهم يعلنون بيعتهم لزعيم التنظيم الإرهابي داعش أبوبكر البغدادي، متوعدين بـ"الثأر" ممن وصفوهم بـ"أعداء الله" مع التعبير عن نيتهم القيام بأعمال إرهابية، بمعنى أن العملية الإرهابية التي قاموا بها عن سابق تخطيط وتصميم أرادوا من خلالها توقيع اتفاقية الانتماء إلى داعش بدماء الضحيتين من جنسيتين أجنبيتين.

ولهذا معنى كبير لدى منظري ومخططي تنظيم داعش بالدرجة الأولى يؤكدون من خلاله أن أيديولوجيتهم لازالت تحظى باهتمام الشباب، وثانيا أن مخططهم يستهدف أمن البلاد داخليا وأيضا ترهيب الأجانب حتى خارج جغرافيتهم الغربية.

التجنيد مستمر لأنصار تنظيم داعش وهذا واقع مؤسف يسقط داخل شبكته العنكبوتية أشخاص بتكوين جد بسيط ولا يستطيعون التمييز بين المد المتطرف في الخطاب وبين المنهج المتبع من طرف دعاة التنظيم للتأثير الأيديولوجي، والغالب أن يلعب فضاء الإنترنت الدور الأكبر والأخطر في عملية الاستقطاب التي تتم على مراحل.

هناك من يعتبر أن التراث الإسلامي في عمومه دون تحديد كان سببا في ترسبات مواقف وتفسيرات وتأويلات متطرفة غالبا ما تكون خارجة عن سياق النص والواقع، ولهذا قد تستطيع نظرية التراث الصمود في وجه الانتقادات الموجهة إليها إذا تمت إعادة تعريف هذا التراث بشكل علمي وبقواعد منهجية صارمة وأيضا إذا اعتبرنا أن المضي قدما في تنقية بعض الشوائب المتعلقة بمعالجة وتأويل وتفسير النص الديني الذي طالته لقرون من الممارسة السياسية والاجتماعية والفكرية.

لهذا نقول إن لا علاقة تجمع بين الدين الإسلامي كوحي وسنة وحضارة وبين التطرف كفهم وسلوك ومنهج. كما لا يمكن الاقتراب من ساحة الوحي بسلاح خفيف من الورع والتقوى والكثير من السذاجة ولا العلم، فهذا ينتج مسخا فكريا يتسبب في كوارث على المستوى الشخصي والعام.

عندما يطرح سؤال حول ما إذا كانت حرب استقطاب الدواعش آخذة في التنامي بين ظهرانينا، فإن معظم الباحثين المهتمين سيجيبون بـ"نعم"، ويبدو أن المنتمين للتنظيم اليوم يملكون الكثير جدا من القواسم المشتركة سيكولوجيا واجتماعيا وثقافيا تجعلهم يؤمنون بالأيديولوجيا المتطرفة بكل سهولة، وواهم من يعتقد أن دعاة التنظيم الإرهابي ليس لديهم استراتيجية عميقة في الاستقطاب والتجنيد رغم أن فقد الحيّز الجغرافي كمحطة لا بد من مقابلته باستراتيجية مضادة.

بالتالي نقول إنه عندما تجنب المغرب العديد من العمليات الإرهابية في السنوات الأخيرة نتيجة سياسة أمنية استباقية خنقت الخلايا الإرهابية في المهد، فهذا راجع أولا إلى يقظة السلطات، وثانيا لامتلاك المعلومة الفعالة التي ساهمت في الاستقصاء حول الأشخاص والأماكن والمجموعات، ثالثا، لإرادة سياسية عليا للحفاظ على الاستقرار وأمن البلاد.

وهي استراتيجية أمنية لا بد من تطعيمها بنظرة متكاملة بالاتجاه إلى تجديد الخطاب الديني وتقوية المناهج الدراسية وتطوير النموذج التنموي ومواكبة الإصلاح الإداري ودعم الوسائط السياسية ومحاربة كل طرق التحايل على مقدرات البلاد وثرواتها من طرف الفاسدين، وهذا هو الطريق السريع لتجفيف منابع التفكير المتطرف المؤدي إلى سلوك طريق الإرهاب والتقتيل.

إيران تستعرض قدراتها بمناورات قرب مضيق هرمز

التدريبات تتزامن مع إبحار سفن حربية أميركية في مياه الخليج العربي

شهدت مياه الخليج العربي السبت بروز ملامح تصعيد جديد بين طهران وواشنطن، وذلك مع بدء القوة البرية في الحرس الثوري الإيراني إجراء مناورات عسكرية جديدة قرب مضيق هرمز. وتتزامن المناورات الإيرانية مع بدء تدريب للأسطول الخامس الأميركي في المنطقة الجمعة، في ظل تهديد طهران المتكرر بإغلاق المضيق الحيوي من الناحية الاقتصادية.

❑ **طهران** – بدأ الحرس الثوري الإيراني بتنفيذ مناورات عسكرية واسعة في مياه الخليج العربي، قرب مضيق هرمز الاستراتيجي.

وذكر التلفزيون الرسمي أن الحرس الثوري الإيراني بدأ مناورات في الخليج السبت، بعدما دخلت حاملة طائرات أميركية إلى الممر الملاحي في ظل توترات مع واشنطن بشأن إعادة فرض العقوبات على طهران.

وعرض التلفزيون لقطات لقوات برمائية تهبط في جزيرة قشم الإيرانية بالخليج خلال التدريبات التي شاركت فيها أيضا قطع بحرية وطائرات هليكوبتر وطائرات مسيرة وراجمات صواريخ ووحدات من الكوماندوز.

ونقلت وكالة أنباء الجمهورية الإسلامية عن القائد العام للحرس الثوري اللواء محمد علي جعفري قوله، "نأمل من خلال هذه المناورات في أن يكون الأعداء قد أدركوا أكثر من ذي قبل مدى قدراتنا المدمرة في مواجهة إجراءاتهم".

وأعلن التلفزيون الإيراني بدء القوة البرية في الحرس الثوري، النسخة الثانية عشرة من مناورات "النبي الأعظم".

> قوات برمائية تهبط في جزيرة قشم الإيرانية بالخليج، خلال التدريبات التي شاركت فيها قطع بحرية وطائرات وراجمات صواريخ ووحدات من الكوماندوز

وقال التلفزيون إنه "سيتم استعراض عمليات هجومية للمرة الأولى، في إطار العقيدة الدفاعية لإيران" خلال المناورات الجارية قرب مضيق هرمز، أحد أهم ممرات تصدير النفط إلى الأسواق العالمية.

وأبحرت سفن حربية أميركية في مياه الخليج وصولا إلى مضيق هرمز، وذلك لضمان الاستقرار الإقليمي في هذه المنطقة المضطربة. ويأتي تدريب الأسطول الخامس الأميركي في المنطقة في وقت يشهد تهديدات متكررة من إيران بإغلاق المضيق الحيوي من الناحية الاقتصادية.

طهران تتمادى في تصعيدها

وقال القبطان راندي بيك، قائد حاملة الطائرات (جون سي ستينيس)، إنه يأمل في أن يؤدي وجود الحاملة في المنطقة إلى تهدئة التوترات.

وتصاعدت حدة التوتر بين الولايات المتحدة وإيران، مع فرض واشنطن عقوبات على طهران من جديد مما أدى إلى توقف آليات مصرفية ضرورية لسداد مدفوعات، واتخاذ تجار حول العالم قرارات بوقف صفقات غذائية مع الدولة الغنية بالنفط.

وتقول واشنطن إن العقوبات جزء من جهود تهدف إلى إرغام إيران على كبح برامجها النووية والصاروخية، ووقف دعمها لحروب بالوكالة في اليمن وسوريا ولبنان وأماكن أخرى في الشرق الأوسط.

وتصرّ إيران على أن أغراض برنامجها النووي سلمية وأن أنظمتها الصاروخية دفاعية فقط، وتحمّل ما تصفه بالتدخل الأميركي مسؤولية الاضطراب الذي تشهده منطقة الشرق الأوسط.

وبدأت ملامح التصعيد بين الولايات المتحدة وإيران في الخليج تظهر منذ فترة. وكان الجيش الإيراني قد أجرى، في سبتمبر الماضي، مناورات عسكرية قرب مضيق هرمز الاستراتيجي. وشاركت في تلك المناورات، وفق التلفزيون الإيراني، 26 طائرة مقاتلة من طراز أف- 4 وأس يو- 22 وميراج أف-1، بالإضافة إلى مروحيات هجومية وأخرى للدعم اللوجيستي.

ومطلع الشهر الحالي دشّن سلاح البحرية الإيراني مدمّرة صنعت محليا، وقالت وسائل الإعلام الرسمية إن لها خصائص الأجسام الشبح التي لا يكشفها الرادار.

وانضمت المدمرة "سهند"، التي يمكن أن تبحر لمدة خمسة أشهر دون الحاجة إلى إعادة تموين، إلى سلاح البحرية الإيراني في احتفال بقاعدة في بندر عباس على الخليج.

وقال التلفزيون الإيراني الرسمي إن المدمرة عليها مهبط لطائرات الهليكوبتر ومجهزة بمنصات لإطلاق قذائف الطوربيد، ومدافع مضادة للطائرات والسفن، وصواريخ سطح/سطح وسطح/جو.

ودشنت إيران أول مدمرة صنعت محليا في عام 2010 في نطاق برنامج لتحديث معدات بحريتها التي تعود إلى ما قبل قيام الثورة الإسلامية في عام 1979، وهي في معظمها معدات أميركية الصنع.

وطورت إيران صناعة سلاح محلية كبيرة في مواجهة العقوبات الدولية وقرارات الحظر التي منعتها من استيراد الكثير من الأسلحة.

وكان الزعيم الأعلى الإيراني علي خامنئي قد قال في وقت سابق، إن إيران ينبغي أن تزيد قدرتها العسكرية واستعدادها لدرء الأعداء، وذلك خلال اجتماع مع قادة البحرية.

والأسبوع الماضي، زار وزير البحرية الأميركي، ريشارد سبونزر، العاصمة المنامة حيث ناقش مع خليفة بن أحمد آل خليفة، القائد العام لقوة دفاع البحرين، التنسيق العسكري والدفاعي بين البلدين وفق ما أفادت وكالة الأنباء البحرينية الرسمية استقبل القائد العام لقوة دفاع البحرين.

وتعد البحرين مقرا للأسطول البحري الخامس الأميركي، الذي تشمل عملياته منطقة الخليج وخليج عُمان وبحر العرب وخليج عدن والبحر الأحمر، وأجزاء من المحيط الهندي، حيث يتمركز في منطقة "الجفير"، شرق العاصمة البحرينية المنامة.

وفي سبتمبر الماضي، أعلنت قيادة الأسطول الخامس أن طائرات طراز "أف – 35" قد وصلت إلى منطقة عملياته بالخليج للمرة الأولى، وذلك في إطار الوجود العسكري الأميركي في المنطقة.

عراقيل تؤخر تشكيل الحكومة في لبنان

❑ **بيروت** – قال مسؤول رفيع إن الجهود المبذولة للتوصل إلى اتفاق بشأن حكومة وحدة وطنية في لبنان تعرضت لعقبات جديدة، السبت، مما تسبب في تأجيل تشكيلها بعد أن كان مسؤولون لبنانيون قد تحدثوا عن اتفاق حكومي قريب.

يأتي هذا التطور لينسف آمالا ظهرت في بيروت على خلفية بوادر جدية تشير إلى احتمال تشكيل حكومة لبنانية جديدة وذلك للمرّة الأولى منذ تكليف سعد الحريري بتشكيل مثل هذه الحكومة في مايو الماضي.

وبنيت هذه الآمال بإعلان ولادة الحكومة، قبل عيد الميلاد لدى الطوائف المسيحية الثلاثاء المقبل، على تسوية معقّدة وضع أسسها اللواء عبّاس إبراهيم المدير العام لجهاز الأمن العام اللبناني.

وتقوم التسوية التي استطاع اللواء إبراهيم تسويقها على ركيزتين أولاهما عدم تمثيل النواب السنّة الستّة المحسوبين على حزب الله عبر أي من هؤلاء وذلك إرضاء لرئيس الحكومة المكلف سعد الحريري.

وسبق للحريري أن أعلن رفضه الكامل لدخول أيّ من "سنّة حزب الله" في الحكومة حتّى لو اضطر إلى الانتظار سنة أخرى. أمّا الركيزة الثانية فتقوم على أن يكون الوزير السني المحسوب على حزب الله من حصّة رئيس الجمهورية في الحكومة وليس من حصة رئيس الوزراء.

وقال قاسم هاشم، وهو أحد ستة نواب سنة مؤيدين لحزب الله، إنه لا يعرف الملابسات التي أخرت إعلان الحكومة. وطالب النواب الستة بمقعد وزاري لهم، في أحدث مواجهة عطلت الاتفاق.

وتعثرت جهود تشكيل الحكومة الجديدة بسبب المطالب المتصارعة للفصائل والتيارات المتنافسة للحصول على مقاعد في مجلس وزراء ينبغي تأليفه وفق نظام سياسي قائم على توازن طائفي دقيق.

وكان رئيس الوزراء اللبناني المكلف سعد الحريري قد عبر، الجمعة، عن أمله في أن يتم الانتهاء من تشكيل حكومة وحدة وطنية بعد أكثر من سبعة أشهر من الخلافات السياسية.

وقال في مؤتمر في بيروت "أحاول أن أعمل بجد لنتهي تشكيل الحكومة إن شاء الله. لا تزال هناك بعض الأشياء التي ينبغي القيام بها، لكنني أعتقد أننا يجب أن نكون قادرين على الاغنتهاء.. إن شاء الله نخلص اليوم".

وقال الحريري إن الجميع ملتزمون بالإصلاحات مشيرا إلى أن الحكومة ستحاول خفض الدعم الذي تدفعه للطاقة بنحو 600 مليون دولار في عام 2019.

ويتحمل لبنان ثالث أعلى معدل للدين في العالم نسبة إلى الناتج المحلي الإجمالي.

ولبنان الذي يعاني من تراكم الديون وركود الاقتصاد في حاجة ماسة إلى حكومة يمكنها الشروع في إصلاحات اقتصادية متوقفة منذ فترة طويلة لوضع الدين العام على مسار مستدام.

الأحزاب المصرية توسع دوائر تحالفاتها بحثا عن دور سياسي

أحمد جمال

❑ **القاهرة** – دفع الفراغ السياسي في الشارع المصري، والذي انعكس على فعالية الأحزاب البالغ عددها 100 حزب، إلى توسيع دائرة التحالفات القائمة، بعد أن وجد بعضها نفسه غير قادر على التحرك والتأثير، في محاولة أخيرة للتواجد الشكلي في المستقبل عبر شراكة في الفعاليات الانتخابية المقبلة، على مستوى انتخابات المحليات (لم يحدد موعدها بعد) أو على مستوى انتخابات البرلمان، بعد حوالي عام ونصف العام.

دشن حزبيون، أغلبهم غير ممثلين في البرلمان الحالي، السبت، تحالفا جديدا باسم "تحالف الأحزاب المصرية"، يضم 52 من الأحزاب المنتمية إلى تحالفين ظهرا إلى النور قبل عام تقريبا، وهما (تحالف الأمة) الذي يقوده موسى مصطفى موسى المرشح الرئاسي السابق ورئيس حزب الغد و(التحالف السياسي المصري) ويرأسه تيسير مطر رئيس الحزب الدستوري الاجتماعي الحر.

ورغم اختلاف الأيديولوجيات الخاصة بالأحزاب، إلا أنها تتفق على أمر الوقوف على يمين السلطة الحاكمة وليس معارضتها، ما يشير إلى أنها شبيهة بائتلاف دعم مصر (صاحب الأغلبية بالبرلمان المصري)، لكن عبر التشكيل من الأحزاب وليس المستقلين.

وتصب هذه التحركات في النهاية لصالح تطبيق رؤية أكثر شمولا تحدث عنها الرئيس المصري عبدالفتاح السيسي في مرات عدة وترتبط بما أسماه "دعم الأحزاب للدولة المصرية"، لكن نتائجها لا تزال مجهولة، وقد تخرج مشوهة، لأنها لا تحمل علاجا حقيقيا للخلل المهيمن على الحياة السياسية في مصر.

قال موسى مصطفى موسى لـ"العرب"، إن التحالف يستهدف البحث عن وجود داخل الحياة السياسية، في ظل عدم القدرة على النفاذ إلى الشارع، بسبب قلة الإمكانيات وندرة الكوادر التي تملك الخبرة للتعامل على أرض الواقع.

وطالب بضرورة الاستعداد للفعاليات الانتخابية المقبلة وتشجيع الشباب على المشاركة السياسية ومحاولة تقوية الأحزاب الصغيرة عبر دخولها في تحالفات أكبر.

ومن المتوقع أن يتولى موسى منصب المنسق العام للتحالف، مؤكدا أن التعامل مع الخلافات الأيديولوجية سيكون من خلال الاتفاق على توزيع المناصب داخله، الأمر الذي ينتج عنه وجود مكتب تنفيذي للتحالف يضم في عضويته ممثلين من الأحزاب مجتمعة. ووجود مكتب آخر يعطي الكوادر الصاعدة مسؤولية إدارة الجلسات التشاورية، في وجود منسق عام للتحالف تكمن مهمته في تقريب وجهات النظر ومسؤولية تشكيل القوائم الانتخابية مستقبلا.

وقلل الكثير من السياسيين من أهمية مثل هذه التحالفات، ووصفوها بأنها "كرتونية ولا طائل منها"، ولا يتوقعون تغييرا على مستوى فعاليتها في الشارع، مع صراع القيادات المستمر على المناصب القيادية، وعدم الارتكاز على قاعدة سياسية يمكنها جذب فئات إلى الأحزاب، باعتبار أنها تكمل الدور الذي يلعبه حزب "مستقبل وطن" الذي يضم في عضويته 300 نائب بالبرلمان، وعددا من الأحزاب القريبة من السلطة.

يبرهن الاهتمام الإعلامي المحلي الذي صاحب التحالف الجديد والإعلان عنه من داخل أحد الفنادق الكبرى بالقاهرة في حضور عدد من الشخصيات العامة، على أن هناك دعما حكوميا، أملا في إعداد جيل من السياسيين (المعارضين) ينبثق من خلال هذا التحالف ليكون بديلا للقيادات القديمة التقليدية التي أضحت ورقة محروقة بالنسبة للحكومة والمواطنين، ويصب تشكيل التحالف الجديد من مجموعة من الأحزاب الصغيرة وغير المعروفة في هذا الاتجاه. وشدد موسى على أن التحالف سيكون بمثابة منصة للتثقيف السياسي ومن ثم طرح وجوه وقيادات سياسية جديدة لضخ دماء في الحياة الحزبية.

غير أن سياسيين اعتبروا تنفيذ تلك الرغبة ضربا من الخيال في ظل التوجيه السياسي الذي يرسمه القائمون عليه وعدم ترك المساحة لهم، بحيث يمكنهم الخروج بخطاب معارض للسلطة يختلف عما تروجه غالبية الأحزاب في الوقت الحالي.

وأكد عمرو هاشم ربيع، الخبير بمركز الأهرام للدراسات السياسية والاستراتيجية، أنه "لا يوجد هدف محدد من الممكن أن يشكل بناء ناجحا للتحالفات بين الأحزاب، وأغلبها يكون رغبة في الاستمرار كرقم ضمن الكيانات الموجودة، وبالتالي فإن الفناء سوف يكون سريعا، وغالبا ما تعيش بالمسكنات الحكومية الداعمة لها كديكور سياسي يحفظ ماء الوجه".

وأضاف لـ"العرب"، أن الهدف المعلن من التحالف من أجل المنافسة في الانتخابات المقبلة لن يتحقق مع إصرار البرلمان على إجراء الانتخابات وفقا للنظام الفردي وليس القائمة الحزبية المطلقة التي تسمح بتمثيل هذه التحالفات داخله، وأن العديد من أعضائه الذين عبروا إليه عبر نظام الانتخابات السابق لن يسمحوا بتغيير الوضع، ما يضع القوة بيد المستقلين وليس الأحزاب. ولفت إلى أن نجاح التحالفات يرتبط بمدى الضغط على البرلمان قبل إقرار قانون مجلس النواب والنظام الانتخابي والمقرر مناقشته قبل نهاية دور الانعقاد الحالي والأخير، بحيث يتم التوسع في نظام القوائم الانتخابية، وهو أمر يقوده تحالف 25 – 30 المعارض تحت قبة البرلمان، ولا توجد مقدمات توحي بإدخال تغييرات جذرية على النظام الانتخابي السابق والذي مكن الأجهزة الأمنية من السيطرة على الفضاء العام.

اختلاف الأيديولوجيات لا يفسد للود قضية

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن 1977
أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
علي قاسم
مختار الدبابي
كرم نعمة

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 8846 9520

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

الصمت الأممي والدولي يرسخ الدور التركي في ليبيا

أنقرة تعتمد على علاقتها بالسراج لعدم تصعيد قضية «الخُمس»

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

❑ تحمل التوجهات التركية حيال الكثير من الأزمات التي تنخرط فيها أنقرة الكثير من الألغاز، فسياساتها تتجاوز الحدود الظاهرة للحفاظ على الأمن القومي، حسب خطابها المعلن نحو تبرير الانخراط في كل من العراق وسوريا، لأن تدخلاتها السافرة في الأزمة الليبية كشفت عن وجوه تتجاوز ذريعة الأمن القومي.

تتدخل أنقرة بجرأة متناهية في ليبيا البعيدة عن حدودها منذ اندلاع أزمتها قبل نحو ثمانية أعوام، من دون أن تواجه بلوم واضح من المجتمع الدولي، ما جعل جهات سياسية كثيرة تعتقد أن الممارسات التركية تتوافق مع أجندات دول أخرى وتتقاطع مع كتلة معتبرة من تقديرات أنقرة في ليبيا.

ما تقوم به تركيا لو أتت به عاصمة أخرى لكانت النتائج مختلفة من قبل المبعوث الأممي إلى ليبيا غسان سلامة، الذي يتشدّق بالبحث عن توفير الأمن والاستقرار لطرابلس وغيرها، ويغض الطرف عن المتسببين الحقيقيين في الفوضى، ويجتهد في البحث عن ثغرات يضمن بها مستقبل آمن للتيار الإسلامي في ليبيا.

الأربعاء الماضي، تم الإعلان، للمرة الثانية، عن ضبط سفينة أسلحة كبيرة قادمة من تركيا لتسليمها إلى الميليشيات النشطة في ليبيا، اكتفت بعثة الأمم المتحدة بتغريدة عبر تويتر، قالت فيها إن "التقارير الواردة عن شحنة كبيرة من الأسلحة وصلت إلى الشواطئ الليبية مثيرة للقلق، ليبيا بحاجة إلى السلام، وليس للمزيد من الأسلحة".

لم يتحرك سلامة أو المجتمع الدولي في المرة الأولى عندما كشف حرس السواحل اليوناني في بداية العام الحالي، معلومات عن ضبط سفينة قادمة من تركيا ترفع علم تنزانيا متجهة إلى مصراتة في ليبيا، مليئة بالمواد التي تستخدم في صناعة المتفجرات.

سمع العالم تحذيرات فؤاد أقطاي، نائب الرئيس التركي، على هامش مؤتمر باليرمو للأزمة الليبية في نوفمبر الماضي، ولم يتحرّك أحد لمحاسبته على تصريحات تخلو من اللياقة الدبلوماسية، وحملت تهديدات مباشرة ترمي إلى منع الوصول إلى تسوية سياسية، بعدها بأيام قليلة، أعادت الكتائب المسلحة تنظيم عناصرها وكادت طرابلس تدخل نفقا جديدا من الفوضى.

> تركيا تبذل جهدا لتقديم دعم معقد للسراج وتعزيز نفوذه من خلال استمرار الأزمة وليس البحث عن حلول لها، فإطالة أمدها ربما تساعدها على تمترس حلفائها المتشددين في الأماكن التي يسيطرون عليها حاليا، بعد إعادة ترتيب الأوراق بما يحقق طموحات أنقرة الاقتصادية مستقبلا

لم تعد أصابع تركيا في ليبيا خافية، لكن البعض يتعمّدون تجاهل دورها، لأنهم يتفقون مع أهدافها ويرتاحون إلى دعم الميليشيات، ويريدون إرباك المشهد إلى حين اتخاذ قرار في مصير الحل النهائي، وخلق واقع يجعل القوى الإسلامية رقما رئيسيا في المعادلة الليبية.

ويلعب هؤلاء دورا قويا في كل من تونس والمغرب والجزائر والسودان، وتأمل تركيا في توسيع النطاق والتمدد نحو مصر، التي تغرّد بعيدا في هذا الفضاء، وإجبارها على التسليم بتركيبة ثبت أنها أحد عناصر الخلل في المنطقة، وهو ما تشتاط منه أنقرة، ولا تتوانى في البحث عن سبل لاستعادة نفوذ شركائها الإخوان في القاهرة من بوابة طرابلس.

قفزت أنقرة عمليا بعيدا على محددات الجغرافيا السياسية القريبة، ووصلت إلى ليبيا سعيا وراء الحفاظ على استثماراتها هناك، وضمان الحصول على حصة جيّدة للشركات التابعة لها، ومنع خروج الأموال الليبية من تركيا، وتقدر بنحو 21 مليار دولار، وغالبيتها موجودة منذ حكم العقيد الراحل معمر القذافي.

يفسّر هذا البعد سبب تمهّل أنقرة في الاعتراف بالمجلس الانتقالي كممثل وحيد للشعب الليبي، عقب ثورة فبراير، بعد ضمان دور لها يحقق طموحاتها التوسعية، وكانت آخر دولة تعترف به في 1 يوليو 2011. يتصل بذلك بعد آخر له علاقة بالتوظيف الدقيق لتيار الإسلام السياسي، بما يتجاوز التلاقح في الأفكار الأيديولوجية، لأنه أصبح جزءا من المنظومة التي تسيطر على الخطاب السياسي لنظام الحكم الحالي في تركيا.

حفلت التطورات الماضية بجملة أحداث تؤكد الانجذاب المتبادل بين الجانبين، حيث يعيش على الأراضي التركية أكبر تجمع للإسلاميين في العالم، وفي مقدمتهم إسلاميو ليبيا، علاوة على عناصر عديدة من الصف الثاني، التي تتحرك ذهابا وإيابا بين تركيا وليبيا.

قدمت الحكومة خدمات لوجيستية متباينة، وفتحت خطوط طيران مباشرة بين أنقرة وكل من مصراتة ومطار معيتيقة في طرابلس، وكان يسيطر عليه عبدالحكيم بلحاج، زعيم الجماعة الليبية المقاتلة في ذلك الوقت.

وكشف موقع ويكيليكس في يوليو 2016 عن جانب مهم في طبيعة الدور التركي في نقل أموال الليبي بلحاج، من خلال رسالة صادرة عبر بريده الإلكتروني عام 2013 عرض فيها على مصرفي تركي تابع للحزب الحاكم (العدالة والتنمية) طلب المساعدة لتهريب مبالغ مالية لأجل المحافظة عليها واستثمارها، مقابل دفع عمولة 25 بالمئة من المبلغ، وكان المبلغ وقتها حوالي 15 مليون دولار. وأكد مجلس الاتصالات (الهيئة المعنية بالرقابة على الإنترنت في تركيا)، أنه حجب موقع (ويكيليكس) في تركيا من اليوم التالي للتسريب، بذريعة أن ذلك إجراء إداري.

تتحرك تركيا على الساحة الليبية في خطوط متوازية، فهي تقدم دعما لافتا للكتائب المسلحة، وتدعم العناصر الموالية لها، وتستقطب القيادات التي تقبل التعاون معها، حتى لو كانت لا تحمل مواقف أيديولوجية واضحة ومؤيدة لها.

استقبلت عبدالهادي عوينات مؤخرا، عندما شعرت أن لديه ميولا للانقلاب على زعيمه هيثم التاجوري، قائد ما يسمّى بكتيبة ثوار طرابلس، لكن لم يسعفها القدر في توظيفه للمزيد من التمدّد في العاصمة، حيث لقي مصرعه في 27 نوفمبر الماضي، في معمعمة التصفيات الجسدية الجارية هناك.

لم تأل جهدا على الصعيد السياسي في تقديم الدعم لفايز السراج، رئيس المجلس الرئاسي، رئيس حكومة الوفاق، والتيار المؤيد له، وتعلم أن المشير خليفة حفتر قائد الجيش الوطني الليبي ضد التوجهات الإسلاموية والدول الداعمة لها، وتحاول تقليص نفوذه عبر مواصلة السخاء المادي والسياسي في دعم الأول، وبذل جهود مضنية لتقليص أجنحة الثاني.

قام خلوصي أكار، وزير الدفاع التركي، على رأس وفد عسكري كبير بزيارة طرابلس 5 نوفمبر الماضي، ولقاء السراج ومسؤولين أمنيين، ثم استقبل السراج بحفاوة في أنقرة، قبل أيام قليلة من مؤتمر باليرمو، ما يشير إلى دعمه في التوجهات التي يسلكها ضد المشير حفتر والدول المؤيدة له، ومحاولة توفير غطاء سياسي قد يسنده في مواجهة العواصف التي يواجهها.

تبذل تركيا جهدا لتقديم دعم معقد للسراج، وتعزيز نفوذه من خلال استمرار الأزمة وليس البحث عن حلول لها، فإطالة أمدها ربما تساعدها على تمترس حلفائها المتشددين في الأماكن التي يسيطرون عليها حاليا، بعد إعادة ترتيب الأوراق بما يحقق طموحات أنقرة الاقتصادية مستقبلا.

تحاول تركيا الآن استمالة وزير الداخلية القوي فتحي باشأغا، واستقبلته لمدة أسبوع مؤخرا، لتمديد القنوات المتشابكة معه، لأن الرجل يبذل جهودا كبيرة لترتيب الأوضاع الأمنية في طرابلس بما يعيد لها الاستقرار. وتتحسب أن تؤدي تحركاته إلى تقليم أظافر العناصر التي تعمل لحسابها، وترى من وراء استقباله الإيحاء بأنه رجلها الأمني في طرابلس، متجاهلة ما هو معروف عنه من انضباط عسكري، وعلاقته بها لا تخرج عن مروحته السياسية الواسعة التي يستطيع بها استيعاب الكثير من التناقضات على الساحة الليبية.

لا تعلم أنقرة أن هذا النوع من الممارسات سيؤدي إلى المزيد من الاستفزاز لقوى عديدة ترى أن تركيا تصمم على تجاوز حدود الجغرافيا، وتذهب بعيدا إلى الغرب والجنوب الليبي، لأنها تعلم أن في الشرق قوة عسكرية منظمة لن تسمح لها بالاقتراب منه، ولذلك بدأت دول مثل إيطاليا وفرنسا تتحسّب من التوجهات التركية هناك، وتقلق من تصادم مصالحها معها.

بدأ الرئيس رجب طيب أردوغان يخشى من عواقب الاستنفار الذي صاحب فضيحة سفينة الأسلحة في ميناء "الخُمس"، الأسبوع الماضي، ويتحرّك لطمس روافدها السياسية، ومنع تحويلها إلى قضية رأي عام على المستوى الدولي، وأوفد مولود حمروش وزير خارجيته إلى طرابلس، السبت.

وطالبت القيادة العامة للقوات المسلحة الليبية، في بيان لها، الأربعاء، مجلس الأمن الدولي والأمم المتحدة وبعثتها في ليبيا بإدانة تركيا و"فتح تحقيق فوري حولها، واتخاذ موقف جدي حيال ارتكابها جريمة إرهابية، بخرقها قرارات مجلس الأمن".

وبدأ عدد من نشطاء المجتمع المدني والسياسيين والحقوقيين والإعلاميين والمهتمين بالشأن العام في إصدار بيانات بشأن التدخلات التركية السافرة، ومن غير المستبعد التحرّك باتجاه المجتمع الدولي لمحاسبة أنقرة على جرائمها في ليبيا، واتخاذ حادث السفينة كدليل على انتهاكاتها لسيادة دولة عضو في الأمم المتحدة.

> أنقرة تتدخل بجرأة متناهية في ليبيا البعيدة عن حدودها منذ اندلاع أزمتها قبل نحو ثمانية أعوام، من دون أن تواجه بلوم واضح من المجتمع الدولي، ما جعل جهات سياسية كثيرة تعتقد أن الممارسات التركية تتوافق مع أجندات دول أخرى وتتقاطع مع كتلة معتبرة من تقديرات أنقرة في ليبيا

تعتمد أنقرة على علاقتها بالسراج، رئيس الحكومة التي تحظى بشرعية دولية، في عدم تصعيد القضية، وتفويت الفرصة على استهدافها، لذلك كثفت تحركاتها الدبلوماسية، قبل أن تتحول سفينة "الخُمس" إلى القشة التي تقصف ظهرها في ليبيا.

تراهن تركيا على أن بعثة الأمم المتحدة وهي على وشك التحضير لمؤتمر جامع، لا تريد الدخول في تفاصيل قضايا من هذا النوع، وسط أطنان من المشكلات التي تواجه المؤتمر الذي أصبح عرضة للتفجير السياسي في أي لحظة، من قبل قوى ليبية وطنية تراه قفزة جديدة في الهواء للمبعوث الأممي.

تركيا تسارع إلى التحرك لقطع الطريق على التصعيد الدولي من خلال الإعلان عن تحقيق مشترك بين أنقرة وطرابلس حول شحنة السلاح

اتفاق ليبي تركي على إجراء تحقيق مشترك

❑ **طرابلس** – استقبل رئيس المجلس الرئاسي لحكومة الوفاق الوطني الليبية فائز السراج وزير الخارجية التركي مولود جاويش أوغلو الذي وصل صباح السبت إلى طرابلس في زيارة عمل إلى ليبيا على رأس وفد من كبار مسؤولي الحكومة التركية.

وقالت الحكومة الليبية المدعومة من الأمم المتحدة، إن ليبيا وتركيا اتفقتا على فتح تحقيق مشترك وعاجل بشأن شحنة أسلحة وصلت من تركيا وضبطت في ميناء بالقرب من طرابلس الأسبوع الماضي.

وبحسب المكتب الإعلامي لرئيس المجلس الرئاسي الليبي، فقد أبلغ السراج الوزير التركي مدى انزعاجه من شحنة الأسلحة التي تم ضبطها الأيام الماضية في ميناء "الخمس" والقادمة من تركيا، مؤكدا على ضرورة كشف حقيقة الأمر ومن كان وراء هذا الفعل. وكان السراج قد أعلن الخميس على لسان المتحدث باسمه إصدار تعليمات لـ"الأجهزة الأمنية" بفتح تحقيق فوري في واقعة الأسلحة المضبوطة.

وجاء إعلان السراج بعد أن تمكنت مصلحة الجمارك بميناء "الخمس" (شرق طرابلس) من ضبط شحنتي أسلحة وذخائر ذات منشأ تركي تحتوي على 3000 مسدس 9 ملم و120 مسدس بريتا (رشاش) و400 بندقية صيد وأكثر من 4 ملايين طلقة مسدس، بحسب تصريح لمسؤول في مكتب الجمارك لموقع "المرصد".

وأشار المكتب إلى أن المعلومات المبدئية تشير إلى تورط ليبيين في تسلمها وتوريدها من تركيا، وأن الحاويات كانت ضمن صفقة تم ضبطها على أساس أنها مواد غير قتالية.

نوايا مبيّتة قبل موسم انتخابي حام بتونس

طارق القيزاني
صحافي تونسي

❑ لم يكشف رئيس الحكومة التونسية يوسف الشاهد، المستقيل بحكم الأمر الواقع من حزبه حركة نداء تونس، عن مستقبله السياسي مع أن البلاد مقبلة على موسم انتخابي يلوح حامي الوطيس في 2019.

بعد صعود النزاع مع حزبه القديم الذي رشحه إلى منصب رئيس الحكومة ومن ثم جمّد عضويته، ظهرت كتلة برلمانية جديدة انطلقت في جمع شتات النواب الحانقين على النداء ومن لحق بركب يوسف الشاهد من بين الفرقاء داخل الحزب.

ومع أن الكتلة الجديدة، "الائتلاف الوطني"، تنفي، حتى الساعة اصطفافها وراء يوسف الشاهد، فإن كل الدلائل تشير إلى التحضير لمشروع سياسي في الأفق سيكون بوابة الشاهد للبقاء في سدة الحكم عبر تحالفات جديدة متوقعة في 2019، وهي خطوة قد توجه ضربة قاصمة للنداء وقد تحوله إلى حزب هامشي.

لا يخفي القياديون في "الائتلاف الوطني" خطوتهم التالية لتكوين حزب سياسي لا سيما وأنهم بدأوا بتكوين تنسيقيات في الجهات تحت يافطة دعم الاستقرار الحكومي الحالي، وبعد أن منحوا أيضا الضمانة اللازمة للشاهد للحصول على الأغلبية المطلوبة في البرلمان لتثبيت التعديل الحكومي الواسع الذي أقدم عليه، وهي لطمة سحبت البساط نهائيا من النداء وأفقدته السلطة في هدوء كما زادت في اتساع الهوة بين الشاهد نفسه وبين حزبه القديم.

صحيح أن رئيس الحكومة الذي بات محور نظام الحكم في تونس بحكم صلاحياته، كان أول المستفيدين من خصومة الرئيس الباجي قائد السبسي ومعه النداء، مع النهضة الإسلامية ومن نهاية التوافق بين الجانبين، والذي كان قد عبّد الطريق أمام مصادقة البرلمان على التعديل الحكومي. لكن الهدايا لا تأتي مجانا في السياسة، فالتكهن العام بتحالف مبكر غير معلن بين "الائتلاف الوطني" وحركة النهضة قد يتحول في الغالب إلى يقين خلال أشهر، لا سيما وأن النظام الانتخابي الحالي القائم على النسبية لا يمنح خيارات كثيرة أمام الفائزين المحتملين في الانتخابات البرلمانية.

وفي الواقع ليس الشاهد وحده من يضمر النوايا المبيّتة، فالرئيس الباجي قائد السبسي أيضا أبقى على خطاب مبهم بشأن موقعه المستقبلي في المشهد السياسي، ونواياه في 2019، فهو من جهة لم يفصح عن أي رغبة واضحة ورسمية في الاستمرار في الحياة السياسية وترك الباب مفتوحا لكل الاحتمالات، ومن جهة أخرى يكرر القياديون ممن تبقوا تحت جناح نداء تونس بأنه يظل مرشحهم الأول للانتخابات الرئاسية.

وربما هناك قناعة راسخة لدى القياديين في نداء تونس بأن السبسي لا يزال يملك رصيدا انتخابيا مهمّا في الشارع التونسي وأن خبرته الطويلة لا يمكن أن تكون محل خلاف على الأقل من جانب الناخبين الذين صوتوا له في انتخابات 2014، كما أن قناعة القياديين تتلخص في اعتبار السبسي المنقذ الحقيقي لفرص الحزب في المنافسة والبقاء في السلطة بعد أن انفض من حوله الكثير من السياسيين المؤثرين والناخبين أيضا.

ولكن الأحوال تغيّرت كثيرا اليوم عن انتخابات 2014 وعن السياق الذي جاء فيه الفوز الصريح والمزدوج للنداءيين آنذاك كرد فعل شعبي ضد تجربة التحالف الحكومي الثلاثي (الترويكا) الذي قادته النهضة بعد الثورة. كما أن الانتخابات البلدية لمايو 2018 جاءت لتعطي مؤشرا مبدئيا عن نوايا التصويت باتجاه النداء، وهي نوايا تتضارب مع طفرة 2014 للحزب وغير مطمئنة في الانتخابات التشريعية والرئاسية المقبلة.

وقد يتحمل السبسي وحده كلفة هذا الانحدار بعد أن عقد توافقا مع حركة النهضة على خلاف انتظارات الجزء الأكبر من ناخبي النداء، وظل قائما أغلب عهدته الرئاسية قبل أن ينتفض في الرمق الأخير ويبدأ الاشتغال على ملفات واستحقاقات متأخرة مثل اغتيال شكري بلعيد ومحمد البراهمي والتنظيم السرّي لحركة النهضة. لكن هل هذا يعدّ كافيا للتدارك واستعادة الرصيد الانتخابي؟

قد لا يكون ذلك كافيا حتى الآن لكن الثابت أن السبسي لن يكون وحده في سباق رد الاعتبار في 2019. وإذا كان تواجد الرئيس السابق المنصف المرزوقي في السباق الرئاسي من تحصيل الحاصل بعد نكسة 2014، فإن حركة النهضة أحد المعنيين الرئيسيين بالحكم، لم تفصح عن نواياها رسميا تجاه قصر قرطاج، مع أن ما يفهم من كلام قادتها يجعل من زعيم الحركة راشد الغنوشي كمرشح منطقي للرئاسة، لا سيما أن الحزب نجح حتى الآن في أن يتفادى آثار الفترة السوداء لحكمه بين 2012 و2013 مستفيدا من سياسة التوافق والمشاركة في الحكم بالحد الأدنى أحيانا.

ما مفاجأة ترامب المقبلة...

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

❑ بعد القرار المفاجئ، وغير المفاجئ في الوقت ذاته، للرئيس دونالد ترامب بإنهاء الوجود العسكري الأميركي في سوريا، كان يمكن الاعتقاد أنّ وراء الأكمة ما وراءها وأن الإدارة الأميركية في صدد وضع إستراتيجية سورية واضحة كل الوضوح. إستراتيجية تندرج في سياق ما أعلنه ترامب عن مواجهة المشروع التوسّعي الإيراني في المنطقة بما يتجاوز مسألة الملف النووي.

لكنّ استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس جاءت لنسف هذا الاحتمال. أكدت هذه الاستقالة أن إدارة ترامب في حال ضياع يشبه إلى حدّ كبير الضياع الفرنسي والبريطاني.

في فرنسا، لم يعد الرئيس إيمانويل ماكرون يعرف كيف التعاطي مع الأزمة التي خلقها نزول ذوي "السترات الصفر" إلى الشارع، فيما رئيسة الوزراء البريطانية تيريزا ماي في حال تخبط في كل الاتجاهات بعدما أوقعت بريطانيا نفسها في فخّ استفتاء الخروج من الاتحاد الأوروبي (بريكست).

لماذا كان قرار الانسحاب الأميركي العسكري من سوريا مفاجئا وغير مفاجئ في الوقت ذاته؟ يعود ذلك إلى أن الرئيس الأميركي ومسؤولين آخرين لمحوا إلى مثل هذا الانسحاب قبل أشهر عدّة. لكن العسكريين، على رأسهم الجنرال ماتيس وزير الدفاع أصرّوا على الوجود العسكري الأميركي في سوريا لسببين على الأقلّ. الأوّل أن هذا الوجود قائم في منطقة حساسة هي شرق الفرات حيث الثروات السورية الحقيقية من مياه وأراض زراعية ونفط وغاز. أمّا السبب الآخر، فهو مرتبط بالقدرة الأميركية، انطلاقا من القواعد المنتشرة شرق الفرات، على مراقبة الخط الذي يستخدمه الإيرانيون والذي يربط بين الأراضي العراقية والأراضي السورية. فوق ذلك كله، هناك ارتباط بين الجيش الأميركي الموجود في سوريا وأكراد المنطقة الذين لعبوا دورا في مواجهة "داعش" وقدّموا تضحيات كثيرة. وهذا ما دفع "القيادة العامة لقوات سوريا الديمقراطية" (قسد) إلى التحذير من خطورة النتائج التي ستترتب على الانسحاب الأميركي وإلى تأكيد أنّ "المعركة مع الإرهاب لم تنته بعد". صدر بيان عن "قسد" يشدّد على أن "داعش" ما زال يشكل خطرا. أراد الأكراد السوريون الردّ بذلك على ادعاء ترامب بأن لا حاجة بعد الآن إلى وجود عسكري في سوريا بعد القضاء نهائيا على "داعش".

السؤال الآن من سيملأ الفراغ الذي سيخلّفه الانسحاب العسكري الأميركي. الثابت أن هناك نوعا من التفاهم التركي – الأميركي سبق تغريدة ترامب في شأن الانسحاب. على الرغم من ذلك، جاء قرار الرئيس الأميركي مفاجئا وعكس خلافات داخل الإدارة أدت إلى استقالة الجنرال ماتيس الذي يعرف سوريا والعراق جيّدا ويعرف ما الذي يعنيه انسحاب عسكري أميركي من شرق الفرات والنتائج التي ستلي ذلك.

مرّة أخرى يدفع الأكراد ثمن تحالفاتهم. مرّة أخرى تثبت الإدارة الأميركية أنّها مستعدة للتخلي عن الأكراد، أينما وجدوا، لأسباب مرتبطة بمصالح معيّنة مع هذه القوّة الإقليمية أو تلك. هذا ما حصل في أيلول – سبتمبر 2017 بعد الاستفتاء الذي أجري في كردستان العراق.

هل تملأ تركيا الفراغ العسكري الأميركي في سوريا؟ من الملفت أنّ القرار الذي اتخذه ترامب ترافق مع كلام تركي عن عملية عسكرية في الداخل السوري تستهدف المنطقة الكردية التي تحت سيطرة "قسد" والأميركيين. ما الذي تغيّر فجأة وجعل الأكراد يتحوّلون مرّة أخرى ضحية لمصالح قوى أكبر منهم؟ هل كان كافيا التوصل إلى صفقة صواريخ "باتريوت" بين تركيا والولايات المتحدة كي يصبح دونالد ترامب شخصا آخر؟

كان وزير الدفاع الأميركي في غاية الصراحة عندما قال في بيان استقالته الموجه إلى الرئيس الأميركي إنّه لم يعد يستطيع التفاهم معه في شأن السياسات الواجب اتباعها. لذلك، طلب من ترامب البحث عن وزير آخر للدفاع. كانت الشكوى الأساسية التي وردت في استقالة ماتيس من أنّه لم يعد في استطاعة حلفاء الولايات المتحدة الاتكال عليها. قال ماتيس عن هذا الموضوع "كان لدي في كل وقت إيمان بأن قوتنا كأمّة مرتبطة بشكل غير قابل للفصل بقوة تحالفاتنا وشراكاتنا ذات الطابع الشامل" مع قوى أخرى. هذه القوى هي الحلفاء العرب في المنطقة وحلف الأطلسي والغرب عموما. لم ينس وزير الدفاع المستقيل التركيز على الصين وروسيا ومحاولتهما فرض نظام عالمي يتفق مع طموحات هاتين القوتين.

هناك عالم جديد يريد ترامب خلقه. إنّه عالم لا علاقة له بأميركا ما بعد الحرب العالمية الثانية، عالم جديد تبلورت ملامحه مع وجود رؤساء يعانون من ضعف في البيت الأبيض. رؤساء من نوع جيمي كارتر أو باراك أوباما. المفارقة أن ترامب لم يتوقف يوما عن مهاجمة سلفه وسياساته مع تركيز خاص على سوريا حيث ضحّى أوباما بالشعب السوري وثورته الحقيقية على العبودية والظلم كي لا يغضب إيران. فعل ذلك متجاهلا في الوقت ذاته كل الخطوط الحمر التي رسمها لبشار الأسد، بما في ذلك استخدام السلاح الكيميائي في حربه على الشعب السوري صيف العام 2013. كان كل ما أراده أوباما وقتذاك يتمثل في بقاء إيران في المفاوضات الدائرة مع مجموعة الخمسة زائدا واحدا في شأن ملفّها النووي.

كان هذا الملفّ يختزل، بالنسبة إلى الرئيس الأميركي السابق، كل أزمات الشرق الأوسط دفعة واحدة.

تبقى نقطتان مهمتان. الأولى، من إلى جانب تركيا سيملأ الفراغ الذي سيخلفه الانسحاب الأميركي من سوريا؟ ماذا ستفعل إيران، ماذا ستفعل روسيا، ماذا ستفعل إسرائيل؟ الأهم من ذلك كلّه، هل يعود "داعش" إلى الواجهة، خصوصا أن هناك مؤشرات إلى أن القضاء على هذا التنظيم الإرهابي لم يحصل بشكل نهائي وأنّه ما زال حيًا يرزق في غير منطقة في سوريا والعراق. ليس بعيدا اليوم الذي سيطل "داعش" برأسه مجددا.

أمّا النقطة الثانية المهمّة، فهي مرتبطة بمصير سياسة إدارة ترامب الهادفة إلى محاصرة إيران. إذا كان من إنجاز حققته هذه الإدارة فهو وصفها للنظام الإيراني وتصرّفاته بطريقة دقيقة وذلك منذ قيام "الجمهورية الإسلامية" التي أسسها آية الله الخميني في العام 1979.

الأكيد أن ليس بالانسحاب من سوريا، يمكن مواجهة إيران وعزلها. هذا ليس ممكنا من دون مقاربة شاملة تشمل كل البلدان والمناطق التي تتدخل فيها إيران مباشرة أو عبر أدواتها من ميليشيات مذهبية وضعت نفسها في خدمة مشروع توسّعي في أساسه إثارة الغرائز المذهبية.

> ترامب لم يتوقف يوما عن مهاجمة سلفه وسياساته مع تركيز خاص على سوريا حيث ضحّى أوباما بالشعب السوري وثورته الحقيقية على العبودية والظلم كي لا يغضب إيران

أكثر ما فاجأ في قرار ترامب الانسحاب من سوريا هو توقيته. يبدو الرئيس الأميركي مصرًا على نهج يقوم على فكرة أميركا أوّلا والتخلي عن الحلفاء بما في ذلك أعضاء حلف شمال الأطلسي. لم يتوقف الرئيس الأميركي عن مفاجأة الأميركيين والعالم. ما الذي ستكون عليه مفاجأته المقبلة بعدما تجاهل نصيحة العسكريين المحترفين وقرّر الانسحاب من سوريا ومن شرق الفرات تحديدا بكل ما يمثّله، خصوصا على الصعيد الإستراتيجي.

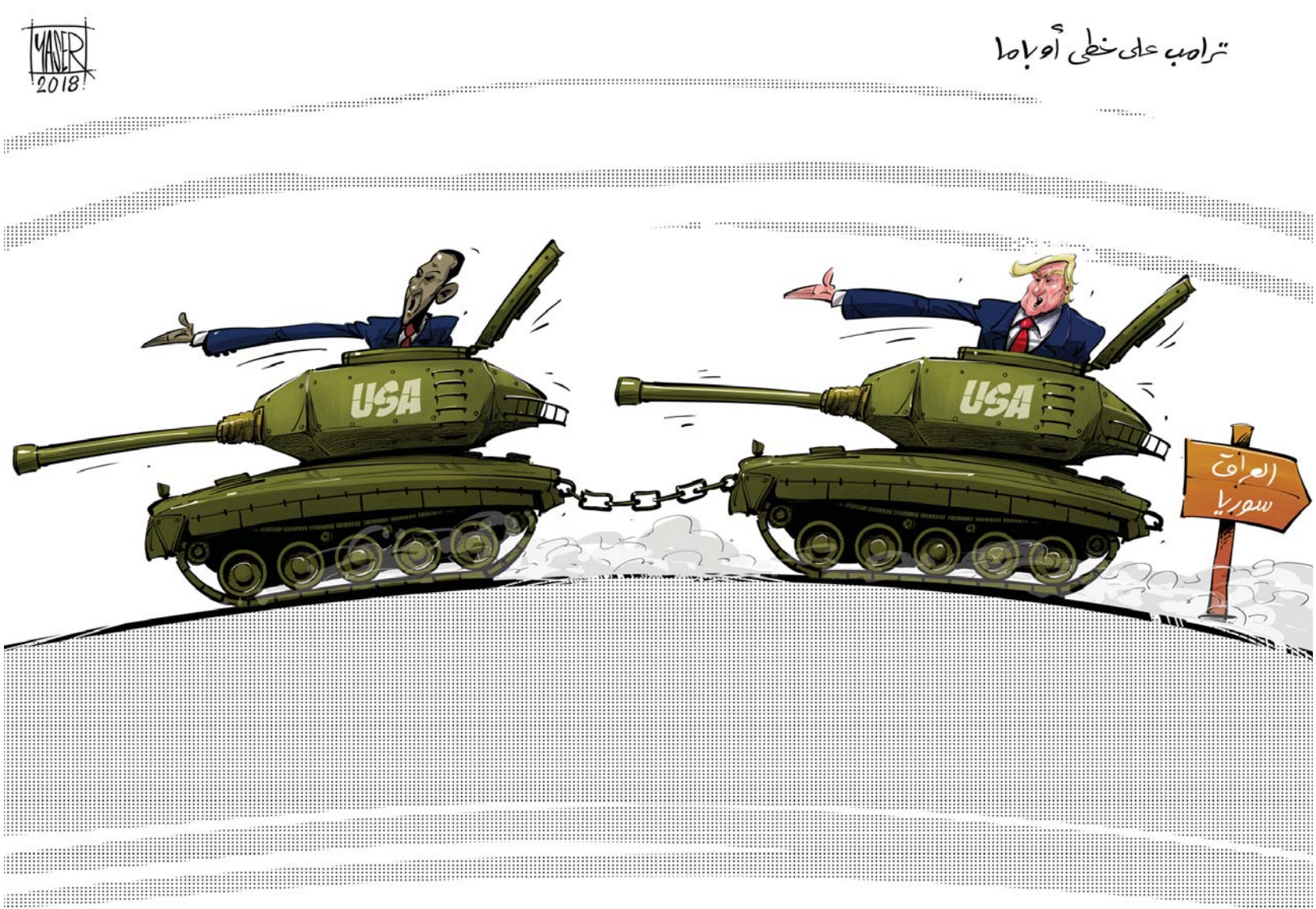

قرار الانسحاب الأميركي من سوريا يخلط الأوراق

رانيا رضوان مصطفى
كاتبة سورية

❑ نسفَ ترامب استراتيجية البقاء في سوريا بقرار الانسحاب المفاجئ. لا جديد دفعه إلى ذلك سوى نية تركيا شنّ هجوم عسكري على وحدات الحماية الكردية، وإجبارها على الخروج من منبج ومن الشريط الحدودي شرقي نهر الفرات.

لم تتمكن الولايات المتحدة من تحقيق تقدم كبير في استراتيجيتها ثلاثية الأهداف في سوريا. فحسب تقرير للبنتاغون يوجد ما لا يقل عن 14500 عنصر من تنظيم داعش، رغم انحسار سيطرته في جيوب صغيرة. كما أن واشنطن عجزت عن فرض شروطها على موسكو في ما يتعلق بالتواجد الإيراني والحل السياسي، خاصة مع تجدّد الخلاف مع روسيا حول الأزمة الأوكرانية، ومع كشف تحقيقات المحقق روبرت مولر عن تورّط روسيا في التدخل في الانتخابات الرئاسية الأميركية.

بعد فشل جورج بوش الابن في تحقيق استقرار في العراق، يخدم الولايات المتحدة، بعد احتلالها، مقابل الكلفة الاقتصادية والبشرية لهذا التدخل، اعتمدت الإدارة الأميركية، خلال عهد باراك أوباما، استراتيجية قائمة على خفض اهتمام الدولة العميقة بالشرق الأوسط، والتركيز على تواجد عسكري أكبر في شرق آسيا، وإعطاء أولوية للحرب التجارية التي تخوضها مع الصين، استباقا لصعود سياستها خارجيا.

تراجع الدور الأميركي في الشرق الأوسط سمح للكثير من القوى الإقليمية بملء الفراغ الذي ستتركه أميركا، كإيران وتركيا وروسيا.

اتفاق جنيف1 بين موسكو وواشنطن بخصوص سوريا في 2012، أعطى موافقة أميركية لروسيا بالنفوذ في سوريا. تدخلت روسيا عسكريا في سوريا في خريف العام 2015، وانحرفت سياستها للحل عن مسار جنيف إلى مسار سوتشي، ولجنة دستورية تبقي على النظام، واستعادت السيطرة على مساحات واسعة عبر اتفاقات خفض التصعيد للدول الضامنة في أستانة، بالتبادل مع الحليف التركي، وبالتشارك مع الحليف الإيراني.

هذه السياسات الروسية تمّت بموافقة واشنطن، التي تخلّت عن فصائل الجنوب التي كانت تدعمها. هذا يعني استمرار الولايات المتحدة بالاعتراف بأحقية النفوذ الروسي والتركي في سوريا، ولا خطوات جدية للحد من النفوذ الإيراني؛ وذلك بالرغم من أنّها تملك أوراقا لفرض دور كبير لها في سوريا، تتعلق بتواجدها العسكري على الثلث الأغنى اقتصاديا، والذي يضم 90 بالمئة من النفط ونصف الغاز السوري، وأنها تملك ملفات تدين رئيس النظام السوري، بجرائم حرب.

البقاء طويلا في سوريا ليس ضمن الاستراتيجية الأميركية، ولكنه حاصل؛ روسيا تريد السيطرة على كامل الأراضي السورية، وتتطلع إلى شرقي الفرات، وتركيا متضايقة من الخطر الكردي بسبب الدعم الأميركي للوحدات الكردية، وهي بصدد تنفيذ عملية عسكرية ضدها في منبج وتل أبيض ورأس العين.

التدخل العسكري الأميركي في سوريا لا يكلّف الولايات المتحدة كثيرا، لأنه جاء ضمن تحالف ضمّ 79 دولة لمحاربة تنظيم داعش في سوريا والعراق، ولا يكلفها بشريا، إذ اعتمدت على قوات محلية مضمونة الولاء من الوحدات الكردية وما يساندها ضمن قوات سوريا الديمقراطية.

واشنطن غير مهتمّة بالثروات السورية؛ وبالتالي التواجد العسكري الأميركي شرق سوريا يشكل ورقة مساومة مع كل من تركيا وروسيا، وورقة ضغط على إيران. في حين أن قرار الانسحاب بدوره يشكل ورقة ضغط على دول عربية متضايقة من التمدد الإيراني في سوريا ولبنان واليمن، لحثها على دفع تكاليف هذا التواجد، وضغطا على إسرائيل أيضا.

حمل ترامب ضمن حملته الرئاسية وعودا بتقليص حجم التواجد العسكري الأميركي في الشرق الأوسط. أعلن في مارس الماضي نيّته الانسحاب من سوريا، لكن إدارته أقنعته بالتأجيل، في حين أن جيمس جيفري المبعوث الأميركي الجديد إلى سوريا كان يعمل، بعكس ترامب، على عودة للدور الأميركي في الشرق الأوسط؛ إذ تبلورت مؤخرا في الولايات المتحدة استراتيجية جديدة في سوريا، قائمة على البقاء حتى تحقيق ثلاثة أهداف هي هزيمة داعش وضمان عدم عودته، واحتواء إيران، وتحقيق حل سياسي بموجب القرار 2254.

قامت الولايات المتحدة مؤخرا بإجراءات تدل على تعزيز التواجد العسكري في سوريا، بتدعيم قواعدها العسكرية بالمعدات، وتقديم السلاح الثقيل لحلفائها في قوات سوريا الديمقراطية، وبناء نقاط مراقبة لفصل الوحدات الكردية عن الحدود التركية، والإعلان عن نيّتها تدريب 40 ألف مقاتل محلي، وإقامة منطقة حظر طيران في الشمال السوري.

قرار ترمب لا يخلو من المزاجية ومن عقلية المضاربة وعقد الصفقات؛ فقد أراد تحريك الوضع "الستاتيكي" في سوريا، في خطوة تبدو أشبه بخلط لكل أوراق اللعبة السورية، تفتح أمام ترامب بازارات سياسية مع كل من روسيا وتركيا، في ملفات داخل سوريا وخارجها، في سباق لملء الفراغ الذي ستتركه أميركا في شرق سوريا.

يبدو أنّ تركيا على وشك السيطرة على منبج وتل أبيض ورأس العين، مع أنباء عن انسحاب القوّات الأميركية والفرنسية، وكذلك الوحدات الكردية منها. كما أن تركيا تلقت شحنة بطاريات الباتريوت وصواريخ أف 35 من أميركا، وتعمل الأخيرة على تسليم المعارض التركي عبدالله غولن، وإلغاء العقوبات.

مع تصاعد الخلافات الأميركية – الروسية، والتي وصلت إلى حد إلغاء القمة الثنائية بين بوتين وترامب، على هامش قمة الأرجنتين الاقتصادية مطلع الشهر الجاري، لا يبدو أن التنسيق مع الوحدات الكردية سيفيد موسكو كثيرا، مع وجود فصائل عربية محلية تدعمها أنقرة. أمام روسيا أن تقدّم التنازلات في ملفات خارج سوريا، وأن تعيد قنوات التواصل مع واشنطن للتنسيق حول عبورها الفرات، قبل أن تسبقها إليه أنقرة.

قرار ترامب المفاجئ بالانسحاب خلق توتّرا بين البيت الأبيض وبقية أركان الإدارة الأميركية، تمثل في استقالة جيمس ماتيس، وزير الدفاع، احتجاجا على آلية اتخاذ القرار، ما ينبئ بتخبّط كبير داخل الإدارة الأميركية، مع تزايد الاستقالات، ومواصلة البورصة هبوطها، وتوقعات بدخول الاقتصاد دورة الركود، واقتراب نتائج التحقيقات الروسية، وتفاقم الخلافات حول السياسات الخارجية، وعزم الرئيس سحب نصف قواته من أفغانستان.

ليس أمام البنتاغون ومؤسسة الاستخبارات سوى إنقاذ الموقف، والقبول المبدئي بقرار ترامب، أي انتظار ما سينتج عنه من صفقات قد تخدم مصالح أميركا، دون السماح له بانسحاب مفاجئ يخلي المكان لعودة تنظيم داعش وتقوية النفوذين الإيراني والروسي؛ وإلا عليهما عرقلة القرار ثانية، وإرجائه إلى أجل غير معلوم.

نهاية أسبوع حافلة بالأزمات في الولايات المتحدة

● المبعوث الأميركي لسوريا يلحق بوزير الدفاع وتوقع المزيد من الاستقالات في البنتاغون

● «جدار المكسيك» يشل عمل الحكومة الفيدرالية

أغلقت العديد من الإدارات الفيدرالية في الولايات المتحدة في وقت مبكر من السبت. ويأتي هذا "الإغلاق" الذي يعد تقليديا في السياسة في واشنطن، في ظل أجواء متوترة أصلا غداة استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس المفاجئة التي صدمت الكثير من البرلمانيين الجمهوريين.

❑ **واشنطن** – تمر الولايات المتحدة بنهاية سنة حافلة بالأحداث والأزمات التي تعود في أغلبها إلى سياسات الرئيس الأميركي دونالد ترامب، الذي تشهد حكومته استقالات متتالية من جهة سياسته الخارجية وانسحابه من سوريا، وأيضا من جهة سياسته الداخلية التي أفضت السبت إلى إصابة الإدارات الفيدرالية بشلل جزئي بعد إرجاء الكونغرس مداولاته بشأن مشروع قانون الاتفاق وتلبية طلب الرئيس الأميركي دونالد ترامب الحصول على أموال لبناء جدار على الحدود مع المكسيك.

> بسبب الإغلاق الجزئي للحكومة، يمكن أن يصبح مئات الآلاف من الموظفين في حالة «بطالة تقنية»، أي أنهم يضطرون لأخذ إجازة غير مدفوعة الأجر، أو يجبرون على العمل بلا أجر فوري قبل أيام من عيد الميلاد

وفي قمة جدل أميركي داخلي حول سياسات الرئيس ترامب، وأهليته لقيادة الولايات المتحدة، فاجأ الرئيس الأميركي، الداخل والخارج، بقرار سحب قواته من سوريا، في زلزال كان من أقوى تداعياته المباشرة استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس، بسبب وضوح لخلافاته في أمور السياسة مع الرئيس الأميركي، بعد ذلك بيوم قدم بريت ماكجورك، مبعوث الرئاسة الأميركية للتحالف العالمي لهزيمة تنظيم الدولة الإسلامية، استقالته قبل رحيله المقرر في فبراير.

وقالت محطة "سي.بي.أس" إن استقالة ماكجورك جاءت نتيجة "خلاف قوي" مع قرار دونالد ترامب سحب القوات الأميركية من سوريا، وسط توقعات بالمزيد من الاستقالات في البنتاغون لذات السبب. ونقلت شبكة "فوكس نيوز" عن مسؤول بوزارة الدفاع الأميركية، دون الكشف عن هويته، قوله "قد تكون هناك المزيد من الاستقالات من جانب مسؤولين في البنتاغون عقب استقالة وزير الدفاع جيمس ماتيس".

ووسط هذا الجدل، يتصاعد التوتر الأميركي بعد أن أغلقت العديد من الإدارات الفيدرالية في وقت مبكر من السبت بعد إرجاء الكونغرس مداولاته بشأن مشروع قانون الاتفاق وتلبية طلب الرئيس الأميركي دونالد ترامب الحصول على أموال لبناء جدار على الحدود.

وبسبب هذا الإغلاق الجزئي للحكومة، يمكن أن يصبح مئات الآلاف من الموظفين في حالة "بطالة تقنية"، أي أنهم يضطرون لأخذ إجازة غير مدفوعة الأجر، أو يجبرون على العمل بلا أجر فوري قبل أيام من عيد الميلاد.

وللحؤول دون هذا "الإغلاق" كان يفترض بمجلسي النواب والشيوخ أن يتوصلا إلى اتفاق مع البيت الأبيض قبل منتصف ليلة الجمعة/السبت لرفع سقف الموازنة الفيدرالية. لكنّ المفاوضات التي استمرت حتى اللحظات الأخيرة باءت بالفشل بسبب رفض المشرّعين الديمقراطيين الموافقة على تمويل بناء جدار على الحدود مع المكسيك يريد الرئيس ترامب تشييده لوقف الهجرة غير الشرعية إلى الولايات المتّحدة.

ولم يتّضح بعد إلى متى سيستمر هذا الإغلاق، لكنّ المؤشّرات بدت غير مطمئنة، ما ينذر باحتمال أن يمضي الأميركيون عطلتي الميلاد ورأس السنة محرومين من خدمات حكومية رئيسية. وكتب الرئيس ترامب في تغريدة على تويتر "نأمل ألا يستمر هذا الإغلاق طويلا". ومع ذلك تبدو المواقف في الأيام الأخيرة متباعدة جدا.

عقبات في مجلس الشيوخ

من جهة، قال الرئيس الجمهوري الذي جعل من مكافحة الهجرة السرية محورا لمعركته، إنه لم يوقع قانونا لميزانية لا تشمل خمسة مليارات دولار لتمويل بناء الجدار. وقد رفض الخميس تسوية لأمد قصير تسمح بتمويل الحكومة حتى الثامن من فبراير لأنها لا تشمل وسائل كافية لمراقبة الحدود.

ومن جهة أخرى، لا يريد النواب الديمقراطيون الجدار إطلاقا. وفي بداية يناير سيصبحون أغلبية في مجلس النواب بعد فوزهم في انتخابات نوفمبر، ما يجعل تمرير قانون من هذا النوع أصعب. وكانت الأغلبية الجمهورية الحالية وافقت الخميس على نص جديد يسير باتجاه مطالب ترامب بما في ذلك تمويل للجدار بقيمة 7.5 مليارات دولار. وحتى الآن يواجه ترامب صعوبة في مجلس الشيوخ، حيث لا تتجاوز الأغلبية الجمهورية الـ51 مقعدا من أصل مئة. وهو يصطدم بعقبة الحصول على أغلبية 60 صوتا ضرورية لتبني الميزانية. لكن فرصة التوصل إلى نتيجة في المفاوضات قائمة. ويطالب الرئيس بتخصيص مبلغ كبير لأمن الحدود في حال لم يلب طلبه بشأن المليارات الخمسة التي يريدها للجدار.

أجواء متوترة

أجواء سياسية متوترة

قال أعضاء في مجلس الشيوخ للصحافيين، إن مسؤولي الحزبين في الكونغرس تفاوضوا في الكواليس مع البيت الأبيض وخصوصا مع نائب الرئيس الأميركي مايك بنس وجاريد كوشنر صهر الرئيس ومستشاره وكذلك مع كبير موظفي البيت الأبيض بالوكالة مايك مولفاني. وقال السيناتور الجمهوري جون كورنين، إنهم تفاوضوا على تسوية تنص على تخصيص 6.1 مليار دولار لمكافحة الهجرة غير القانونية. وكان الرئيس ترامب مستعدا لهذا "الإغلاق". وغرّد مساء الجمعة قائلا "ألغيت رحلتي على متن الطائرة الرئاسية إلى فلوريدا بينما كنا ننتظر لنرى ما إذا كان الديمقراطيون سيساعدوننا في حماية الحدود الجنوبية لأميركا". وقبيل ذلك كتب في تغريدة أخرى بعدما استقبل قادة جمهوريين أعضاء في الكونغرس "من الممكن أن نصل إلى إغلاق. ويمكنني القول إن الاحتمال كبير جدا".

مهمة مثل العجلة

لمحاولة إقناع البرلمانيين قدم ترامب مقارنة جريئة صباح الجمعة. وقال إن "الديمقراطيين يحاولون الانتقاص من مفهوم الجدار معتبرين أنه قديم. لكن الواقع هو أنه لا شيء سينفع وهذا هو الحال منذ الآلاف من السنين. إنه مثل عجلة، لا شيء أفضل منه".

وقدر البرلمانيون الديمقراطيون بأكثر من 800 ألف موظف فيدرالي عدد الذين سيتأثرون بهذا "الإغلاق" من أصل 1.2 مليون موظف. وسيصبح نحو 380 ألف شخص في بطالة تقنية بينهم 95 بالمئة من موظفي وكالة الفضاء الأميركية (ناسا) ووزارة السكن، و52 ألف موظف من إدارات الضرائب.

ويفترض أن يواصل حوالي 420 ألف موظف آخرين في الإدارات التي تعتبر أساسية، العمل دون أن يتلقوا أجورا فورا حسب الديمقراطيين. وبين هؤلاء 150 ألف موظف في وزارة الأمن الداخلي التي تشرف على شرطة الحدود والنقل، وأكثر من 40 ألف موظف في مكتب التحقيقات الفيدرالي "أف. بي.آي" ووكالة مكافحة المخدرات وإدارة السجون.

التصدي للطائرات المسيّرة في محيط المطارات لا يزال في بداياته

❑ **باريس** - لا تزال تقنيات التصدي للطائرات المسيّرة في محيط المطارات تخطو خطواتها الأولى بحسب خبراء، فيما تشكل الحوادث المتزايدة في هذا الإطار ضغطا إضافيا وآخرها ما شهده مطار غاتويك قرب لندن في الأيام الماضية.

وقال وزير النقل البريطاني كريس غرايلينغ لهيئة "بي.بي.سي"، "لا حل تجاريا جاهزا من شأنه معالجة كل المشكلات تلقائيا"، مشيرا إلى أن هذه التقنيات "ظهرت للتو".

واستأنف مطار غاتويك نشاطه عصر الجمعة بعدما اضطرت السلطات القائمة عليه إلى وقف تسيير الرحلات في هذا المرفق الخميس وبعد ظهر الجمعة بسبب الظهور المتقطع لطائرات مسيّرة غامضة.

وسجلت السنوات الأخيرة ازديادا كبيرا في الحوادث المتصلة بالطائرات المسيّرة، ففي 2016 أحصت الوكالة الأوروبية للسلامة الجوية 1400 حادثة من هذا النوع في أوروبا في مقابل 606 بين 2011 و2015.

وفي 2016، اضطر مطار دبي الدولي إلى وقف رحلاته ثلاث مرات بسبب طائرات مسيّرة ترفيهية كانت تشكل خطرا على طائرات الركاب التجارية. كذلك تجنبت طائرة تابعة لشركة "إير فرانس" حادث اصطدام مع طائرة مسيّرة كانت تحلق على مسافة قريبة جدا على علو 1600 متر قرب مطار رواسي-شارل ديغول.

وفي حال اصطدام طائرة مسيّرة بأخرى تجارية أو شفطها من قبل محرك الطائرة، يأتي الخطر الأساسي من بطارية الليثيوم (وهي مادة شديدة الاشتعال) الخاصة بالطائرة المسيّرة. وقال مدير مطار غاتويك ستيوارت وينغايت "من غير المقبول أن تتسبب طائرات مسيّرة بإغلاق جزء حيوي من بنانا التحتية الوطنية"، داعيا مجمل الأطراف في القطاع إلى مجابهة هذا "التحدي" على قطاع الطيران "سريعا".

أقر أعضاء البرلمان الأوروبي قواعد سلامة مشتركة لبلدان الاتحاد الأوروبي بشأن استخدام الطائرات المسيّرة. ويخضع الاتحاد حاليا إلى تشريعات مختلفة تبعا للبلدان، إلا أن القواعد الجديدة تنتظر الموافقة الرسمية من الوزراء الأوروبيين قبل الدخول حيّز التنفيذ.

معادلة مستحيلة

وفي فرنسا، وضعت المديرية العامة للطيران المدني خارطة تفاعلية للمناطق التي يحظر فيها تسيير طائرات من دون طيّار بما يشمل المطارات. وتقام تجارب على الأنظمة المضادة للطائرات المسيّرة حاليا في بعض من أكبر مطارات العالم وفق لوكاس لوبيل مؤسس شركة "سيربير" الناشئة المتخصصة في التصدي للطائرات المسيّرة.

وفي مطار رواسي- شارل ديغول قرب باريس، يجري حاليا تقييم نظام للحماية عن بعد من الطائرات المسيّرة التي قد تستخدم لغايات الأذى. لكن في ظل الضجيج الكبير في المطارات والحساسية الفائقة لناحية مسائل السلامة وحالة الإشباع التي بلغها نظام الاتصالات، تشكّل تقنيات التصدّي للطائرات المسيّرة تحديا تقنيا حقيقيا.

وثمة تقنيات رصد موجودة بينها عبر الرادار والتقنيات البصرية والسمعية والموجات الراديوية، لكن فور رصد الطائرات المسيّرة ثمة مشكلة متصلة بوسائل تعطيلها (عن طريق التشويش على الموجات مثلا). وهذه الوسائل محظورة في البلدان المتطورة إلا في حالات استثنائية، بسبب خطورتها وتعقيداتها.

وأوضح لوبيل "في الواقع، هذا الأمر أشبه بمعادلة مستحيلة"، مضيفا أن "التصدي عن طريق الليزر والمدافع المضادة للطيران والنسور، كل هذه التدابير هي في الواقع من ضروب الخيال العلمي. من المستحيل استخدامها في مطار أو موقع حساس أو في بيئة حضرية مع كل التعقيدات التي يشكلها ذلك".

> السنوات الأخيرة سجلت ازديادا كبيرا في الحوادث المتصلة بالطائرات المسيّرة، ففي 2016 أحصت الوكالة الأوروبية للسلامة الجوية 1400 حادثة من هذا النوع في أوروبا في مقابل 606 بين 2011 و2015

وأضاف "هي الوحيدة التي تسمح ليس برصد طائرة مسيّرة وتحديد موقعها فحسب، بل أيضا الجهة التي تسيّرها" في اللحظة التي تشغّل فيها نظام التحكّم عن بعد. غير أن المشكلة تكمن في وقت التفاعل لرصد آلية تحلق بسرعة 60 كيلومترا في الساعة بخط مستقيم مع الالتفاف على كل أنظمة السلامة.

وقد وُضع نظام للنسور المدربة على اعتراض الطائرات المسيّرة في قاعدة 118 الجوية في مون دو مارسان الفرنسية، وهو مستوحى من تجربة مشابهة في هولندا. غير أن طموحات هذا البرنامج قد تتقلص إثر حادثة في الربيع تسبب فيها نسر بجرح فتاة بعدما جذبته سترة كانت مربوطة حول وسطها وظنّ أنها طائرة من دون طيار.

وعلى صعيد الرصد، يهيمن استخدام تحليل الموجات الراديوية على السوق وفق لو بيل، الذي أوضح أن هذه التقنية "تقوم على الاستماع للاتصالات الدائرة في المحيط والتركيز على نطق الموجات المستخدمة من الطائرات المسيّرة".

محمد دحلان لـ«العرب»: حلّ الدولة الواحدة سيفرضه واقع التطورات

- أبومازن مسؤول عن استمرار الانقسام وصلاحيته منتهية منذ تسعة أعوام
- تيار الإصلاح العمود الفقري لحركة فتح
- مشاريع تركيا وقطر أوهام منعزلة عن الواقع

أحمد البصيلي

دحلان: مصائر الأوطان والشعوب لا تتوقف على أشخاص

❑ **القاهرة** – ارتبط اسم القيادي الفلسطيني محمد دحلان زعيم التيار الإصلاحي في حركة فتح الفلسطينية دائما بالقضايا الشائكة والأحداث المثيرة، بسبب علاقاته السياسية المتشعبة، فضلا عن تحركاته المكوكية وتنقله الدائم بين عواصم عربية وعالمية، وهو الذي يملك فكرا متقدما للتعامل مع التطورات الجارية، ما يجعله يتعرض لسهام النقد من جهات مختلفة.تحدث محمد دحلان، في حوار مع "العرب"، عن التطورات الفلسطينية على ضوء التحركات الراهنة، قائلا إن "موقفه الثابت هو خيار حلّ الدولتين، الأنسب والأفضل والأنجع لحلّ الصراع وتحقيق الاستقرار، وتحرر الشعب الفلسطيني من الاحتلال واستعادة حقوقه المغتصبة".

لكنه استطرد مشيرا إلى أنه بالنظر إلى الوضع الراهن والشروط القائمة فإن هذا الخيار ليس ممكنا من الناحية الجغرافية في الضفة الغربية والقدس، إلا إذا كنا نتحدث عن بضع جزر متناثرة أقرب إلى "محابس" تطوق الملايين من شعبنا، وهذا سيكون أسوأ من الاحتلال القائم.

وأوضح أنه وجه رسالة إلى الإسرائيليين بأن "الشعب الفلسطيني لن يقبل بأقل من دولة فلسطينية سيادية مستقلة على حدود الرابع من يونيو 1967 وعاصمتها القدس الشرقية، وأن الإسرائيليين قتلوا ويقتلون ذلك الخيار يوميا، وعلينا وعليكم مواجهة استحقاقات الخيار الآخر وهو خيار الدولة الواحدة، وبمقاييس الظروف الراهنة أرى خيار الدولة الواحدة ممرا إجباريا يفرضه الاحتلال علينا وعلى نفسه بكلفته الديموغرافية المرتفعة مستقبلا".

> المساعدات الإماراتية للشعب الفلسطيني ليست خاضعة لحسابات ومناورات، بل من واقع إيمان قادة الدولة بواجبهم الأخوي تجاه شعب فلسطين، وذلك نهج أسسه الراحل الشيخ زايد ويسير عليه الشيخ خليفة بن زايد والشيخ محمد بن زايد

وترفض حكومة الاحتلال الإسرائيلي بقيادة بنيامين نتنياهو مبدأ حل الدولتين، فضلا عن دعمها لسياسة الاستيطان بشكل كبير في مدن الضفة الغربية، في ظل ضعف تام للسلطة الوطنية الفلسطينية برئاسة محمود عباس (أبومازن).

قانون القومية الإسرائيلي

عن قانون القومية الإسرائيلي، أكد دحلان أن التشريعات شيء والواقع على الأرض شيء آخر، لأن قانون القومية يؤكد النزعات العنصرية، لكن الواقع سيجتاحه مع مرور الزمن ولن يكون أمام الاحتلال إلا ثلاثة خيارات، إما العودة سريعا إلى حل الدولتين وبما يقبله الشعب الفلسطيني، وهذا غير ممكن في ظل تفوق اليمين الحاكم، وإما إعلان إسرائيل أنها دولة عنصرية تسحق حقوق ومتطلبات الملايين من الفلسطينيين، وهذا لن يمر دون صراع ودماء، وإما الاستسلام لحل الدولة الواحدة، وهذا الخيار هو الأقرب للواقع القائم، وأنا أقبل به!

وأكد دحلان أن خيار حل الدولة الواحدة ليس مزاجيا بل سيفرضه واقع التطورات وسيكون نتيجة طبيعية للسياسات الإسرائيلية، إلا إذا انسحبت إسرائيل إلى حدود 4 يونيو 1967، أو توغلت في التطرف والعنصرية، عندها سنكون أمام النموذج العنصري المقيت مثل الذي كان قائما في جنوب أفريقيا في القرن الماضي.

حول صفقة القرن الأميركية للحل، قال محمد دحلان، إنه ليس ممن ينخدعون أو يخدعون أنفسهم، وأميركا لن تضع على الطاولة ورقة أو مبادرة إلا بعد صياغتها وتدقيقها حرفا بحرف مع الحكومة الإسرائيلية، وما يسمى بالصفقة الأميركية ستكون إسرائيلية في واقع الأمر، ولن تبتعد عما تريده الحكومة جغرافيا وأمنيا وسياسيا، والجانب الأميركي قد يستفيض في العروض الاقتصادية فقط، على حساب المال العربي والمال الأوروبي.

وأشار مستشار الرئيس الأميركي جاريد كوشنر، إلى طرح الولايات المتحدة لبنود صفقة القرن مع بدايات العام المقبل، بعد إدخال بعض التعديلات عليها خلال الأشهر الأخيرة. وبسؤاله عن مدى تمسك الشعب الفلسطيني بخيار مقاومة الاحتلال، استبعد دحلان وجود شعب تحت الاحتلال ويسقط خيار المقاومة، مشددا على مواصلة الشعب الفلسطيني لمقاومته بكل الوسائل مهما كلف الأمر أو طال الزمن، قائلا "وما رفض الحلول المجحفة إلا شكلا من أشكال المقاومة".

عن احتمال سرقة إسرائيل للمزيد من أراضي الضفة دعما للاستيطان في ظل ضعف سلطة أبومازن، أوضح دحلان أن الاحتلال الإسرائيلي يقوم بذلك يوميا في ظل التنسيق الأمني (المقدس) بسبب تهالك السلطة والانقسام وتأثيره على أولويات القوى الفلسطينية، مشيرا إلى أن الأخطر هو محدودية المقاومة بحكم تحاشي السلطة ومؤسساتها مقاومة المحتل وتأثير ذلك حتى على قدرة حراك فتح في الضفة الغربية.

أزمة السلطة الفلسطينية

استبعد دحلان انهيار السلطة الوطنية الفلسطينية لأن الاحتلال الإسرائيلي لن يسمح لها بالانهيار بحكم احتياجاته الأمنية وتجنبه التورط مجددا بإدارة الشؤون اليومية للناس، "لكن إذا كان السؤال هل السلطة أداة تعزيز لصمود شعبنا ومقاومته للمحتل؟ فالجواب قطعا لا رغم الأعباء المالية الضخمة التي يتكبدها شعبنا بحكم إنفاق السلطة أكثر من 5.5 مليار دولار سنويا".

وحول تلويح الرئيس أبومازن بحل المجلس التشريعي في القريب العاجل، أكد دحلان أنه "وفقا للقانون لا يملك أبومازن صلاحية حل المجلس التشريعي، إلا إذا أعاد منصبه المغتصب (يقصد انتهاء الولاية القانونية له منذ عام 2009) إلى الشعب الفلسطيني ليقرر الشعب اختيار قياداته الجديدة عبر انتخابات ديمقراطية جديدة".

وحذر من أي قرار جائر وتعسفي بحل المجلس التشريعي الفلسطيني، لأن ذلك يزيد من عزلة أبومازن نفسه ويضيف عبئا جديدا على ملفات الخلاف والانقسام، مشيرا إلى أن مقاومته هذا التوجه ليست خشية من أنه سيؤدي إلى عزله أو إضعافه، إنما لأنه توجه غير قانوني مثل كل قرارات وإجراءات أبومازن، خاصة بعد انتهاء صلاحيته منذ تسعة أعوام.

بسؤاله عن الطرف الذي يتحمل مسؤولية إفشال الجهود المصرية لإنجاز المصالحة بين فتح وحماس، حمّل محمد دحلان حركة حماس والرئيس أبومازن المسؤولية، مشيرا إلى أن الأخير (أبومازن) يتحمل المسؤولية الأكبر لأنه ببساطة لا يريد غزة ومسؤولياتها، فالشروط والمطالب التي وضعها أبومازن تعجيزية تماما ولا يمكن لقيادة حماس قبولها وهو يعلم ذلك ويتعمّد التعجيز.

ولفت إلى وجود جوانب من المسؤولية مشتركة لدى طرفي الانقسام، لكن شروط أبومازن هي العائق الآن رغم علمه بالأضرار الخطيرة التي يلحقها استمرار الانقسام بالشعب الفلسطيني وقضيته الوطنية، فعقوبات أبومازن بحق غزة تضاعف من حدّة الحصار الإسرائيلي وتخلف ضحايا وجرائم لن تسقط بالتقادم، كما أن هناك تيارا في حماس لا يريد إنهاء الانقسام تمسكا بحكم غزة في كل الظروف.

تواجه المصالحة الفلسطينية التي ترعاها مصر تحديات كبيرة بسبب مراوغة طرفي الانقسام خلال الأشهر الأخيرة، وتحاول روسيا لعب دور توفيقي لتحقيق المصالحة بين فتح وحماس، ورحبت الأخيرة بمبادرة موسكو لإيجاد حل لقضية الانقسام. وأكد محمد دحلان أن مصر بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسي تعمل من أجل خير ووحدة الشعب الفلسطيني، لكن تلك الجهود النبيلة اصطدمت وتصطدم بكم كبير من العوائق والشروط التعجيزية المتعجرفة.

الدعم الإماراتي

وحول المساعدات التي يقدمها إلى غزة والدعم الإماراتي إلى القطاع ومدى ارتباطه بمواجهة المقامرة القطرية بمعاناة الشعب الفلسطيني، كشف دحلان أن المساعدات التي يقدمها أقل واجب ويعمل على زيادتها خلال الفترة المقبلة قدر الإمكان، ومن واقع معرفته وخبرته فدولة الإمارات لا تبني سياستها وعطاءها على ردود الأفعال، والمساعدات الإماراتية للشعب الفلسطيني ليست خاضعة لحسابات ومناورات، بل من واقع إيمان قادة الدولة بواجبهم الأخوي تجاه شعب فلسطين، وذلك نهج أسسه الراحل الشيخ زايد ويسير عليه الشيخ خليفة بن زايد والشيخ محمد بن زايد.

حول مصير فلسطين بعد الحديث عن صحة أبومازن، أكد دحلان أن مصائر الأوطان والشعوب لا تتوقف على أشخاص، لكن إن كان أبومازن يريد أن يذكر بأي خير في التاريخ الفلسطيني عليه أن يعمل وبسرعة من أجل انتخابات رئاسية وتشريعية نزيهة وأن يتنحى بحكم وضعه الصحي وعامل الشيخوخة، بدلا من أن يخلف فراغا مفاجئا فوق ما خلفه من أزمات ومآزق.

وتتخوف القوى الفلسطينية من حدوث فراغ في المشهد السياسي حال غياب الرئيس عباس، بسبب الصراع الشرس بين أعضاء اللجنة المركزية لحركة فتح، فضلا عن الانقسام الذي يقوّض أي جهود مستقبلية للحركة في قيادة المشروع الوطني.

وعن نيته الترشح للرئاسة الفلسطينية في الانتخابات المقبلة، أشار دحلان إلى أنه لا يفكر بذلك الآن بل بما يستطيع إنجازه حالا لفلسطين، خاصة للقدس وغزة والفلسطينيين في لبنان وسوريا، وأضاف "لا أعتقد بأن موقفي سيتغير لكن سأتخذ قراري النهائي عندما تتقرر الانتخابات وأرى من هم المرشحون وفي ما إذا كان بينهم من يستحق دعمي".

وحول حجم وفاعلية تيار الإصلاح الديمقراطي في فتح، نوه محمد دحلان إلى أن مهرجان التيار الإصلاحي بذكرى استشهاد الرئيس الراحل ياسر عرفات (أبوعمار) يشير إلى قوة تيار الإصلاح، فهو العمود الفقري لحركة فتح، مضيفا "أنا فخور بذلك وبالجهود الكبيرة لرفاقي وزملائي والقادم أعظم".

حول الموقف القطري تجاه الأوضاع الراهنة في قطاع غزة، أكد القيادي الفلسطيني أن النظام القطري يحاول العبث في كل مكان بتسخير الأموال وطريقة إنفاقها، قائلا "قد تتفاجؤون من إجابتي، ففي الوقت الذي أرفض فيه العبث القطري، لا أرى سوءا إن قررت قطر بجدية دعم شعبنا المحاصر في قطاع غزة أو القدس، بما أمكن من مقومات الحياة مثلا الكهرباء والماء والاحتياجات الغذائية والطبية أو حتى دعم المؤسسات الدولية الراعية لشعبنا، مثل الأونروا، ولكن هل تفعل قطر ذلك؟".

وردا عما طرحه السفير القطري محمد العمادي حول بناء مطار وميناء في غزة تشرف عليه الدوحة أمنيا، أجاب دحلان بشكل ساخر على الطرح القطري "هذا يعني أن قطر تطلب امتلاك قاعدة عسكرية وأمنية في غزة وهذا أمر مضحك".

جنون تركي وقطري

عن سبب زج تركيا وقطر باسم محمد دحلان في كل المشكلات الكبيرة وآخرها الزعم بتورطه في قتل الصحافي السعودي جمال خاشقجي، أكد القيادي الفلسطيني وجود أسباب متعددة تتدرج من الشعور بالهزيمة والخذلان وجنون الارتياب وصولا إلى الحقد والرغبة في الانتقام. وأشار إلى أنه لم يخف يوما تصادمه السياسي مع مشروعي الأخونة ووهم الخلافة، فتركيا وقطر أصحاب تلك الأوهام المشبوهة والمنعزلة تماما عن الواقع، خاصة بعد انهيار مشروعهما، بداية من ثورة الشعب المصري العظيمة في 30 يونيو 2013.

وسخر دحلان من بعض الأوهام التي تتحول إلى نهج فج تكرس له وسائل إعلامية وسياسية ومالية، وتساءل "بماذا تفسر ما يقوم به حمد بن خليفة واستهدافه الدائم لمصر والسعودية، وكيف يحلم من كان مثله وحجمه بتمزيق دولتين كبيرتين بهدف السيطرة عليهما، وكذلك الأمر بالنسبة لأردوغان المصاب بجنون الارتياب والعظمة، وأنا بصراحة أحيانا أتفهم حالته النفسية بعد أن تلاشت أحلام الخلافة والسلطنة وضاع منه كل شيء".

وأكد القيادي الفلسطيني أنه لم يضطر يوما لتوضيح كذبة ما أطلقوها (الأتراك والقطريون) هنا أو هناك، ولا الدفاع عن نفسه لأن الواقع هو الذي يكشف كذبهم وزيفهم دائما، لكنهم لا يخجلون ويواصلون نفس النهج الذي داسته أقدام شعوبنا.

وبشأن أسباب استهدافه من قبل كل من تركيا وقطر، قال دحلان "لا أخشى حملات الكذب والتضليل، وأصدقائي يعرفونني جيدا كما أعرفهم وأحترمهم وعلاقاتي مع العواصم الشقيقة لا تقوم على أساس مصالح شخصية أو آنية، بل أساسها الثقة والرؤية المشتركة والعمل الجاد من أجل مصالح أمتنا وشعوبنا".

وطالب محمد دحلان من يتهمه بالتورط في قضية مقتل خاشقجي أو انقلاب تركيا ضد أردوغان بتقديم الدليل على ذلك، مشيرا إلى محاولات (تركيا وقطر) بث مزاعم بطريقة مثيرة للشفقة ولم تصمد أكاذيبهم لساعات، ولم يستطع أردوغان الكشف عن أي صلة لي رغم عشرات الآلاف من المعتقلين في سجونه وسنوات من التحقيقات، والسبب بكل بساطة أن لا علاقة لي لا من قريب ولا من بعيد بما جرى، ولا أعرف أحدا من خصوم ومعارضي أردوغان، ولم أتعاون مع أحد منهم يوما، وأسمع عنهم كما تسمعون أنتم عنهم.

سياسي لبناني مسلَّح يخرج من كَرْم اللقاء التشاوري بسلة فارغة

عبدالرحيم مراد

عرّاب «سنّة حزب الله» الذي لا يقبّل يده أحد

صلاح تقي الدين

❑ يدرك اللبنانيون أن قصة تجمّع النواب السنّة الستة الذين فازوا في الانتخابات النيابية الأخيرة تحت مسمّى اللقاء التشاوري لم تكن إلا واحدة من "العقد" المصطنعة التي ابتدعها حزب الله أمام تشكيل الحكومة اللبنانية العتيدة والتي يمكن أن تكون قد أبصرت النور مع نشر هذا المقال، إذا لم يتم خلق عقدة جديدة في وجه ولادتها.

غير أن النائب عن منطقة البقاع الغربي عبدالرحيم مراد كان "العقدة" الفعلية في ذلك التجمّع، إذ أن المطلوب كان واحدا ولو تحت حجج مختلفة؛ دخوله شخصيا إلى الحكومة أو في الحد الأدنى تمثيله من خلال أحد أبنائه.

> الرياح لا تسير كما تشتهي سفن مراد، لا بل لعلّه الخاسر الأكبر في اللعبة اليوم، فبعدما كان يمني النفس بما عجز عن تحقيقه طيلة حياته السياسية، حاول تجيير المسألة إلى أحد أبنائه، علّه بذلك يضمن استمرارية «إرثه» السياسي من خلال توزيره، وبالتالي فتح الأبواب أمامه لكي يستمر في العمل السياسي اللاحق، إلا أن الضربة جاءت من حيث لم يكن يتوقع

مراد الذي كانت قوى الممانعة، تستخدمه كورقة في وجه رئيس الحكومة المكلف سعد الحريري باعتباره الاسم الجاهز لتسميته رئيسا بديلا في حال اعتذار الحريري عن التكليف، كان يُستخدم بهذا الدور في كل مرة كانت تجرى فيها استشارات نيابية لتشكيل حكومة جديدة في لبنان، لكنه في هذه المرة، كان يمنّي النفس بنقل شعلة السياسة إلى أحد نجليه، حسين أو حسن، على اعتبار أن انتقاداته الدائمة للوراثة السياسية تسقط عندما يصل "البلل" إلى ذقنه.

أوهام ومشاريع مريبة

فاز مراد الذي ولد في العام 1942 عن المقعد السني في دائرة البقاع الغربي راشيا في الانتخابات الأخيرة، نتيجة أخطاء في إدارة التحالفات الانتخابية ارتكبتها قوى 14 آذار في المنطقة وعلى رأسها "تيار المستقبل"، لكن في المحصلة أعادت مراد إلى ساحة النجمة بعدما كان قد فشل في ذلك منذ العام 2005.

عيّن نائبا عن الدائرة نفسها للمرة الأولى في العام 1990 عقب إنجاز اتفاق الطائف، ثم نجح في الفوز بمقعده النيابي في الدورات الانتخابية التي جرت حتى العام 2000، نتيجة الدعم العلني له من قبل نظام الوصاية السوري على لبنان، والذي كان مراد أحد أبرز رموزه.

خلال تلك الفترة، تولى مراد حقائب وزارية عديدة منها وزارة التعليم المهني والتقني في العام 1994، ووزارة التربية والتعليم العالي، ووزارة دولة من دون حقيبة، قبل أن يحلّ في العام 2004 وزيرا للدفاع في حكومة الرئيس عمر كرامي والتي استقالت تحت وطأة اغتيال الرئيس رفيق الحريري.

في مطلع شبابه، تأثر بالزعيم المصري الراحل جمال عبدالناصر، وهو يقول إن انتماءه الناصري بدأ في العام 1958 حيث راح يكثّف مطالعاته الفكرية والسياسية وبخاصة القومية العربية، لكن أزمة الانفصال شكّلت "صدمة كبيرة بعدما كنا نمنّي النفس بالوحدة ونتائجها"، فسافر إلى مصر ليكون "قريبا من عبدالناصر" وتابع دراسته ونال شهادة الثانوية العامة من القاهرة.

ومع نشوب الحرب الأهلية في لبنان، كان مراد الذي انخرط كثيرا في العمل السياسي والحزبي يرغب في جمع الفصائل الناصرية المختلفة في بوتقة واحدة، فعمل مع شلة من رفاقه على تأسيس الاتحاد الاشتراكي العربي.

لكن عقد ذلك الاتحاد سرعان ما انفرط، ولم يجد له مساحة عمل كافية في ظل الحرب التي بدأت تنتشر لتغطي مساحة الأرض اللبنانية، فسافر إلى البرازيل في العام 1976، وبدأ مغامرته الجديدة في جمع التبرعات لصالح تحقيق "حلم" بناء مؤسسة تربوية نموذجية، فعاد إلى لبنان ليؤسس "مركز عمر المختار" التربوي الذي انطلق منه ليحقق أحلامه المادية والسياسية.

استفاد مراد من غطائه السوري ليوسّع نشاطات مركزه التربوي فبنى فروعا عدة في مختلف مناطق البقاع، غير أن طموحاته توسّعت فاستولى، من دون وجه شرعي، على أراض تابعة لجمعية "وقف النهضة الخيرية الإسلامية" التي أسسها لينشئ "الجامعة اللبنانية الدولية"، مستفيدا من تغطية حكومة الرئيس نجيب ميقاتي الذي وقّع على مراسيم تجيز لشركة "ديبلوماكس" التي يملكها أبناء مراد وصهره سمير أبي ناصيف، إنشاء تلك الجامعة ضاربا عرض الحائط بالشروط القانونية والتعليمية التي تتحكّم في منح رخص إنشاء الجامعات والمعاهد التعليمية في لبنان.

جامعات ميليشياوية

المثير في فضيحة الجامعة أنها لم تكن مجرد مشروع تربوي استثماري وحسب. فقد كان هناك دور مرسوم يراد لها أن تلعبه في ما بعد. ورغم رفض اللجنة الفنية في مجلس التعليم العالي لملف الترخيص المقدم إلى وزارة التربية، وتوضيح المدير العام للتعليم العالي أن معظم الشروط الفنية الخاصة بالكليات التطبيقية غير متوفرة في الملف، ورأي المستشار القانوني في رئاسة مجلس الوزراء المعارض للموافقة على الترخيص بسبب وجود تضارب في المصالح ناشئ عن كون مقدم طلب الترخيص مدير شركة "ديبلوماكس" هو نائب رئيس الجامعة المذكورة، وأن أبناء رئيس الجامعة المذكورة يملكون ثلثي الحصص في الشركة طالبة الترخيص، إلا أن وزير التربية آنذاك حسان دياب أحال الملف إلى مقام رئاسة مجلس الوزراء طالبا الموافقة عليه، والأسباب التي دفعته إلى ذلك غير واضحة، علما وأن دياب علّل القرار الذي رفعه إلى مجلس الوزراء باقتراح الموافقة أرفقه بنص "يمنع المؤسسة من المباشرة في التدريس قبل تنفيذ تعهداتها، والأخذ بملاحظات اللجنة الفنية".

مشاريع مراد لم تتوقف عند هذا الحد، فقد حوّل "صروحه" الجامعية إلى مراكز تدريب عسكرية، حيث انتشرت مؤخرا مقاطع فيديو على مواقع إلكترونية تُظهر عناصر حزبية بلباس عسكري وهم يقومون بتدريبات تطبيقية على مجموعة من الأسلحة، في مكاتب داخل المؤسسات التربوية العائدة لمراد في البقاع الغربي وراشيا.

واللافت أن السلاح الذي ظهر على الإعلام، يبدو حديثا، ما يعني أن ثمة تسليحا على نطاق واسع لجماعة مراد في البقاع يندرج في إطار تعميم الفوضى التي تنشرها "سرايا المقاومة" وتحت إشراف مباشر من "حزب الله".

ولا يخفي مراد "افتخاره" بعلاقته الثابتة مع النظام السوري والصداقة التي تجمعه برئيس هذا النظام ومن قبله مع والده الراحل حافظ الأسد. لكن مراد وشأنه في ذلك شأن معظم السياسيين الذين التحقوا بهذا المحور، كانوا يمنّون النفس، ولا يزالون، بالحصول على غنائم يفترض أن تكون من حصتهم، تتمثل على الأقل بالبقاء في نعيم السلطة في لبنان أو نقل هذا النعيم إلى أبنائهم من بعدهم.

حبل العقدة السنية

مع تطور أزمة تشكيل الحكومة اللبنانية العتيدة، و"العقد" العديدة التي برزت أمام رئيسها المكلف سعد الحريري، بدءا من "العقدة الدرزية"، مرورا بعقدة "القوات اللبنانية" والتي ساهم كل السياسيين المعنيين في حلّها من خلال تسهيل شروطهم، فوجئ المعنيون من رئيس الجمهورية ميشال عون إلى الحريري وكل المعنيين، ببروز عقدة جديدة "مصطنعة" أطلق عليها اسم "العقدة السنية" وصلت إلى حدودها القصوى مع إعلان الأمين العام لحزب الله السيد حسن نصرالله في خطاب متلفز أن "لا حكومة ولا من يحزنون قبل تمثيل النواب السنة من خارج عباءة المستقبل".

وبدا واضحا أن هذه العقدة الجديدة تتمثل في النواب السنة الذين فازوا في الانتخابات النيابية ولم يكونوا على اللوائح التي شكّلها "تيار المستقبل" ورئيسه، لكن المستغرب هو أن كلا من هؤلاء النواب الستة أعضاء في كتل نيابية أخرى، ولم يتوجهوا خلال الاستشارات النيابية الملزمة إلى رئيس الجمهورية ككتلة واحدة، بل توجهوا برفقة كتلهم الآلية، وكذلك فعلوا في الاستشارات التي أجراها الرئيس المكلف، لكن الغاية تبرر الوسيلة، والغاية هنا كانت إضعاف الرئيس الحريري، وإنعاش آمال فريق "الممانعة" بطرح إمكانية تكليف مراد برئاسة الحكومة في حال "أحرج الحريري فأخرج".

مرارة الدور

لم تسر الرياح كما تشتهي سفن مراد، لا بل لعلّه كان الخاسر الأكبر في هذه العقدة، فبعدما كان يمنّي النفس بما عجز عن تحقيقه طيلة حياته السياسية، حاول تجيير المسألة إلى أحد أبنائه، علّه بذلك يضمن استمرارية "إرثه" السياسي من خلال توزيره، وبالتالي فتح الأبواب أمامه لكي يستمر في العمل السياسي اللاحق، إلا أن الضربة جاءت من "بيت أبيه".

فقد نشب خلاف بين أعضاء اللقاء "التشاوري" حول اسم الشخصية التي يمكن أن يتفقوا حولها على تمثيلهم بعدما سلكت مبادرة رئيس الجمهورية طريقها إلى التنفيذ بتكليف مدير عام الأمن العام اللواء عباس إبراهيم إبلاغ "اللقاء التشاوري" ببنود المبادرة، حيث طرح مراد اسم نجله، ورفض ذلك أعضاء اللقاء الآخرين الذين طرح كل واحد منهم اسما، ليرسو الاختيار على اسم السيد جواد عدرة المحسوب مباشرة على "حزب الله" فتكون مرارة الخسارة مضاعفة لدى مراد.

ومن الواضح أيضا أن الدور الذي من أجله أوجد "حزب الله" ما أسماه بـ"اللقاء التشاوري" قد انتهى، وبالتالي فإن انفراط عقد هذا اللقاء بات وشيكا أو أنه فعليا قد انفرط، لكن مراد سيظل يحاول، وهو الذي لم ييأس من ابتعاده عن الساحة السياسية نتيجة انكفاء الدور السوري بين العامين 2005 و2018، فهو كما عاد إلى النيابة سيحاول بالتأكيد أن يوصل أحد أبنائه لكي يضمن أن ما زرعه في حياته، سيكون حصادا مثمرا لعائلته لاحقا.

> صروح مراد الجامعية يقوم اليوم بتحويلها إلى مراكز تدريب عسكرية، حيث انتشرت مؤخرا مقاطع فيديو تُظهر عناصر بلباس عسكري يتدربون داخل تلك المؤسسات في البقاع الغربي وراشيا، والسلاح يبدو حديثا، ما يعني أن ثمة تسليحا على نطاق واسع لجماعة مراد يندرج في إطار تعميم الفوضى التي ينشرها «حزب الله»

● العقدة الجديدة التي يجري العمل على حلهاتتمثل بالنواب السنة الذين لم يكونوا على لوائح "تيار المستقبل"، والغاية إضعاف الرئيس الحريري، وطرح اسم مراد في حال "أحرج الحريري فأخرج".

● مراد الذي تستخدمه قوى الممانعة وحزب الله كورقة في وجه رئيس الحكومة المكلف، كان يُستخدم في هذا الدور في كل مرة كانت تجرى فيها استشارات نيابية لتشكيل حكومة جديدة في لبنان

فنان يقاوم من أجل الجمال

حكيم العاقل

الهارب بيمنه السعيد إلى الرسم

فاروق يوسف

❑ ما الذي يمكن أن يفعله الفنان حين يجد نفسه وحيدا بين متحاربين؟ سيختار أن ينأى بعيدا إلى موقع، يكون فيه قادرا على تخيل وقائع حياة عادية. حياة يمكن النظر إليها باعتبارها نوعا من المكافأة.

وهو ما فعله حكيم العاقل حين قرر أن تلك الحرب التي تشهدها بلاده ليست حربه فاختار الذهاب إلى المنفى بعد معرض "تعويذة الأرض" الذي أقامه في البحرين.

لم يهرب الفنان من ملعب، شاء القدر أن يزج به فيه حين قرر أن يصنع له مصيرا ينسجم مع عالمه الفني وإن كان في ما مضى قد حاول أن يصرخ في وجوه اللاعبين محتجا من خلال معرضه "الحرب والسلام".

ولأن العاقل رجل حياة ثرية بالأحلام فقد كانت رسومه تعد بترف ورهافة، حاول من خلالهما أن يصف الحقيقة قافزا على الواقع البائس. "هناك تكمن حقيقة الإنسان اليمني السائر نائما بين حقول الحكايات".

احتفال شعري بالحياة

صوّر العاقل، كما فعل جيل سبقه من الرسامين اليمنيين، الحياة اليومية اليمنية كما لو أنها نوع من الاحتفال الدائم بالمعنى العميق الذي تنطوي عليه. لذلك بدت رسومه لمَن لا يعرف اليمن خيالية، تخون الواقع في لحظة إلهام.

> واقعيته التعبيرية لم تخل من شيء من التأثر بقواعد وأسس بناء الجداريات، وبالأخص على مستوى التكوين. لا تناقض في ذلك مع شعرية المشهد الذي يرسمه، فقد كان الإيقاع الشعري لديه داخليا، يتصل بطبيعة العلاقة التي تقيمها كائناته بالعالم

قد يبدو ذلك الحكم جارحا لفنان واجه القسوة بالأمل، غير أن الصحيح أن الفنان يعرف أكثر منا ما الذي يعنيه أن يكون الإنسان يمنيا. هناك الحكاية وهناك صانعها. وهما بالنسبة للفنان الشيء نفسه.

ولأن اليمن كنز الحكايات العربية المحلقة بروح شعريتها فقد وجد العاقل فرصته في أن يصف ما يراه بطريقة هي أقرب إلى الشعر من النثر الذي تعيقه التفاصيل عن الوصول إلى رعشة الوجود.

يستعين العاقل بالزخرفة التي يخترع مناسبات تصويرية لها رغبة منه في أن يقبض على الإيقاع الموسيقي الذي تنطوي عليه المشاهد التي يستلهمها من عروض الحياة اليومية.

وهو ما دفعه أحيانا إلى أن يستعير عين الطائر ليبلغنا أن تلك المشاهد لا تُرى إلا من قبل كائن محلق هو الرسام.

لم يكتف العاقل بالتحليق بل وهب أهله اليمنيين إمكانية التحليق في عالم، يعدهم بالسلام. حيث لا حرب ولا محاربين.

بوح تعبيري آسر

ولد العاقل عام 1965. والتحق بالدراسة الفنية في مرسم الفنان هاشم علي. ليدرس فن الجداريات في موسكو، لاحقا، إضافة إلى تخصصه بتاريخ الفن ونظرياته.

في حياته العملية تبوّأ العاقل عدة مناصب في مقدمتها منصب مستشار وزير الثقافة والسياحة. غير أنه، وبالرغم من مناصبه الرسمية الرفيعة، ظل مخلصا لفنه بل إنه وظف تلك المناصب من أجل خدمة الفن في بلده وتطويره، من خلال استضافة كبار الفنانين والمهتمين بالعرب من العرب والعالميين.

ما تعلمه العاقل في موسكو يبدو حاضرا في عالمه. واقعيته التعبيرية لم تخل من شيء من التأثر بقواعد وأسس بناء الجداريات وبالأخص على مستوى التكوين. لا تناقض في ذلك مع شعرية المشهد الذي يرسمه فقد كان الإيقاع الشعري لديه داخليا، يتصل بطبيعة العلاقة التي تقيمها كائناته بالعالم. وهي علاقة تظل على قدر كبير من السرية. وهو ما أنقذ الفنان من الوقوع في الوصف السردي. فالمشاهد التي صورها الفنان تبدو كما لو أنها ملتقطة من مكان خفي لما تنطوي عليه من بوح آسر.

رسم العاقل نساءه بطريقة أقرب إلى الغزل منها إلى الوصف غير أنه لم ينس المشهد اليمني الذي يحيط بهن. وإن لم يكن ذلك المشهد حاضرا فإن الرسام لجأ إلى حيلة الزخرفة التي استعارها من الفرنسي هنري ماتيس ليؤكد من خلالها يمنية نسائه. نساء يمنيات كما لم يرهن أحد. هن نساء الداخل اليمني اللواتي تنقلهن رسوم العاقل إلى العالم الخارجي. وهو ما يفرد لتلك الرسوم مساحة في الكشف عن عالم يقع خلف أسوار التقاليد.

عالم العاقل هو عالم النساء الجميلات اللواتي يقدمن صورة عن يمن سعيد، هو موطن الحياة السحرية. ومن غير نظريات مسبقة، صنع معادلته المتوازنة التي تجمع بين التراث والمعاصرة. فهو رسام معاصر بكل ما ينطوي عليه ذلك المفهوم من معان وهو في ذات الوقت كان حريصا على استعمال الوحدات التراثية متمتعا بغناها الجمالي الذي اعتبره عاملا مساعدا للوصول إلى ضالته.

لا يخرج العاقل في ذلك من دائرة فنانين يمنيين سبقوه غير أنه تفوق عليهم في اللون. العاقل رسام تسحره الألوان المبهجة. معجمه اللوني متشعب وواسع بحيث يمكن القول إنه يضع اللون ليصغي إلى صوته. فلكل لون صوت يميزه وهو ما يعيده إلى الموهبة اليمنية في استنطاق الطبيعة شعريا.

العاقل رسام معاصر بقوة انتمائه إلى محليته. يخطئ المرء حين يظن أنه اتبع خطط الرسامين المستشرقين في النظر إلى موضوعه اليمني بالرغم من أن المشاهد التي صورها تبدو لأول وهلة كما لو أنها قد صُنعت من أجل أن تصوّر. غير أن العاقل وهو ابن البيئة التي يصور مشاهدها الداخلية كان حريصا على أن تبدو رسومه أشبه بالاعترافات الشخصية.

يعترف العاقل من خلال رسومه بأنه عاش ذلك الزمن اليمني الجميل. اعتراف هو بمثابة وثيقة جمالية، سيكون على الأجيال اليمنية القادمة أن تضعها موقع تقدير لكي تتعرف على نفسها. من خلال تلك الوثيقة يقدم الرسام حلا خياليا لمشكلات الواقع. فاليمن الذي يراه ويصفه ويتخيله هو ليس يمن المتحاربين الذين اتبعوا حناجرهم بدلا من أن يتبعوا خيال القصائد.

رسام المرئيات

في الجزء الأكبر من تجربته الفنية كان العاقل يبدو كما لو أنه فنان تجريدي بالرغم من هيمنة الواقعية التعبيرية على تلك التجربة. تجريديته تكمن في التفاصيل كما في المساحات، هناك حيث استسلم فيها الفنان لحريته المطلقة.

العاقل هو رسام مرئيات، غير أنها مرئيات متخيلة بسبب الطابع الشعري الذي أضفاه الرسام عليها وهو ما سمح له بأن يتحرر من واقعيته ليكون وفيا للتكوين الذي تخلله قدر لافت من التجريد. وهو تجريد ليس مقصودا لذاته، غير أنه يظل مؤثرا على مستوى النظر المباشر.

قد يرى المشاهد ما لم يكن الفنان قد رآه في أعماله. وهو أمر سيكون فيه قدر من التأويل البصري الذي ينقل التجربة الفنية من سياقها المباشر إلى سياق مختلف، يكون فيه الرسام والمُشاهد بمثابة حليفين. غير أن ألأهم في تجربة العاقل، وهو الفنان الذي قاوم الحرب ونجا منها بفنه، أنها تضعنا في قلب الحقيقة التي يفر من مواجهتها المتحاربون. هناك يمن آخر. هو ذلك اليمن الذي لم تتمكن منه الحرب. هو يمن حياة الناس العاديين المتخيلة. تلك هي خزانة الرسام الجمالية وهي ذاكرته التي يبشر من خلالها بالسلام.

حكيم العاقل لا يرثي من خلال رسومه بلاده بقدر ما يحاول أن يسعدها مثلما يُسعد مشاهدي لوحاته. هو داعية أمل بالرغم من أنه يعرف أن أمله لن يتحقق إلا إذا حلم يمنه بالطريقة التي يحلم بها.

هو رسام منذور للسعادة في مواجهة تعاسة الواقع الزائل. ذلك ما يشجعه على مقاومة الواقع فهو يعرف أن الجمال لا يُهزم. الجمال يبقى.

> العاقل رجل حياة ثرية بالأحلام فقد كانت رسومه تعد بترف ورهافة، حاول من خلالهما أن يصف الحقيقة قافزا على الواقع البائس

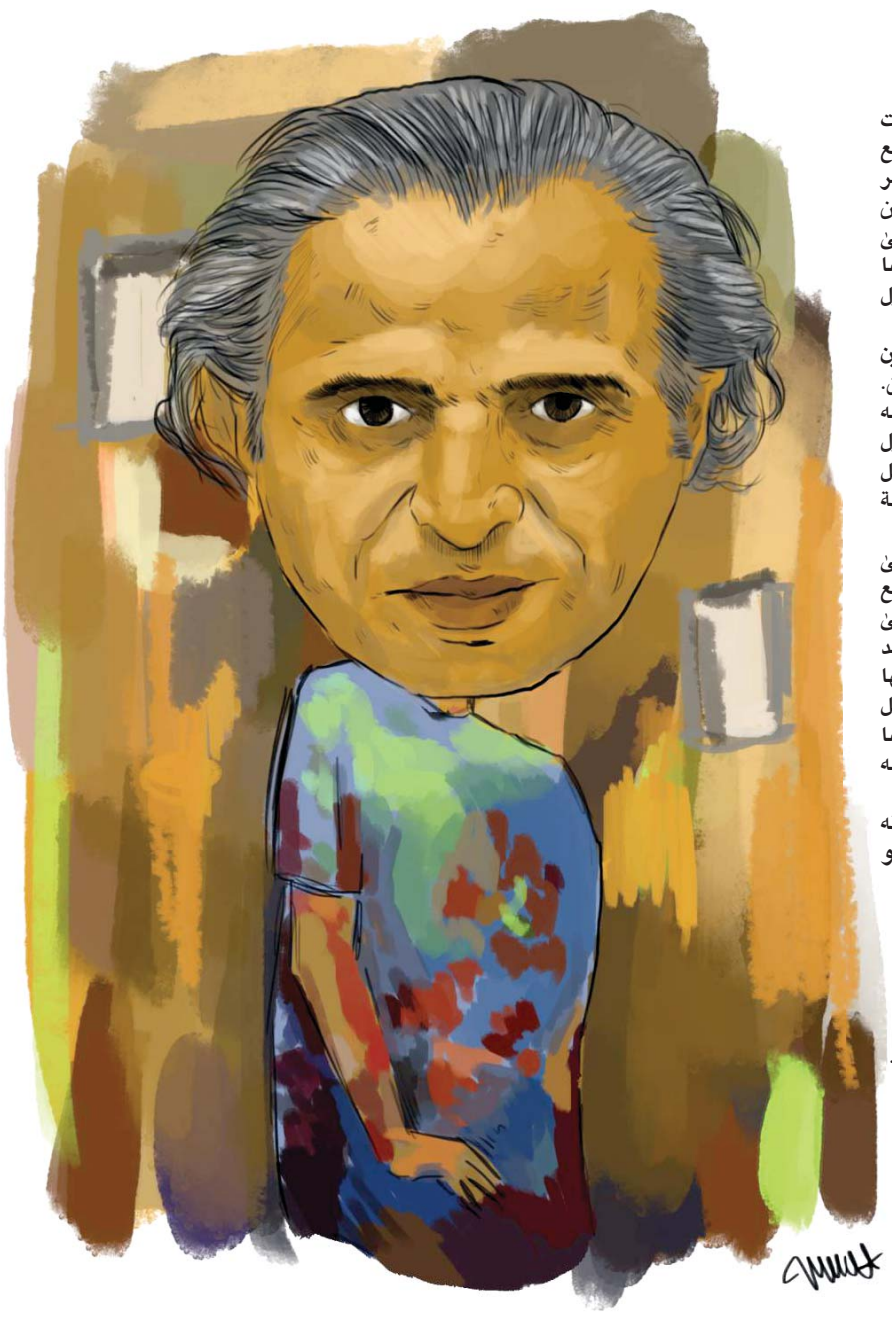

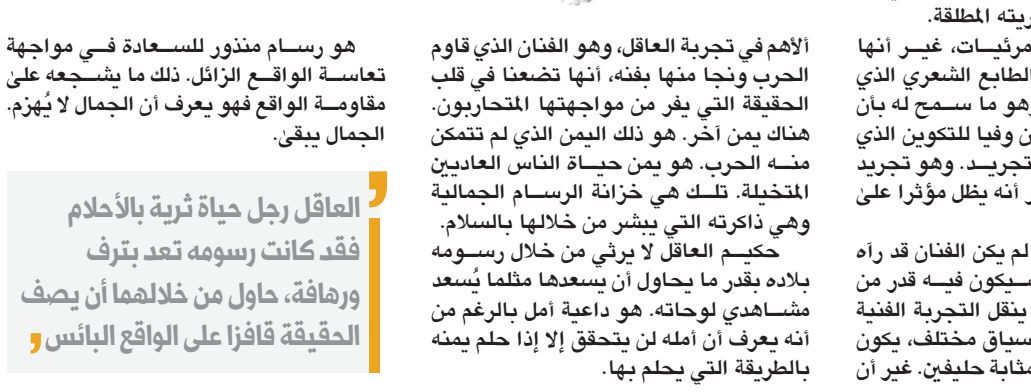

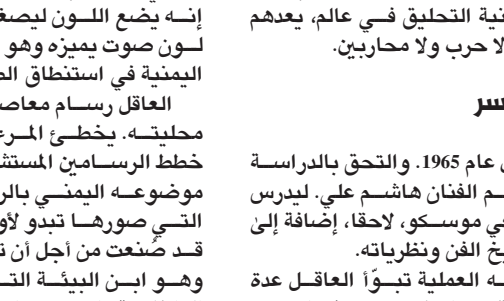

لماذا يشيطن الفرنسيون الآخر

وجهان لفرنسا: عالمي منفتح ومحلي مهووس بالهوية

حميد زناز
كاتب جزائري مقيم في فرنسا

❏ يعتقد فرنسيان من كل عشرة أن فرنسا في حالة حرب مع الإسلام. كما أن النسبة نفسها تقول بأن المواطنين المسلمين غير مندمجين في المجتمع الفرنسي وتحمّلهم مسؤولية ذلك الفشل. ويضيف استطلاع الرأي نفسه الذي قام به معهد "إيسوس" سنة 2017 أن ثلاثة أرباع الفرنسيين يظنون بأن الإسلام يسعى إلى فرض أسلوبه عليهم في العيش. ومن جهة أخرى يقول التحقيق أن أربعة من أصل عشرة فرنسيين يدينون بالإسلام قد تم شتمهم وكانوا ضحية ملاحظات مسيئة وأن 13 بالمئة منهم قد تعرّضوا لاعتداءات جسدية بسبب دينهم.

في كتابه المعنون "هاجس الإسلام/ لماذا تشيطن فرنسا المسلمين؟" يذهب الباحث في العلوم السياسية توما غينولي نفس هذا الاتجاه، إذ يفترض أن المسلمين يعانون من تفرقة عنصرية ومن كره وتمييز في فرنسا ثم يحاول أن يشرح الأسباب التي أدت إلى ذلك. فيرى أن "التقهقر النسبي" الذي مسّ فرنسا هو سبب موجة الخوف المرضي من الإسلام.

وهكذا تكوّنت لدى المجتمع الفرنسي نظرة مشوّهة بل هاذية عن الأقلية المسلمة التي لا يتجاوز عددها نسبة 7.5 بالمئة من مجموع سكان فرنسا. فبالنسبة للذين وقعوا في فخ الكراهية، يقول توما غينولي، فالمسلمون لا يستطيعون ولا يريدون الاندماج بل ليس هذا فحسب بل كادت العصبية الدينية أن تصبح هي الغالبة بينهم. ويستنتج الكاتب من التجربة التاريخية الفرنسية تعاقب ثلاثة مواقف تجاه الأقليات: القبول، الشيطنة والاضطهاد. ويجد دافعين أساسين للسقوط في شيطنة الأقليات واضطهادها، أولهما خطورة التوترات الداخلية التي يعيشها المجتمع الفرنسي وثانيهما ذلك الشعور الجماعي بالفشل الذي يستبد بالأغلبية جراء التقهقر النسبي لفرنسا كقوة عالمية. وهو ما حدث في القرن السادس عشر حينما قمعت الأقلية البروتستانتية بينما كانت فرنسا في حالة ضعف أمام الإمبراطور شارل الخامس الذي كان يطوّقها. وفي القرن التاسع عشر كان لهزيمتها سنة 1870 وإهانتها من طرف بروسيا الأثر الأكبر في صعود المعاداة للسامية. أما في الوقت الحاضر فالعولمة كرّست اللامساواة الاجتماعية والاقتصادية وبالتالي أججت التوترات الداخلية في المجتمع الفرنسي. وذلك بسبب تقهقر فرنسا النسبي على المستوى البنيوي ديموغرافيا وجيوسياسيًا، وهو ما أدى إلى انكماشها السريع كقوة دولية. ومن البديهي والحال هذه، حسب صاحب الكتاب، أن يصل البلد إلى مرحلة قصوى في شيطنة الأقلية المسلمة. ونفس الدوافع تؤدي إلى نفس الظاهرة في بلدان أخرى كالولايات المتحدة الأميركية بزعامة دونالد ترامب. ويضرب مثالا بتلك البلدان في أوروبا الوسطي التي لا تتحرّج من الإفصاح عن شرط مخجل في مسألة استقبال اللاجئين، إذ لا تقبل على أراضيها سوى من كانوا غير مسلمين.

ولا يتوانى توما غينولي في اتهام وسائل الإعلام في صعود هذا الخوف والرفض للإسلام ويميّز بين نوعين من الخطاب المعادي: يتمثل الأول في خطاب حقد دائم تجاه الأقلية المسلمة. مكررا أن الفرنسيين المسلمين متعصبين لدينهم وليس بمقدورهم الانسجام مع الثقافة الفرنسية لأن قيمهم وثقافتهم متعارضة مع الحياة الفرنسية. وحتى مظهرهم الخارجي يطرح إشكالا وهم "طابور خامس" في خدمة قوى أجنبية هدفها تخريب فرنسا وحضارتها. أما في الخطاب الثاني فيجد الكاتب عدة تحيّزات في تناول الأخبار كعناوين الصحف والمجلات والتي لا تتردد مثلا في وضع "شهادة لا إله إلا الله" بالخط العربي على صدر صفحاتها الأولى وهي تتحدث عن الإرهابيين الجهاديين. كما تميل إلى الحجب إذ لا تذكر أبدا أن 8 فرنسيين مسلمين من أصل 10 هم مع المساواة بين الرجل والمرأة ومع العلمانية. ويتأسف على أن الحديث إيجابيا عن المسلمين لم يعُد يجذب القرّاء والمشاهدين.

يرى الكاتب أن اللائكية هي أيضا من المفاهيم التي تم تحريفها وتشويهها في الخطابات السياسية والإعلامية. فمنع ارتداء الحجاب في المدارس العمومية الفرنسية في نظر المؤلف لا يتوافق مع اللائكية الحقيقية المجسّدة في قانون 1905 الذي يؤكد على حياد الدولة والإدارات والخدمات العامة في مسألة الروحيات وليس حياد المواطنين الذين يتعاملون معها. ويصل إلى الاستنتاج أن هناك معركة بين اللائكية الحقيقية واللائكية المشبوهة التي تريد اغتصاب اللائكية بحثا عن المزيد من المنع الذي يطال الفعل الديني الإسلامي وطرده نهائيا من الفضاء العام. أما عن مطالبة المسلمين بـ"الاندماج" فيرى صاحب "هاجس الإسلام/ لماذا تشيطن فرنسا المسلمين؟" أن هذا المصطلح غير مفهوم، ويبدو أن الكثير من المسؤولين السياسيين يجهلون أن الاندماج لا يتم بمرسوم بل هو عملية سوسيولوجية قد يتم تسريعها اعتمادا على عوامل معينة على رأسها الزواج المختلط، والذي تتفوق فيه فرنسا على كل البلدان الأوروبية إذ هو في تقدّم مستمر في هذا البلد رغم التوجّس الفرنسي تجاه الإسلام. كما يمكن أن تعطل بسبب عوامل معيّنة كالبطالة على وجه الخصوص. وفي هذا الصدد يكتب الباحث أن البطالة تمس 30 بالمئة من الفرنسيين المسلمين، بينما لا تمسّ سوى 12 بالمئة من مجموع السكان غير المسلمين. ومن هنا فإن بطء اندماج الأقلية المسلمة في المجتمع الفرنسي يعود إلى تعثر اندماجها الاجتماعي والاقتصادي.

تعيش فرنسا، حسب المؤلف، بوجهين منذ الثورة الفرنسية على الأقل: فرنسا التي تؤمن بأن البشر سواسية في الحقوق والواجبات مقابل فرنسا التي تعتقد أنهم غير متساوين. فرنسا التي لا تكترث بلون بشرة الناس أو أصلهم أو اتجاهاتهم الدينية مقابل فرنسا معاكسة تؤمن بدونية وأفضلية إنسان على آخر. فرنسا الجمهورية والعالمية مقابل فرنسا الرجعية المهووسة بالهوية. واختصارا هناك فرنسا الأخوة مقابل فرنسا الحقد.

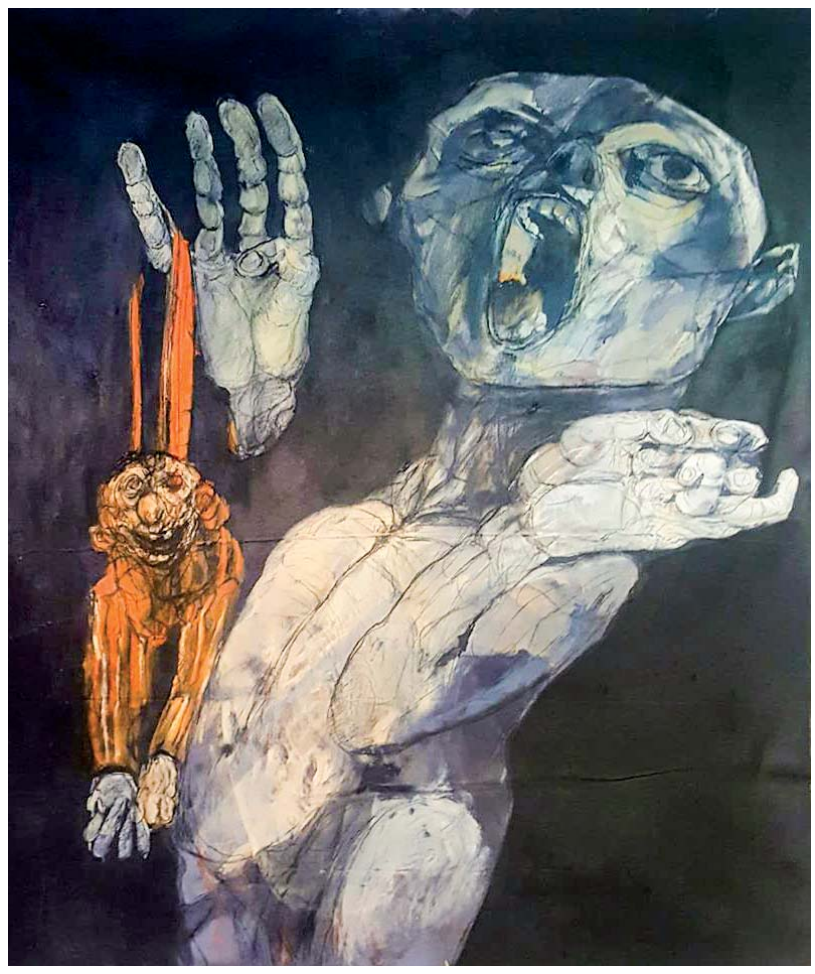

الرسم للفنان عمران يونس

ورغم كل ذلك يبقى الكاتب متفائلا مناضلا من أجل فرنسا إنسانية جمهورية وأخوية "أنا مقتنع أشد الاقتناع، أنه لو انتفض ملايين الفرنسيين الذين يؤمنون بمثل الجمهورية ضد أنصار الحقد لانتهت الإسلاموفوبيا في قبرها الطبيعي: مزبلة التاريخ".

ولكن ما تجاهله أستاذ العلوم السياسية توما غينولي هو ذلك التغلغل الخطير للإخوان المسلمين والسلفيين بين الجاليات المسلمة، ليس في فرنسا فحسب بل في أوروبا كلها ونشرهم لأفكار معادية لقيم المجتمع المضيف كادت أن تصبح عقبة كأداة أمام اندماج المسلمين بشكل طبيعي، بل ودفع بعضهم إلى حمل السلاح ضد المجتمعات الغربية التي يعيشون فيها.

الكتابة اليقينية والاحتمال

باسم فرات
كاتب عراقي

❏ القراءة والكتابة فنّان خطران، تكمن خطورتهما في آليات الخطاب المضمرة فيهما، فالقراءة غير الواعية؛ القراءة التي تحركها منطلقات -أو لنقل أيديولوجية القراءة- لا تقلّ خطورة عن الكتابة التي تحركها دوافع أيديولوجية. فحين تقرأ نَصًا يخلو من الأفعال اليقينية واللغة الحازمة الجازمة؛ باستخدام أفعال تُبدي وجهة نظر تودّ المشاركة مع القارئ، عبر الأفعال (أعتقد، أظن) أو (ربما) أو (على الأرجح) فالأجدر أن نتفاعل مع النص بوصفه يطرح رأيًا أو خطابًا ليس يقينيًا، لا أن نجزم بيقينيته فيكون تفاعلنا معه سلبيًا عبر إنكار تام أو قبول مُسَلَّم به.

هُناك مَن يتهم الثقافة العربية بأنها ثقافة يقينية، سلطوية، أي أن الكُتّاب العرب تَكادُ تخلو كتاباتهم من الأفعال والمفردات التي ذكرتها أعلاه، فَيُدَوّن الكاتب رأيه بيقينية تعليمية مطلقة وكأنه الأب والمعلم والعالم، بينما القارئ طفل لا يفقه شيئًا في الموضوع الذي يكتب فيه الكاتب العربي. إن هذا الاتهام لا يخلو من مصداقية، فنسبة من الكُتّاب العرب يُهيمن الخطاب الاستعلائي (سلطة الأب والمعلم) على أساليب كتاباتهم، وبعض هؤلاء يعيشون في الغرب الذي يُهيمن عليه ما يمكن تسميته بالخطاب "الظني" الخطاب غير اليقيني، وهؤلاء الكتّاب لم تشفع لهم إقامتهم الطويلة في الغرب ولا الآلاف من الكُتب المنتجة بلغات الغرب، حافظوا على نهجهم السلطوي في الكتابة.

يستطيع الكاتب -من وجهة نظري- أن يتخلّص من خطابه اليقيني عبر الأفعال الظنية غير الجازمة، مثل (أعتقد، أظن) والكتابة بضمير المتكلم الفرد وليس ضمير الجماعة، أي القول: (أعتقد) بدلًا من نعتقد، (قلتُ) بدلًا من قلنا ونقول، و(أرى) بدلًا من نرى. إن الغالب على الخطاب العربي التحدث والكتابة بلغة الجماعة، وكأن كل كاتب هو ممثل الجماعة الرسمي والناطق بلسانها، أي أن الكاتب -والحديث هنا عن ظاهرة في الثقافة العربية يخلو من الإطلاق- ما زال يتقمّص وهمًا بوصفه ممثل الجماعة- القبيلة.

و يختلط الأمر على كثير من القراء بما في ذلك كثير من الكُتّاب، في ما يتعلق بالقراءة الصحيحة، أو "فهم النص"، مثال ذلك أن كثيرا من مرسلات الخطاب المضمر في النص تنطلي علينا، أعني نفسي وغيري من القُرّاء، فحين يستعمل الكاتب الأفعال الظنية (أعتقد، أظن، يُخَيّل لي) ومفردة تقليل اليقين (ربما) لا يمكن أن نسمح لأنفسنا بإطلاق تلق يقينيٍّ مؤيد أو رافض، لنَصّ الكاتب. لأنه -أي الكاتب- أغلق علينا نحن قرّاءه باب اليقين، ولم يبق بأيدينا حجة يقينية ندافع بها عنه أو نختلف اختلافًا جذريًا معه.

هناك مثال يلحّ عليّ بسبب انتشاره بين النخب كافة، ألا وهو النظريات التي أوجدها مستشرقون وكُتّاب محليّون، في ما يخص نسب مجموعات إثنية بعينها لأقوام خرجت من مسرح التاريخ قبل الميلاد، هذه النظريات التي لو تأملها مَن يعيش في مجتمعاتنا وقضى سنوات يحفر في تاريخها الاجتماعي، فسوف يصل إلى نتيجة مفادها أننا عبارة عن شعوب أبعد ما نكون عن النقاء العرقي، فالتزاوج أولًا، والانتقال من ريف أو بادية أو جبل إلى مدن بل والتنقل بين المدن؛ يُحتّم الاختلاط والتزاوج، فكيف يمكن الزعم بأن مجموعة سكانية لأنها تعيش في منطقة ما كانت واحدة من الأقوام القديمة التي خرجت من مسرح التاريخ قبل الميلاد أو بعده بقرون؟! أقول كيف يتم نسبها لمجرد أنها اليوم تُشكّل غالبية في تلك المدن أو البلدات أو الأرياف، بينما وثائق التاريخ القريب -وليس البعيد- تحدثنا عن أقوام آخرين كانوا يشكّلون غالبية قبل قرن أو قرنين أو عدة قرون؟!

الرسم للفنان وليد نظمي

الكتابة والاستفزاز

أمين الزاوي
روائي وأكاديمي جزائري

❏ الاستفزاز أو "La provocation" في الأدب الإبداعي هو فلسفة، هو رؤية متكاملة للعالم، الاستفزاز ليس هو "الشطط" كما ينظر إليه حراس معبد الأخلاق الزائفة أو كما تصنّفه السلفية الخارجة عن التاريخ، وعن زمن الناس هذا.

جميع الروائيين والشعراء والفلاسفة الذين خلّدهم التاريخ واحتفظت الإنسانية بكتاباتهم ونصوصهم كمرجعيات في القراءة العابرة للأجيال والجغرافيات، كانوا في يوم ما يصنّفون في خانة كتّاب "الاستفزاز"، كتّاب "خرق القانون الأخلاقي"، لكن الذين حكموا عليهم طواهم النسيان، وظلت كتابات هؤلاء خالدة.

كان بودلير ومثله رامبو وهنري ميللير وفلوبير وأبونواس وبشار بن برد والمعري وغيرهم يصنّفون في خانة كتّاب "الاستفزاز"، ولكنهم وحدهم وبكتاباتهم هذه "غير المعتادة"، "المستفزّة" وسّعوا فضاء الحرية جهة الكتابة، شكلا ولغة وموضوعا ورؤية، وقاموا بعمل جبّار جهة القارئ حيث منحوه معاول لتحطيم أسوار ظلت قائمة في رأسه لطالما حجبت عنه شمس الحرية والتحرر والانطلاق، ففي "الاستفزاز بوصفه فلسفة ورؤية للعالم، عالم الكتابة والعالم الحيّ، تكمن معجزة الكتابة الإبداعية.

الاستفزاز لا يحرر الكاتب فقط ولا الكتابة فقط بل يحرر القارئ أساسا، وهذا هو ما يجعل القوى التقليدية والسلفية في الأدب وفي الدين تخشى منه ومن عاقبته، ف"الاستفزاز" الإبداعي المؤسس، في علاقته بالقارئ، مشروع انقلابي يخلخل مخيال "المتلقي"، وهو بذلك يمثل انقلابا في فكرة وشكل أفق "الانتظار" و"الاستقبال" السوسيولوجي والأخلاقي والجمالي والسياسي.

و"الاستفزاز" في الكتابة حتى يكون "إبداعيا" عليه أن يكون مؤسسا على "معرفة" عميقة و"قراءة" تراكمية و"تمحيص" نقدي جدلي، فالاستفزاز بمفهومه الفلسفي المؤسس على القراءة ونقدها المستمر، يشكل معارضة جذرية لتاريخ طويل من جثث النصوص "الباردة" ونقضها وتأبينها والمشي في جنازتها وإقامة الأعراس لغيابها والرقص على قبرها، والاستفزاز في الإبداع هو وضع الأصابع في "النار" لحظة الكتابة لتتحول هذه النار إلى "طاقة" تحيي ولا تحرق، نار صديقة للحياة وليست سببا في خراب الدنيا بشرا وشجرا وقطعا.

لقد جرّ "الاستفزاز" كثيرا من الكتاب المبدعين والفلاسفة، عبر العصور ولا يزال، وبتحريض من قوى الظلام الدينية أو الفكرية من لاحسي صحون الخلفاء المعاصرين أو القدامى، إلى المقاصل الهمجية وإلى غياهب السجون القروسطية وإلى برودة المنافي وإلى التعذيب وإلى المحاكم البوليسية والأخلاقية القاسية والعنصرية، والاستفزاز كان السبب في منع نصوص كثيرة من قبل حراس معبد الدين والأخلاق والنفاق لفترة معيّنة، طويلة أو قصيرة، لكنها ما فتئت أن عادت لتصبح دررا تقرئ بشغف، وتدرس في الجامعات والمعاهد، وتحول، في حالة الإبداع الروائي، إلى أفلام ومسرحيات، وتشكّل مصدرا ملهما للوحات فنية وسيمفونيات راقية خالدة.

لمحاربة أدب "الاستفزاز الجاد والمؤسس والباحث عن حرية الفكر وتحرير الإنسان، يلجأ حراس معبد السلفية ومشتقاتها المتموقعين بقوة في الثقافة العربية والمغاربية، إلى اتهام كتاب "الاستفزاز الفلسفي" بالزندقة أو سوء الأخلاق أو الإساءة للوطن أو التعامل مع العدو، كما حدث مع الطاهر الحداد في تونس ونصر حامد أبوزيد في مصر ومحمد شكري في المغرب وكاتب ياسين في الجزائر وغيرهم كثير.

لكبح فلسفة "الاستفزاز" وبالتالي الإبقاء على "فكر الطاعة" بين "القطيع" من البشر الذين "يحاولون" العيش في العالم العربي والمغاربي يلجأ أعداء الحرية إلى رمي الكتاب بتهم جاهزة ك "التخوين" أو "التكفير" أو "التهويد"، هكذا يحرك "فقهاء الظلام" "الدهماء" ضد التنوير الذي يكمن في "الإبداع الاستفزازي" الجاد.

وعند فقهاء الظلام هؤلاء، كل إبداع يناهض سلطتهم الكهنوتية ويفتت من "صنميتهم" هو إبداع مرفوض ويجب محاربته، ولكن التاريخ علمنا بأن "المبدع الكبير هو من يجرأ على مواجهة التحنيط الفكري بكل ثقة وأيضا متسلحا بمعرفة وبنقد متنور.

و"الكتابة المستفزة" هي ليست الكتابة "الغاضبة" بل هي الكتابة الرافضة للسكونية والمحاربة للجمود القائم في مفاصل الثقافة العربية والمغاربية.

العالم الكامن في النص

هرمينوطيقا النص الديني عند بول ريكور

محمد الحمامصي
كاتب مصري

❏ تكمن أهمية الهرمينوطيقا الفلسفية في المناهج الحديثة التي تمدّنا بها من أجل قراءة تأويلية موضوعية – ذاتية للنص الديني تفك شفراته وتفتحه على عوالمه الخاصة سواء الداخلية منها أم الخارجية. إن النص الديني لا يحيل على بنيته فحسب، بل إنه يحيل على عالم خارجي يريد الاندماج معه، إنه عالم النص الخارجي الذي يكشف عن بنية أخرى غير تلك التي يعبر عنها النص مباشرة. أستاذ الفلسفة المعاصرة بكلية الآداب والعلوم جامعة فاس د.مصطفى عارف يرصد في كتابه "الهرمينوطيقا الفلسفية وهرمينوطيقا النص الديني عند بول ريكور" ملامح هذه الهرمينوطيقا من خلال محاولة بول ريكور استثمارها وجعلها أرضية لقراءة النص الديني المقدس.

البحث في هرمينوطيقا النص الديني من شأنه أن يفتح مجالاً للنقاش حول القيمة المضافة التي ستشكّلها هرمينوطيقا النص الديني في قراءة النص الإسلامي المقدس، نظراً إلى ما يعرفه هذا النقاش من حدة في المواقف المعبرة حول المنهج المعتمد في قراءة القرآن الكريم والأحاديث الدينية؛ هذه النظرة هي ما يهتدي به الباحث عارف، الذي يعتقد أن مقابل القراءة الحرفية، التي لا تعترف سوى بظاهر النص، والتي سيطرت بشكل يكاد يكون مطلقاً على تاريخ قراءة النص، يمكن الاعتماد هنا على الهرمينوطيقا كمنهجَ بحثٍ معاصر يحاول فك شفرات النص، ليس فحسب انطلاقاً من جعل النص معاصراً لنا، وإنّما قراءته وتأويله في سياقه وزمانه الخاصين، وربطه بالسياق المعاصر لنا، فإذا كنا ندّعي أنّ النص القرآني صالح لكل زمان ومكان، فإنّه يجب أن يخضع لقراءة تستحضر سياقه الزمني، ثمّ مجموع السيرورات والأفكار التاريخية التي تشكّلت حوله، وأخيراً إحداث مسافة زمنية بين المُؤَوِّل وسياق إنتاج النص.

ويوضح د.عارف إلى أن ما يُميّز فلسفة بول ريكور هو طابعها السجالي – الجدالي، فقد كان يستند دائماً إلى أرضية فكرية معينة لإنتاج تصوّر فلسفي حول موضوع هذه الأخيرة. ويقول إن الحديث عن هرمينوطيقا النص المقدس يستدعي ذكر تلك السجالات التي دخل فيها ريكور مع مفكرين ومفسرين وباحثين في الفكر الديني المسيحي – اليهودي: – ثنائية الفلسفي والديني: إنّ اهتمام بول ريكور بفلسفة الدين وبالنص الديني المقدّس جعله ينأى بنفسه دائماً عن تسميته بفيلسوف مسيحي. يُصرّح في كتابه "الذات عينها كآخر" بأنّه لا يجعل من النصوص الدينية المقدسة مرجعاً أساسياً يعتمد عليه في تأملاته الفلسفية؛ بل يُميّز بين ما هو ديني وما هو فلسفي خالص.

يقول المفكر: "في إحدى مراحل حياتي، قبل ثلاثين سنة تقريباً، دفعت الثنائية، أي ثنائية 'الدين والفلسفة'، تحت تأثير كارل بارث، إلى إعلان منع إقامة الرب في الفلسفة، كوني كنت دائماً حذراً إزاء التأمّل الذي نسميه أنطوثيولوجيا، وتبنيت موقفاً نقدياً تجاه كلّ محاولة تدمج بين فعل الكينونة اليوناني والرب، على الرغم من معرفتي بسفر الخروج (3–14). إنّ الاحتياط من براهين وجود الرب قادني إلى النظر إلى الفلسفة بوصفها أنثروبولوجيا، وهو المفهوم الذي اعتمدته في كتاب 'الذات عينها كآخر'، حيث لا أقترب ممّا هو ديني إلا في الصفحات الأخيرة من الفصل المخصّص لـ'نداء الضمير' (...)، ربما كانت عندي أسباب أخرى لتحصين نفسي من اختراقات مباشرة للديني في الفلسفي، وهي أسباب ثقافيّة إن لم نقل مؤسساتية؛ كنت شديد الحرص على أن يعترف بي بوصفي أستاذاً للفلسفة يدرّس الفلسفة في مدرسة عمومية، ويتحدث لغة متداولة". كان ريكور حريصاً جداً على التمييز بين الدين والفلسفة، اعتباراً لأنّ الفلسفة تختلف عن الدين؛ يعتمد هذا الأخير على الوحي مباشرة، بينما يستند البحث الفلسفي على حجاج من نوع خاص. إن الفلسفة عبارة عن أنثروبولوجيا تحاول قراءة الدين انطلاقاً من أبعاد تاريخية–ثقافية، ولا يمكن الجمع بين المبحثين تحت مظلّة واحدة.

– بنية النص الديني المقدّس: استأثر اهتمام ريكور بهرمينوطيقا الدين عموماً، في محاولة لتحليل مجموعة من المفاهيم الدينية مثل: الإيمان، والعقاب، وأسطورة الوعيد. تكشف تحليلات ريكور لتلك المفاهيم عن حسٍّ نقديٍّ دقيق؛ فقد راح يؤوّل ويحلل الدلالة الفلسفية لمفهوم الذنب في علاقته بالإيمان والعقاب من منظور معاصر. فإذا كانت الخطابات الدينية على مر التاريخ تحاول ربط الذنب بالعقاب، وتروّج لفكرة أنّ الرب يتوعّد المذنبين بعقابه، فإنّ ريكور، على عكس ذلك، يحاول الكشف عن الجانب المتسامح في الدين؛ فمقابل كثرة الخطايا والذنوب، هناك أيضاً وفرة في الغفران والصفح؛ بمعنى أن رحمة الرب ومغفرته تسبقان وتشتملان على مجموع الخطايا والذنوب التي اقترفها الإنسان، ومن ثمّ إن أسطورة العقاب، التي يهدّدنا بها الخطاب الديني، يجب أن تخضع لتحليل هرمينوطيقي عقلاني.

إنّ الإنسان كائن معرض للخطأ؛ بل إنّ الخطأ منقوش في تكوينه البيولوجي والثقافي، وهو بذلك يختار الشرّ طوعاً، بيْد أنّ مسألة الاختيار تضمر دلالتين متباينتين؛ فعلى جهة الاختيار نلفي الإنسانَ هو الذي يختار الفعل حتى وإن كان شريراً. أمّا على جهة المسؤولية فإنّه يتخفّى في هشاشته المتمثلة في كونه كائناً خطّاءً. إنّ إنسانية الإنسان هي المكان الذي يتمظهر فيه الشر، فتتدخل فيه وساطات داخلية – ذاتية تجعله غير منسجم مع ذاته؛ لكونه حرّاً في اختياراته، وعلى الرغم من ذلك يختار الشر، الأمر الذي يجعله يسقط سقوطاً مدوياً في مفارقة الحرية/الشر.

ويشير د.عارف إلى أن ريكور يسلط الضوء على إشكاليّة الشر هاته، من خلال مجموعة من المفاهيم مثل: الرمز، والاعتراف، والمدنّس، والخطيئة، والإثم، والمسؤولية ثمّ العقوبة، محاولاً تحليلها انطلاقاً من إشكال عام هو: كيف يتمُّ الانتقال من عدم العصمة إلى ارتكاب الخطأ؟.. يعتقد ريكور أنّ تحليلاً دقيقاً لمفهوم الشر يجب ربطه بمسألة اعتراف الإنسان بأخطائه أمام المقدس، مبرزاً أن أسطورة الخطيئة الأولى وُجدت لكي تعطي تبريراً لمفهوم الاعتراف.

يعبِّر حدث طرد آدم من الجنة عن أصل الشرور الإنسانية، ويُظهر تجربة الاعتراف باعتبارها تأسيساً للإيمان الديني وتجاوزاً للخطيئة الدينية، فينتج عنها تجارب دينية نفسيّة أهمها المدنّس. يرى الإنسان، في هذا المقام، أنّ كل مدنّس شر، ومن ثمّ وجب تفاديه، إلا أنّه ليس شرّاً خالصاً يأخذ صوراً مختلفة كالنجاسة، التي لا تعدُّ لطخة فيزيائية مادية بل رمزية أيضاً؛ لكونها تحيل، في الوقت نفسه، على بعدين مختلفين ومتعارضين أحياناً؛ فالجنس مثلاً يحمل صفتين متعارضتين؛ الطهارة والدناسة. تنجلي إذاً تجربة الاعتراف بوصفها تعبيراً عن حالة شعورية نفسيّة مسبقة، لكنّها لا تحمل ملامح الخوف فحسب؛ بل أبعاد الصفح والمحبة أيضاً؛ فسموّ الخشية أو الخوف إلى مستوى المحبة يجعل من الدين أفقاً للتسامح والصفح، وليس للعقاب والمحاسبة فحسب.

تتمظهر إيجابية الدين في العلاقة الذاتية بين الإنسان والرب، فهذا الأخير يواجه الإنسان بالغضب والسخط على ارتكاب الخطيئة، وإذا كانت هذه العلاقة تبدو لنا موضوعيّة، فإنها علاقة ذاتية أيضاً، تتمظهر في اعتراف الإنسان أمام الرّب، والتضرّع وطلب العفو والصفح، وهنا مكمن الذاتية بالنسبة إلى ريكور؛ أي كما لو أنّ الإنسان يرى نفسه في الرب، والعكس صحيح.

يرى د.عارف أن النص الديني، بالنسبة إلى بول ريكور، يُعَبِّرُ عن بنية قصصية سردية تجعل منه نصّاً سردياً بامتياز، يُعبّر عن تعددية للأصوات تجعلنا نتساءل عن من هو المتحدث الأساسي في النص؟ يحيلنا هذا التساؤل إلى وضعية الكلام داخل النص الديني؛ فالمرور من الكلام إلى الكتابة يشكل لحظة تأسيسية للنص الديني؛ ذلك أن الانتقال من الشفوي إلى المكتوب يُحدث مباعدةً بين المتلقي والمرسل، ليس لأن المكتوب يُعبّر عن شيء آخر غير ذلك الذي يُعبّر عنه الشفوي؛ بل لأن هذا الأخير يمكنه أن يتلاشى ويندثر، عكس المكتوب الذي يُحدث نوعاً من المقاومة؛ إنّه يمثل نصباً تذكارياً لا يمكن مقاومته. يفتح النص المكتوب آفاقاً للانفصال عن القصدية الأولى والمعنى الأصلي، فيدخل في علاقة جدلية مع القارئ، الذي يوظّف كل أساليبه وعتاده المعرفي والثقافي والتراثي لقراءته. تحاول الكتابة أن تُحدث علاقة تباعد بينها وبين المؤلّف؛ فالنص المكتوب يفصل بين القصد الشفهي والذهني أو النفسي للمؤلّف، وتشكّل الكتابة عالماً خاصّاً بها ينفصل عن عالم المؤلّف؛ لذلك نجد أن النص تاريخياً يبقى منفتحاً على تأويلات لامتناهية.

ويشير د.عارف إلى أن الكتابة تعمل على الانفصال، أيضاً، عن شروط ووضعية إنتاجها الأصلية، فعلى الرغم من وجود كلام وراء الكتابة تُعبّر عنه بطريقة مباشرة داخل سياق معيّن معطى، لا تحتفظ سوى بالمعنى المعبَّر عنه داخل بنيتها، والذي يمكننا أن نتحدث عنه بصيغة الجمع وليس المفرد؛ فعندما يكتب المؤلّف فمن المؤكّد أنه يقصد معنى ما، لكن هذا المعنى لا ينفك ينفلت من بين يديه ليصل إلى يد القارئ الذي يستقبل النص كما لو كان نصّاً بكراً جديداً يحتمل معاني متعددة.

ويؤكد أن هذا التجاوز، الذي تحدثه الكتابة في علاقتها بالمؤلف، يتجه بالضرورة إلى القارئ، الذي يفتح النص على تأويلات متعدّدة اعتماداً على مبدأ المباعدة، الذي يُعَدُّ ضرورة هرمينوطيقية داخل الكتابة؛ "فالمباعدة ليست إنتاجاً للميتودولوجيا بما يعني ذلك أنها مجرد أمر مفروض أو طفيلي؛ بل إنها تشكل ظاهرة النص ككتابة، وفي الوقت نفسه هي شرط للتأويل".

إن استقلالية النص الثلاثية عن مؤلّفه وسياقه ومرسله الأوّل تبين لنا أن النصوص مفتوحة على عدد لا يُحصى من التناصية بوساطة الاستماع والقراءة، وأيضاً على لا تناصية تُوجد بقوّة داخل فعل الكتابة نفسه، فهم النص هنا لا يعني بالضرورة استنفاد القدرات الخاصّة والنهائية للفهم مقابل النص؛ بل هو التفاعل معه من أجل كشف عالمه الخاص، الذي قد يكون مختلفاً عن العوالم التي سبق اكتشافها. عالم النص، إذاً، هو المفتاح داخل النص، فما يمكن تأويله داخل النص هو العالم الكامن فيه، وهو نفسه العالم الذي توجد فيه كينونة القارئ.

ويلفت د.عارف إلى أن مقال ريكور حول الرمز، الذي نُشر في كتابه "فلسفة الإرادة التناهي والذنب"، يُعدُّ علامةً فارقةً في الهرمينوطيقا الفلسفية بشكل عام. يرى ريكور أن الرمز يمنح التفكير، فهو لا يتحقق إلا بطريقة تأويلية بالمرور عبر ثلاث مراحل أساسية: الفينومينولوجيا والهرمينوطيقا والتأمُّل؛ تُمثّل المرحلة الفينومينولوجية الفهم الكلّي المتسق للرمز، حيث تجعلنا قريبين جداً منه؛ بل نحيا فيه، لكن الرمز يحتاج إلى مقاربة ثانية أكثر أهمية من المقاربة الفينومينولوجية تتمثّل في الهرمينوطيقا.

وهنا يقترح ريكور الحلقة الهرمينوطيقية: "يجب أن نفهم لكي نعتقد، لكن يجب أيضاً أن نعتقد لكي نفهم". لا تعدُّ هذه الحلقة مفرغة بقدر ما تُعبّر عن حيوية كبيرة. إنّ الاعتقاد الموجود في هذه الحلقة الهرمينوطيقية ليس بالضرورة اعتقاداً دينياً، فما يجب أن نعتقده، أو نؤمن به، من أجل أن نفهم، هو أنّ المعنى موجود مسبقاً في صميم اللغة. تعني هذه المرحلة من الفهم "الرمز يمنح التفكير" أنّ المؤوّل ليس هو من يملك المعنى أو يفرضه؛ بل إنه مُعطى مسبقاً من قِبَل الرمز. ينتج عن هذا الافتراض المسبق القائل: إنّ المعنى موجود مسبقاً في امتلاء وغنى اللغة، استحالة حصول بداية جذرية في الفلسفة.

كلّ رمز قابل للقراءة وإعادة القراءة؛ أي أنّه قابل للتأويل، فهو يشير إلى دلالة من الدرجة الثانية والثالثة، حيث يجعل كلّ دلالة تُولّدُ دلالة جديدة، وهذا ما جعل ريكور يُخضع الرمز لمقاربة ثالثة سمّاها التأمّلية أو الفلسفية عبر عملية التأويل الخلّاق، التي لا ترى في الرمز حجاباً أو فكراً متنكراً يجب كشفه؛ فتأويل الرمز يهدف إلى الكشف عن كينونة الذات وفهم كينونتها في الكينونة.

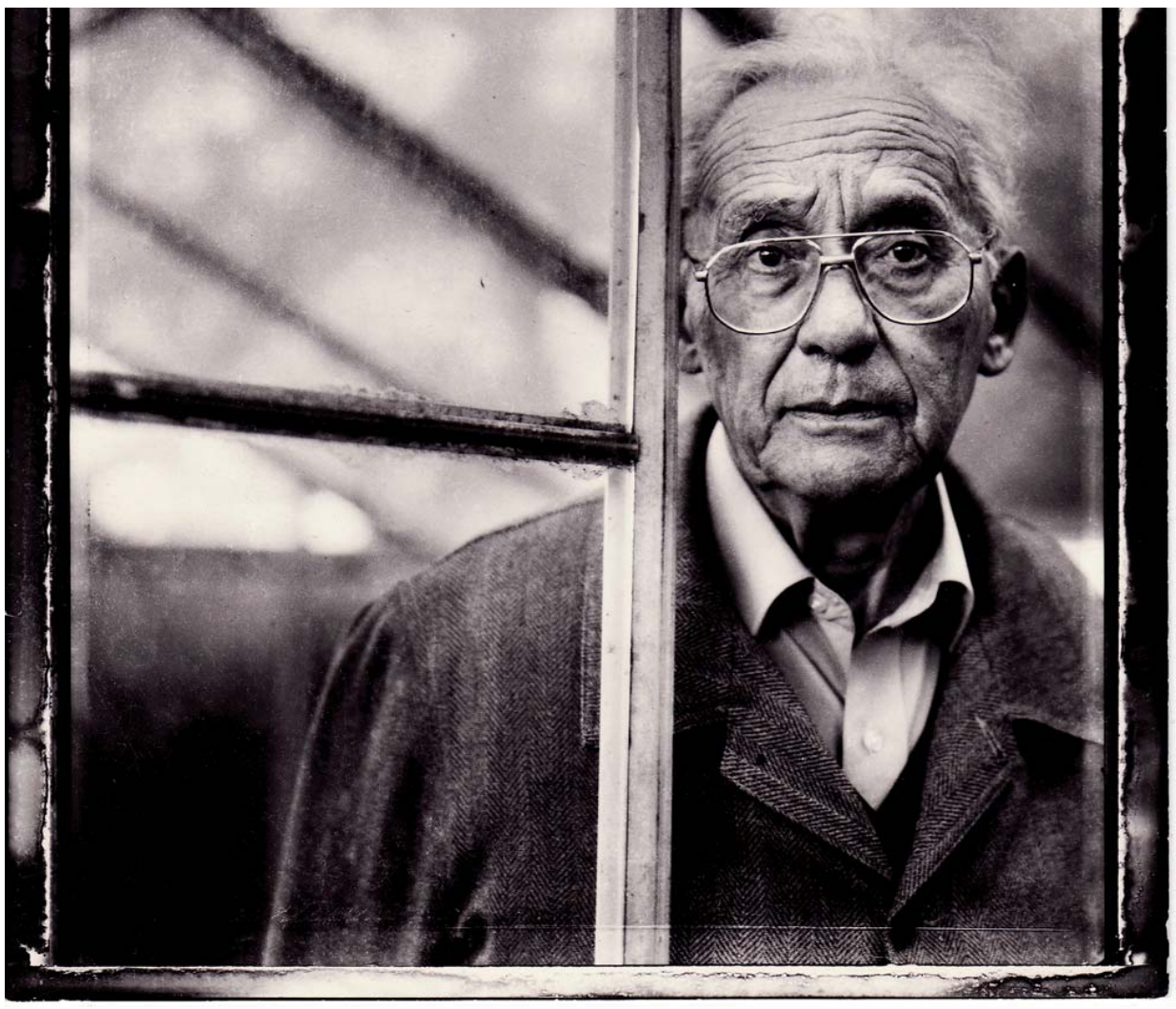

ما يمكن تأويله داخل النص هو العالم الكامن فيه

رف الكتب

فلسفة ألان باديو

❏ المرتكز الفلسفي لآثار الفرنسي ألان باديو المتنوعة بين المسرح والرواية والمقاربات الجمالية والسياسية والمديح والسجال، حوصله في كتب ثلاثة كبرى تمثل ما يشبه الحكاية الميتافيزيقية هي "الكينونة والحدث" (1988) و"منطق العوالم" (2006) وأخيرا "تأصّل الحقائق" الذي ظل يشتغل عليه طيلة خمسة عشر عاما. بعد أن درس الحقائق والأفراد من منطلق نظرية الكينونة، وبعد أن أكد أن كونية الحقائق وأبطالها يمكن أن تخضع لقواعد المظهر في عالم مخصوص، يتناول في هذا الجزء الثالث مسألة خطيرة: إلام تستند مقولة إن الحقائق مطلقة، ما يعني أنها ليست فقط ضد أي تأويل تجريبي، بل تملك أيضا ضمانة ضد بنية متسامية؟ ما مصير الحقائق والأفراد الذين يقع تناولهم، بعيدا عن أشكال كينونتهم البنيوية وأشكال مظهرهم التاريخي الوجودي، في مطلقية فعلهم التي لا تراجع عنها، وفي المصير اللانهائي لأثرهم المنتهي؟ وماذا نقصد بمطلقية الحقيقة، ما دامت الآلهة قد ماتت؟ هي محاولة لبناء فكر تام يناسب عصرنا، مستوحى من مواد عقلانية معاصرة، رياضية وشعرية وعاطفية وسياسية، أي من الحياة الحق.

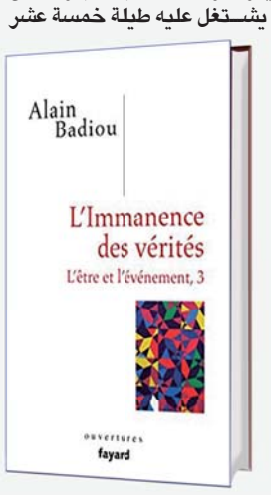

ما بعد الحقيقة ونمط عيشنا

❏ أثار دخول عبارة "ما بعد الحقيقة" قاموس أكسفورد عام 2016 عدة تعاليق صحافية، لا سيما ظاهرة الـ"فيك نيوز" دون تحليل عميق. بيد أن هذا المفهوم لا يخص الروابط بين السياسة والحقيقة وحدها، بل يشوش التمييز بين الصواب والخطأ، ويسيء إلى قدرتنا على العيش معا في عالم مشترك. في كتاب بعنوان "ضعف الحقيقة"، تفكك الفيلسوفة الفرنسة مريام ريفو دالّون عددا من مظاهر الخلط في العلاقات بين السياسة والحقيقة، لتبين أن مشكلة السياسة الأهم ليست مطابقتها للواقع، بل صلتها بتشكيل رأي عام وإصدار أحكام. إن استكشاف "نظام حقيقة" سياسي يوضّح ما به تتميز الأنظمة الديمقراطية، المعرضة بانتظام إلى ذوبان معالم اليقين، وغواية النسبوية، ويحول "الحقائق القائمة" إلى وجهات نظر، وأنظمة توتاليتارية، حيث تصنع سلطة الأيديولوجيا عالما خياليا تماما. وبدل أن تثري ما بعد الحقيقة العالم، تفقّر المخيال الاجتماعي، وتشكك في الأحكام والتجارب الحساسة التي يمكن أن نشترك فيها. وفي رأيها أنه من الضروري أن نعي طبيعة هذه الظاهرة إذا كنا نريد توقي آثارها الإيثيقية والسياسية.

المؤثرات الوجدانية والمعايير القيمية

❏ في كتابه الجديد "الظرف الفوضوي" يبين فريديريك لوردون الباحث في مجال الفلسفة أن الفوضى في أصلها اليوناني "أنْ أَرْكي" تعني شيئا لا أساس له، فهي مفهوم مركزي لمبحث قيمي عامّ ونقدي. عام لكونه ينظر بجدية إلى حديثنا عن "القيمة" بخصوص أشياء مختلفة كالاقتصاد والأخلاق والإستيتيقا وكل أشكال العظمة، ويبحث فيها عن مبدأ مشترك. ونقدي لأنه يقيم الدليل على غياب القيمة عن القيم، ويطرح سؤالا لمعرفة كيف لمجتمع أن يقوم وهو لا يقوم على أي شيء. وفي رأيه أن ليس لهذين السؤالين سوى جواب واحد: المؤثرات الوجدانية المشتركة. فهي التي تخلق القيمة في سائر القيم. وهي التي تسند القيمة حيث لا يوجد أي تجذر ورسوخ. ويستخلص الكاتب أن ليس للمجتمع في الظرف الفوضوي سوى عواطفه ووجدانه كي يساعد نفسه على أن يتجاهل أنه لا يعيش إلا معلقا في ذاته.

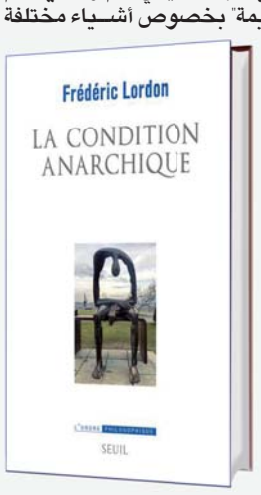

المسرح ينفرد في ريادة التغيير الثقافي في مصر

«أبوالفنون» يعلن تمرده ويخوض معركة حرية الثقافة

شريف الشافعي
كاتب مصري

❑ ينصّب المسرح نفسه ملكا متوجا بامتياز وعنوانا لا يقبل الشراكة لأوراق الحصاد الثقافي بمصر خلال عام 2018، فهو الفن الذي طرق أبواب السياسة والإصلاح الاجتماعي متحليا دائما بالجرأة والإقدام والاقتحام ومستغلا المتاح من هامش الحرية ومحطما أسوار الرقابة والمنع، ليقدّم على منابر الدولة والمسارح الخاصة، ومن خلال فرق الشباب والهواة والمستقلين، عروضا تتمرد على الواقع السائد وتعرّي المجتمع وأزماته الطاحنة.

واستضافت القاهرة على مدار العام، في إطار مهرجانات دولية رسمية وأهلية، مسرحيات محلية وعربية وأجنبية ساخنة، تتعمق في قراءة التحولات الجوهرية للشعوب والبنى الأساسية للمجتمعات، وتواكب التجريب الفني والانزياحات الجمالية والتكنولوجية الفائقة في عصر الإبهار وخطف الأنظار.

لم يأت لقب "أبوالفنون" من فراغ، فالمسرح هو الفن الأعرق والأشمل والأقدر على التطور والتجدد والتمدد والاتساع للحياة النابضة الكاملة بتفاصيلها وعلاقاتها وطقوسها، بالقدر ذاته الذي يتسع فيه لسائر الفنون، بين رواية وشعر وموسيقى وغناء وتمثيل وتشكيل وتصميم وسينوغرافيا وغيرها.

بهذه الإمكانات، وبرغبة حقيقية في الانغماس في قضايا الواقع والانخراط في هموم الإنسان لتقديم معالجات فنية حرة وثورية وجريئة، برز المسرح في واجهة النشاطات الثقافية بمصر على مدار عام 2018، في وقت توارت فيه الكثير من الأعمال الفنية الأخرى، ما جعل المسرح يتسيد العام الماضي.

يكاد يكون المسرح المجال الأوحد المضيء في المشهد الثقافي المصري، إلى جانب بعض النجاحات الجزئية والطفرات الفردية في حقول أخرى، منها الفن التشكيلي على سبيل المثال، وبعض الفنون المعاصرة البصرية والموسيقية والرقمية والمعمارية، التي قدم فيها مبدعون مستويات راقية حظيت بتقدير دولي ونالت جوائز مرموقة، كالمشروع المعماري "روبابيكيا" الذي اختير ضمن أفضل عشرة أجنحة في بينالي "فينيسيا".

الانتصار على الرقابة

من شواهد التفوق المسرحي بمصر في 2018، وتجلياته تغلّبُ المسرح على آليات المنع الرقابية والأمنية، فالمسرح لا يزال يمتلك قدرا من الحصانة بما يخوله لتمرير رسائل انتقادية جريئة يصعب تمريرها من خلال وسائل الإعلام وفنون أخرى، فهو الساحر الأكثر ذكاء في استغلال هامش الحرية وتطويعه ليكون أكثر اتساعا ومرونة، حتى عندما يكون العرض على أحد مسارح الدولة، وحتى عندما يكون الانتقاد سياسيًا صريحا.

جاءت مسرحية "قبل الثورة" للمؤلف والمخرج أحمد العطار في مارس الماضي على مسرح "روابط" ضمن فعاليات "مهرجان وسط البلد للفنون المعاصرة دي كاف" لتوجه ضربة إلى سيف التضييق والحصار السلطوي، فبعد قرار الرقابة بحذف خمسة مشاهد من العرض، قاد المسرحيون احتجاجا واسعا ضد هذا "المقص"، وشنوا هجوما على جهاز الرقابة على المصنفات الفنية، ما أجبره على إجازة العرض كاملا.

و"قبل الثورة" دراما سياسية وكولاج مسرحي، حول مقدمات أحداث 25 يناير 2011، وقدمت من خلال معالجة تجريبية لأحداث التاريخ والمزج بين الفانتازيا وقصاصات الصحف رؤية تنتصر لإرادة التغيير في مصر وإحداث حراك سياسي حقيقي.

وشكلت عروض "المهزلة الأرضية" و"سينما 30" و"علي الزيبق" خلال الصيف الماضي دعاوى مباشرة للتمرد على الواقع وإيقاظ الشعب من سكونه وجموده. ففي "المهزلة الأرضية"، المأخوذة عن عمل ليوسف إدريس في الستينات، استعانت فرقة "صوت العقل" بجنون الكاتب الراحل لتقديم معالجة تنتقد أحوال المجتمع المصري الجديد ومعطيات الحاضر الراهن التي لم تتغير إلى الأفضل، فلا يزال الإنسان أسير سلبيته وأنانيته ونزعته المادية ورضوخه للسلطة.

قدمت المسرحية فكرة جريئة، لمساءلة الفرد والمجتمع في آن، وصوّرت ثورة على النظام السائد يقوم بها المجانين، الذين يتضح لاحقا أنهم هم العقلاء الحقيقيون، فالحياة دون تغيير تعني الموت.

وفي الفلك ذاته، انحازت مسرحية "سينما 30" في تجربة غير مسبوقة بالأبيض والأسود للشعب البسيط المقهور ضد القوى السياسية والدينية، ولجأت فرقة تجارة عين شمس إلى قناع الماضي على مسرح "الهوسابير" عبر حكاية سينمائية محمّلة بالرموز والإسقاطات. وفي الختام، تمكن الفلاحون المتّحدون من الثأر من العمدة، ليطهّروا القرية من قوى الظلم والظلام المختلفة. وبدورها، قادت مسرحية "علي الزيبق" حملة على الفساد والعنف في مصر، وهي مسرحية مأخوذة عن عمل للكاتب يسري الجندي، استغلت المكر الفني لورشة شباب الأندلس "فرقة الدوبلير" لتصوب على مسرح ساقية الصاوي سهاما إلى صدر الأوضاع الاجتماعية والسياسية السائدة بمصر، من خلال الإسقاط والترميز والأقنعة، واستغلال شخصية "علي الزيبق"، البطل الملحمي المعروف، الذي يشهر أسلحته وحيله وألاعيبه في وجه السُّلطة الجائرة، ويواجه مظاهر العنف والفساد المستشرية في البلاد.

تطورات وتحولات

اتسع صدر القاهرة على مدار العام لمسرحيات عربية وأجنبية ضمن خارطة المهرجانات الدولية الرسمية والأهلية. واتسمت هذه العروض، كما في مهرجاني "وسط البلد" (مارس) و"المسرح التجريبي" (سبتمبر)، بالقدرة على خوض المغامرة ومواجهة الصعاب وملامسة التطورات الجمالية والتقنيات المسرحية المبهرة.

واستطاعت المسرحيات المتفوقة أن تحقق الهدف الأساسي، وهو صيد التحولات الجوهرية للشعوب والبنى الأساسية للمجتمعات، وطرح تساؤلات حول إمكانية مساهمة الفن في احتواء الدمار المحيط بالعالم والاحتفاء بالحياة أملا في غد جديد.

بعض هذه العروض جاء حركيًا خالصا، مثل العرض السويسري "طرب" على مسرح الفلكي، الذي أطلق لغة الجسد خارج البرواز من خلال أداء حركي متحرر لتسعة فنانين، أعادوا اكتشاف ملامح القاهرة كمدينة شعبية، مراهنين على الدفء الإنساني وانسيابية الأجساد وسيولتها في فيوضات الموسيقى، وتقديم الرقص كغاية جمالية وتعبيرية دون الانخراط في تفاصيل حكائية تنتقص من القيمة الحركية والبصرية.

وجاء العرض الفرنسي "هل هذا هو المكان؟" على المسرح ذاته، كتجربة شفيفة تستدعي مشاعر الفقد وتطرح تصوُّرا لتماهي الحقيقة والخيال، واقترح العرض جماليات "المونولوج" كمساحة للرؤية الفلسفية وفضاء لاكتشاف العلاقة بين المكان والزمان، والكتلة والطاقة. والمدهش أن الصدفة لعبت دورها، إذ تزامن هذا العرض مع رحيل عالم الفيزياء ستيفن هوكينغ في مارس الماضي، وكلاهما ينتصر للثورة على الثوابت، ويبحر في "الزمكان"، ويتناول الانفجارات والانهيارات الكبرى في العالم والإنسان، ويعيد تعريف معاني الضوء.

وتقاطع العرض التونسي الكندي "الشقف" على مسرح "ميامي"، والعرضان الجزائري الفرنسي "الحارقون" والإماراتي "ليلك ضحى" على مسرح "الهناجر"، في ما يمكن تسميته دراما التنوير والتفجير، حيث تحتشد كل الطاقات الفكرية والفنية والجمالية من أجل تجاوز الواقع العربي المفرط في السوداوية بفعل جماعات الظلام ودعاة الإرهاب والعنف.

نكأت المسرحيات المقتحمة جراحا عميقة أنتجتها المعارك العسكرية والقلاقل السياسية والصراعات الداخلية في العالم العربي، ما أدى إلى سيادة الرجعية وقوى التخلف، واغتراب المواطنين داخل أوطانهم، وهجرتهم غير الشرعية إلى الخارج، حيث يلاقون مصيرا داميا مأساويًا، أو يهلكون خلال رحلة الهرب ذاتها.

الخيبة والخلل

خلال العام 2018، اشتركت عروض محلية كثيرة في استعراض ملامح الخيبة والخلل والانتكاس في سائر المجالات والقطاعات، بما يسجل مؤشرا قويًا إلى تمسك المسرح بدوره الإصلاحي والانتقادي، سياسيًا واجتماعيًا، بالإضافة إلى كونه فنًا في الأساس، يستعرض ما يجري بصيغ جمالية، خارج الشعارية والزعيق والفجاجة والمباشرة.

من هذه العروض، مسرحية "خلل" في أكتوبر الماضي على مسرح ساقية الصاوي لمجموعة من الفنانين الشباب بفرقة "كيو"، وهي مسرحية تفاعلية تشاركية، تشرّح طبقات النسيج المجتمعي المصري، وتتقصى جذور العنف والتطرف، محيلة إياها إلى التنشئة الأسرية الخاطئة. وتقدم المسرحية الوقود الحيوي الكامن لدى الشباب كطاقة إيجابية يمكن استثمارها وتفعيلها لمحو هذا "الخلل" ودرء المخاطر المحدقة. وبعنوان "خيبتنا"، أطلق محمد صبحي على مسرح مدينة سنبل للفنون في سبتمبر الماضي كوميديا سوداء تنتقد الأحوال السائدة، ليس بهدف السخرية المجانية أو تعميم اليأس وفرضه من خلال شخصية "الدكتور يائس ، وإنما لإثارة التأمل والتفكير في الأزمات والمشكلات العميقة، مثل الفقر والبطالة وقضايا الحريات والديمقراطية وغيرها، بغية تحليلها وإيجاد حلول جوهرية لها.

وتتماس المسرحية مع تبعات ثورات الربيع العربي والتغيرات السياسية والمجتمعية و"الجينية" التي لحقت بالشعوب، بمزج بين الواقع والخيال.

وبالتوازي مع الموسم الرابع لمسرح مصر، الذي لم يخرج عن إطار الترفيه والتسلية والإضحاك، أطلق أشرف عبدالباقي في نوفمبر الماضي مسرحية "جريما في المعادي" على مسرح نجيب الريحاني، مع الإشارة إلى أنها "مسرحية كلها غلط"، والخطأ هنا الذي يستعرضه مجموعة من الشباب الجدد هو كل ما يدور في المجتمع بدءا من عنوان المسرحية ("جريما" بدلا من "جريمة")، المقتبسة من رواية أجنبية للإنكليزي ريدفورد، وصولا إلى أن الجريمة بحد ذاتها تعني الخطأ، وكل إجراءات التحقيق والاشتباه في الشخصيات تقود إلى اكتشاف الأخطاء البشرية والسلبيات المجتمعية اللانهائية.

وبلغ تصوير الخلل مداه في مسرحية "المعجنة" على المسرح القومي في شهر ديسمبر، وهي مسرحية صادمة ومغايرة للطرح المعتاد على مسارح الدولة، وترصد بجرأة بلغت حد الفضائحية ملامح التفكك الأسري والعلاقات المبتذلة وغير الشرعية والشاذة ومسالك الانحراف والعربدة والانحدار القيمي في المجتمع، في ظل غياب فكرة "البيت" كمظلة دفء واحتماء واحتواء، مستعينة بتقنيات وعناصر مسرحية مبهرة، وإنتاج ضخم.

الفانتازيا والاستعراض

من سمات مسرح 2018 في مصر، إفساح المجال للأداء الحركي والاستعراضي، والمزج بين الفانتازيا والواقع واللعب على أوتار التاريخ، بإعادة صياغة نصوص قديمة محلية وعالمية، أو باستحضار شخصيات تاريخية وأسطورية في العمل.

وشهد يوليو الماضي "كوميديا البؤساء" على مسرح "ميامي"، في مغامرة فنية للمسرح الكوميدي، تحولت فيها مأساة الفرنسي فيكتور هوجو إلى عرض استعراضي غنائي ساخر.

ولم تعن المعالجة المصرية بالانخراط في التماهي مع شخصيات وأحداث النص الأصلي الذي حضر كخلفية للاستيحاء. ومن خلال فيلسوف العدالة الاجتماعية الفرنسي سخر المسرح المصري من أوضاع اجتماعية حالكة، وأطلق رسالته بأن المجد في النهاية للعشق والأمل، ولا يأس في هذه الحياة، ما دامت هناك قلوب تنبض بالحب والتسامح والمقاومة. وطرحت فرقة "مسرح الشباب" على مسرح "أوبرا ملك" في ديسمبر أزمات المجتمع المصري والإنسان المعاصر عموما من خلال العرض المسرحي "مترو"، الذي ينبني على الفانتازيا ويستحضر التقنيات المبتكرة لتصوير أشخاص مأزومين مهزومين، منعزلين في محطة قطار مجهولة، يتوقف فيها الزمن، وتتعطل الآمال، ويغوص الشباب المحبطون في سجنهم الداخلي، وذواتهم المكلومة، قبل أن يمزقوا الخيوط العنكبوتية، ويستردوا وعيهم من خلال الحوار والعشق، ويستعيدوا أنفسهم الضائعة.

ومن "بجماليون" (على مسرح تياترو أفاق) إلى "أليس في بلاد العجائب" (البالون) و"كينغ كونغ" (البالون) و"طريق طروادة" (ساقية الصاوي)، وصولا إلى "شقة نجيب محفوظ" (مسرح الغد) و"حكاية البنطلون" لسعدالدين وهبة (ساقية الصاوي)، حيث جاءت هذه العروض من وحي التاريخ وأحداثه وشخصياته الحقيقية والأسطورية، مرتكزة على كلاسيكيات إبداعية من الأدب اليوناني والأوروبي والعربي في صياغات عصرية وشبابية تتمثل الحاضر بإسقاطات وإحالات ذكية.

عنيت هذه العروض بالأداء الجسدي والمتعة البصرية والحركية، والتابلوهات الاستعراضية، والأحداث الغرائبية في خضم صراع الخير والشر، والأفكار الجريئة حول الصمود والمقاومة والتحرر من الخوف والدعوة إلى خوض معركة الإصلاح والبناء في مصر.

وإلى ذروة الفانتازيا وتفاصيل العالم الرقمي والحياة الافتراضية ووسائل التواصل الاجتماعي، حيث مسرحية "ساعة شيطان" التي فضحت انحدار القيم في المجتمع من خلال "صورة سيلفي" لأسرة المصرية المفككة في كوميديا أوقدت الشموع السوداء على مسرح "الصاوي"، حيث تجسَّدَ الشيطان مقدّما حلولا تدميرية لسفينة الحياة المتخبطة، في ظل غياب القيادة الرشيدة.

ومع إفراط مواقع التواصل الاجتماعي في التهام رؤوس الشباب، صوّرت مسرحية "تسجيل دخول" الحياة الافتراضية الباردة والواقع المفقود في ارتجالات كوميدية على مسرح "الهناجر"، بمعالجة فنية إلكترونية لحصاد الثورات العربية وأبرز القضايا المجتمعية الراهنة، بغية تفجير طاقات الشباب الخلاقة، وبلوغ الواقع الحقيقي المفقود، وقنص الأحلام المهدرة، بدلا من إضاعة الوقت والجهد في المسارات المتخيلة.

وحملت مسرحية "أنثى عبرية" على مسرح "رومانس" دعوة ناعمة إلى محو العداوات بين البشر وتجاهل الاختلافات الدينية باسم المحبة، فيما بارز العشقُ الكراهيةَ على مسرح "الغد" في تراجيديا "الثامنة مساء"، وجاء الزمن بطلا منتقما من الطغاة. وبلور العرض الفلسطيني "بابا.. تعا لعندي" في معهد جوته الألماني مشاعر الشتات المجتمعي، وثورة الفن الطموح على الصورة التقليدية للمرأة.

«أليس في بلاد العجائب».. متعة الحركة والاستعراض والأداء الجسدي

«كوميديا البؤساء».. مأساة فيكتور هوجو في عرض استعراضي غنائي ساخر

سينما عالمية تتجه نحو البث الرقمي وأخرى عربية تكافح للبقاء

عام سينمائي عربي وعالمي حافل بالمفاجآت

أمير العمري
ناقد وكاتب سينمائي من مصر

من الفيلم المكسيكي «روما» أهم أفلام العام

❑ في المحاضرة التي ألقاها بمهرجان القاهرة السينمائي الـ40، صرح المخرج وفنان الصورة والرسام البريطاني المرموق بيتر غريناواي بأن السينما لم تعد موجودة، وأن الموجود حاليا هو نوع من "الكتب المصورة"، وأن الأفلام أصبحت تُقتبس عن كتب وروايات، وبالتالي فقد الفيلم قدرته الديناميكية على التجدد من حيث القدرة على التلاعب بالصور والابتكار من داخلها، بحيث يصبح الفيلم فنا مستقلا عن الأدب.

غريناواي منحاز بالطبع لفكرة الفيلم الفني، وتحديدا "السينما الخالصة" pure cinema التي تتخلص من أي تأثير للمسرح والرواية، وتخلق لغتها الخاصة. النسبة الأكبر من الأفلام التي ظهرت في 2018 هي بالفعل مقتبسة عن أعمال أدبية أو مذكرات شخصية أو من بعض كتب سيرة. وهو ما يجعل مهمة كتاب السيناريو أكثر صعوبة حيث يصبح مطلوبا منهم البحث عن سياق سينمائي يستخدم الصور والمشاهد والمواقف الدرامية التي يمكن أن تعبر عن الموضوع دون خطابة أو ثرثرة، أي باستخدام عناصر اللغة السينمائية.

إلا أن "السينما الخالصة" موجودة أيضا ولم تذهب طي النسيان كما يوحي كلام غريناواي، فطموح السينمائيين يدفعهم نحو المغامرة في الشكل، في البحث عن وسائل جديدة لنقل رؤيتهم السينمائية مع الاحتفاظ بخصوصية الصورة السينمائية وخصائصها المميزة.

أفضل الأفلام

على سبيل المثال كان من أهم وأكثر أفلام العالم بروزا وأثرا، فيلم "روما" للمكسيكي ألفونسو كوارون الذي حصل على جائزة "الأسد الذهبي" في مهرجان فينيسيا السينمائي. هذا الفيلم يعتبر نموذجا مثاليا على السعي الدائم من جانب "فنان الفيلم"، للتعبير عن أفكاره الشخصية من خلال ما يعرفه، أي تجربته الخاصة واستعادة ذكرياته في طفولته أو مراهقته، فمخرجه كوارون يصنع ملحمة سينمائية ولكن من خلال صورة حداثية تماما، تربط السياسي بالاجتماعي بالنفسي، الذاتي بالموضوعي، والتأملي بالسردي، يتخلص من الفكرة الأدبية التي تنحصر في رواية قصة، ولكنه فضلا عن هذا، يحتفي كثيرا بالعلاقة بين الشخصيات والمكان في إطار زماني محدد هو بداية السبعينات.. أي في فترة القلق والاضطراب والتقلبات السياسية التي انعكست بشدة على التناغم الطبقي.

إنه يعود إلى الأسرة، أسرته، يحاول أن يفهم مغزى ما حدث في ذلك الوقت ويكشف أسرارا كثيرة في العلاقة بين الطبقتين: الوسطى الثرية التي كان ينتمي إليها، وطبقة الخدم الأدنى المحرومة التي تعيش في كنف السادة، لكن الفيلم ليس عن الصراع الطبقي بل بالأحرى عن التواصل الإنساني بين النساء من الطبقتين، عن الفهم الكامل لمشكلة المرأة الأخرى، وكيف يمكن أن يخلق التعاضد بين المرأتين: الأم- السيدة- المعذبة التي تدفع ثمنا باهظا بسبب حماقات وأنانية الزوج- الرجل- السيد، والمرأة الأخرى، الخادمة، التي تتعرض بدورها لمحنة يخلقها الرجل الذي يستغل براءتها ويخدعها، وذلك في سياق شعري خلاب.

من سينما المخرج- المؤلف أيضا برزت التحفة السينمائية "حرب باردة" للبولندي باول باوليكوفسكي الذي يمكن استقباله كقصة حب تدور في الزمن المستحيل، بين اثنين محكوم عليهما بالفراق. طرفا القصة هما "فيكتور" و"زولا". فيكتور موسيقار وعازف بارع على البيانو وعاشق لموسيقى الروك، وزولا مغنية شابة تصغره بنحو عشرين عاما تقيم في بلدة صغيرة في الريف البولندي. الزمن: أواخر الأربعينات أي في وقت كانت بولندا لا تزال تتعافى من مصائب الحرب العالمية الثانية. كانت الدنيا كلها مازالت بـ"الأبيض والأسود"، وجاءت السلطة الشيوعية الجديدة تبحث عن إرضاء ربيبتها موسكو والتقرّب إليها عبر الفن.

هناك قدر من الغموض الدرامي المثير الساحر والضبابية التي تخفي أي تفسير للدوافع التي اعتاد عليها المتفرج، لتلك اللقاءات والافتراقات الممتدة عبر نحو عقدين من الزمان ويحدث الانتقال في الزمن أحيانا داخل اللقطة الواحدة والمشهد الواحد، وأحيانا من خلال فواصل من اللقطات السوداء يستخدمها باوليكوفسكي بين المقاطع المختلفة، مع التعليق عن هذا الشجن الحزين من خلال الموسيقى والأغاني التي تنتمي إلى الفترة. إن شريط الصوت في "الحرب الباردة" يصلح وحده عملا فنيا خلابا قائما بذاته. ولا شك أنه اقتضى الكثير من البحث والتدقيق في تراث عهد كامل ثم إعادة توليفه في سياق بصري شديد الجاذبية. والفيلم أيضا ينبع من ذكريات مخرجه عن والديه وزمانهما وهو يهديه إليهما.

«حرب باردة» يثبت بقاء السينما الخالصة

من أفلامي المفضلة في 2018 الى جانب "روما" و"حرب باردة"، فيلم "المفضلة" للمخرج اليوناني يوغوس لانتيموس في أول أفلامه الناطقة باللغة الإنكليزية وفيه يعود إلى بريطانيا القرن الثامن عشر، إلى عهد الملكة آن من خلال كوميديا تدور داخل أروقة البلاط الملكي، تشيع فيها المؤامرات والدسائس، وتدور حول شهوة السلطة والرغبة في السيطرة والتنافس الشرس بين امرأتين، تتطلع كل منهما إلى أن تحظى بمكانة الوصيفة المفضلة لدى الملكة آن التي كانت تعاني منذ وقت مبكر من اعتلال صحتها.

وأهم أفلام 2018 هو فيلم الأخوين كوين "أنشودة بستر سكروغز ، و"بيترلو" للبريطاني مايك لي، و"بلاكلانسمان" للأميركي سبايك لي، و"إخوة الشقيقات" للفرنسي جاك أوديار، و"الحد الفاصل" للدنماركي (من أصل إيراني) علي عباسي، و"على بوابة الأبدية" للأميركي جوليان شنابل، و"مربي الكلاب" للإيطالي ماتيو غاروني، و"ليلة الإثني عشر عاما" للمخرج ألفارو بريخنر من أوروغواي، و"المترجم" للتشيكي بيري مينزل، و"المذنب" للدنماركي غوستاف مولار، و"أبدا لا تنظر بعيدا" للألماني فلوريان فينكل دونرسمارك. وأفضل تسجيلي فني هو "أبدا لن يشيخوا" الذي أنتجه تلفزيون 'بي بي سي' وأخرجه بيتر جاكسون، الذي أعاد توليف لقطات تعود إلى زمن الحرب العالمية الأولى. وكعادته أثار الفيلم التسجيلي الجديد لمايكل مور "11/9 فهرنهايت" ضجة سياسية مازالت أصداؤها تتردد في واشنطن.

عن الكلاب والبشر

فيلم "مربي الكلاب" دراسة في شخصية رجل منسحق بائس يتحول بفعل الظروف إلى وحش كاسر، مع تصوير اجتماعي دقيق للبيئة المحيطة، فكل شيء في هذا الفيلم يبدو منقولا مباشرة من قلب الواقع؛ الأماكن والشوارع والبيوت والمقهى والمقصف والمحلات، الأركان المظلمة في البلدة، الساحة الخالية المليئة بالنفايات والقاذورات وعلى طرفها يوجد محل مارشيللو. أما الكلاب فهي تراقب وتشاهد المصير السيء الذي ينتهي إليه سوني الوحش المتجبر العنيف، في النهاية عندما يتم إدخاله أحد أقفاص الكلاب في محل مربي الكلاب مارشيللو، وما يعقب ذلك من مصير مأساوي.

أما فيلم "الحد الفاصل" فهو عمل لا يشبه غيره من الأفلام. وهو يدور حول كائنات تسكن منطقة تقع بين الأحلام والواقع، بين الهواجس والكوابيس الليلية وبين الحياة الأرضية الطبيعية، حول هذا "الحد" الفاصل بين العالمين، وأهمية الاختيار بين الانتماء لعالم الخير أو عالم الشر. والفيلم مقتبس بتصرف عن رواية الكاتب السويدي جون أفيد لينكفيست "دع الشخص الصحيح يدخل" التي أصبحت من أكثر الأعمال رواجا وقت صدورها في السويد عام 2005، ووصفها النقاد بأنها تجمع بين "الرومانسية والخيال المرعب والواقعية الاجتماعية"، ورغم ذلك هو دليل لا يقبل الشك على إمكانية التحرر من الصور الأدبية وتقديم عمل ينتمي للسينما الخالصة خلافا لما يردده بيتر غريناواي. ويمزج الفيلم بين الأسلوب الرومانسي وأسلوب فيلم الرعب والواقعية، ويستوحي الكثير من الصور المستقرة في الخيال الشعبي الاسكندنافي عن "الكائنات غير الإنسانية"، كما يستخرج منها مجازا عن العلاقة المرتبكة بين الاسكندنافي، أو بين الإنسان عموما، و"الغريب" أو "الآخر" القادم من الخارج، وينجح المخرج في التعبير بالصورة والضوء والمؤثرات الخاصة والجو العام والأماكن المختارة بعناية بحيث تضفي على الفيلم طابعا تغريبيا، أو تجعله يبدو كما لو كان يدور بين الواقع والخيال، في سياق ما يعرف بـ"الواقعية السحرية".

السينما الشعبية

على صعيد الأفلام الشعبية برز فيلم "الفهد الأسود" للمخرج ريان كوغلر، الذي تصدر قائمة الإيرادات فقد حقق أكثر من 700 مليون دولار. ويقدم الفيلم رؤية جديدة لأبطال الأفلام التي تعتمد على القصص الخيالية الأميركية والغربية عموما مثل سوبرمان وباتمان وجيمس بوند وغيرها، أي الأبطال البيض الغربيين، فيعرض الفيلم أبطالا (وبطلات أيضا) من السود الأفارقة، ولكن ليس في نطاق التوجه إلى المشاهدين السود فقط، بل لمشاهدي العالم كله، أي أن الفيلم مصنوع كما لو كان ردا مباشرا على أفلام مثل "ثو" و"عودة الجيداي" و"كابتن أميركا".

«يوم الدين» يتميز ببعده الإنساني

السينما الرقمية

في 2018 وقعت معركة حامية الوطيس بين مهرجان كان وشبكة نتفليكس للبث الرقمي للأفلام، وكان المهرجان في هذه المعركة يعبر عن موقف أصحاب قاعات السينما الفرنسية الذين يرفضون عرض أفلام نتفليكس قبل أن تمتثل للتشريعات الفرنسية التي تقضي بضرورة أن تعرض الأفلام أولا في قاعات السينما قبل بثها عبر الإنترنت، وهو ما أدى الى أن سحبت الشبكة عددا من أهم أفلامها وفضلت عرضها في مهرجان فينيسيا حيث حصلت على أرفع جوائزه "الأسد الذهبي" عن فيلم "روما" المكسيكي.

تقول نتفليكس إنها مع نهاية 2018 تكون قد أنفقت 20 مليار دولار خلال السنوات الثلاث الأخيرة، على بناء مخزونها من الأفلام والمسلسلات سواء تلك التي تنتجها مباشرة أو التي تشتري حقوق توزيعها وعرضها. أي أن المستقبل يبدو مشرقا أمام نتفليكس والشبكات المماثلة مثل أمازون وغيرها.

السينما العربية

لم يكن عام 2018 عاما جيدا بالنسبة للأفلام العربية، رغم الحضور الكبير في عدد من المهرجانات السينمائية الدولية وحصول الفيلم اللبناني المتواضع المستوى "كفر ناحوم" لنادين لبكي على جائزة من جوائز مهرجان كان.

عرض في مصر 36 فيلما، برزت من بينها أربعة أفلام على رأسها "يوم الدين" للمخرج الشاب أبوبكر شوقي، الذي شارك في مسابقة مهرجان كان وتقدمت به مصر للترشيح في مسابقة الأوسكار، و"تراب الماس لمروان حامد وهو مقتبس من إحدى الروايات الشعبية، و"كارما" لخالد يوسف الذي يعود به إلى السينما بعد غياب أكثر من ست سنوات، و"زهرة الصبار" لهالة القوصي.

"يوم الدين" عمل جيد ويصور موضوعا جديدا عن السينما المصرية بأسلوب سينمائي بسيط يعتمد نهج أفلام الطريق، لكن ما لفت الأنظار إليه وجعل جمهور مهرجان كان يتفاعل معه وينفعل به، هو موضوعه الإنساني الذي يمس القلوب. ولم يحقق "كارما" نجاحا يذكر، بينما حقق "تراب الماس نجاحا كبيرا.

ومن الملاحظات البارزة ظهور 14 مخرجا جديدا انضموا إلى طابور السينما التجارية، وغياب كبار المخرجين عن الساحة أمثال داود عبدالسيد ويسري نصرالله وخيري بشارة (الذي يبدو أنه يكتفي بإخراج المسلسلات) ومجدي أحمد علي وشريف عرفة (الذي لم يقدم بعد فيلم "الكنز 2 كما كان متوقعا).

قرب نهاية العام عرض فيلم ورود سامة لفوزي صالح، و"ليل خارجي" لأحمد عبدالله بعد عرضهما بمهرجان القاهرة، وكلاهما في رأي كاتب هذه السطور، جاء مخيبا للآمال رغم ما أحاط بهما من ضجيج، وخاصة "ورود مسمومة" التي أعلن كاتب القصة التي اقتبس عنها- أحمد زغلول الشيطي- تبرؤه منه. وكررت معظم الأفلام التسجيلية المصرية التعبير عن عالم المهمشين والبؤساء من دون إضافة حقيقية.

أفضل الأفلام العربية في 2018 هو في رأيي الفيلم الفلسطيني "التقارير عن سارة وسليم" لمؤيد العليان الذي أثار الكثير من الجدل عند عرضه في فلسطين، ولكنه لم يعرض حتى الآن في أي دولة عربية. ومن أفضل ما شاهدناه أيضا الفيلم المغربي (الفرنسي الإنتاج) "صوفيا" أول أفلام المخرجة المغربية مريم بن مبارك الذي حصل على جائزة أحسن سيناريو في قسم "نظرة ما" بمهرجان كان، والفيلم التونسي "دشرة" أول أفلام المخرج عبدالحميد بوشناق وهو أول فيلم عربي حقيقي من أفلام الرعب ولكنه محمل أيضا بالكثير من الإسقاطات.

وبوجه عام قدمت السينما التونسية عددا من الأفلام المميزة منها "على كف عفريت" لكوثر بن هنية الذي عرض في "نظرة ما" بمهرجان كان، و"ولدي" لمحمد بن عطية (نصف شهر المخرجين مهرجان كان)، و"فتوى" لمحمود بن محمود الحاصل على التانيت الذهبي في مهرجان قرطاج، ولم يبرز في السينما المغربية فيلم تجاوز النطاق المحلي المحدود.

في 2018 توقفت مهرجانات واستمرت أخرى، وتسعى مهرجانات ثالثة إلى التغلب على مشكلاتها التي ترتبط بتقلص دور السينما في المجتمع. وربما مع الانكماش الهائل المستمر في عدد قاعات السينما لم يبق لمشاهدة الأفلام على الشاشة الكبيرة سوى مهرجانات السينما!

ماذا لو عاشت الشخصيات الروائية في زمن آخر؟

رواية «أما بعد» لمصطفى بيومي تقتفي أثر شخصيات نجيب محفوظ

ممدوح فراج النابي
كاتب من مصر

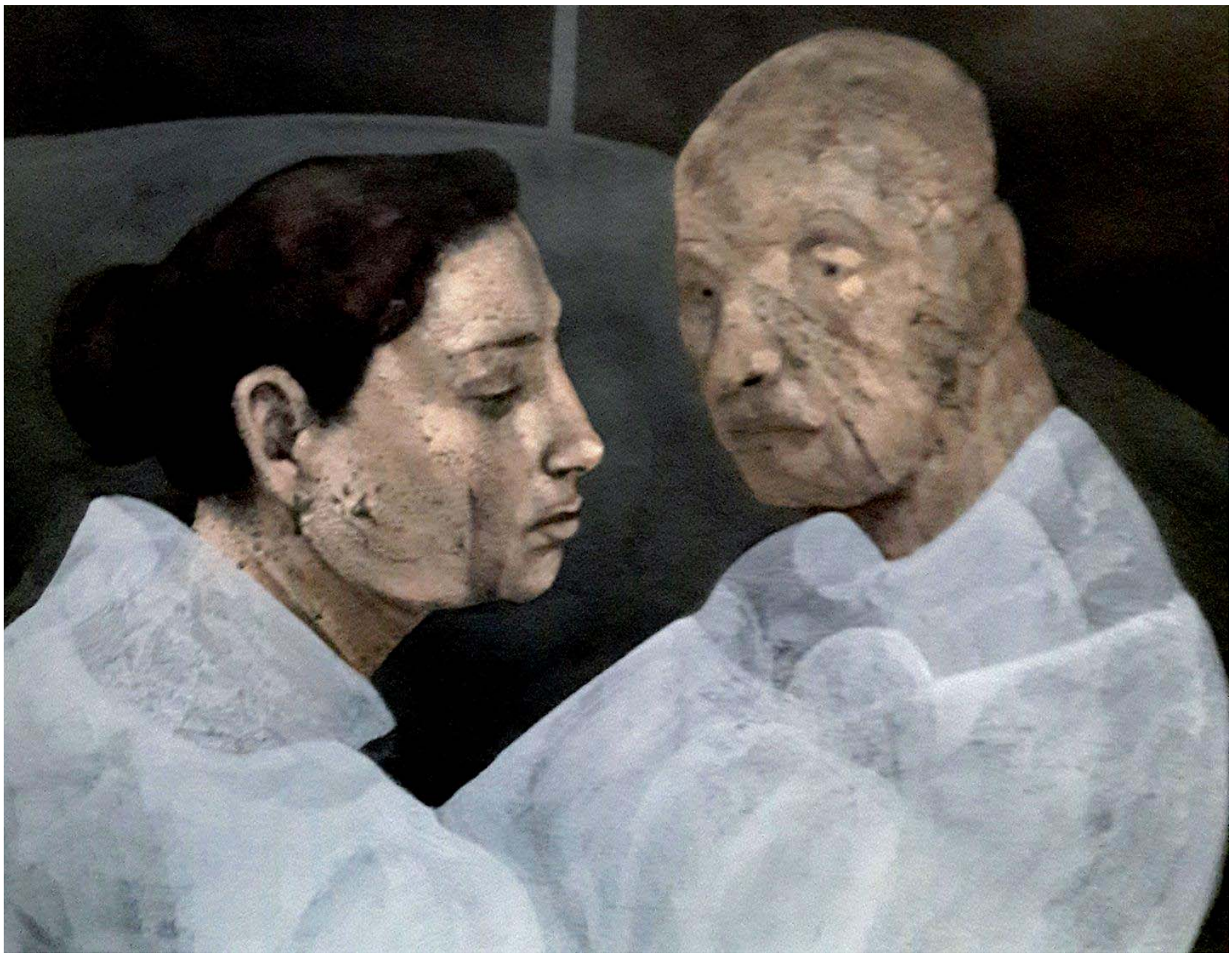

مغامرة روائية ذات طابع حديث ومغر (لوحة الفنان وليد نظامي)

❏ في محاولة تستهدف مغايرة المألوف السائد في الكتابة النقدية قام الناقد الفرنسي بيير بايارد باستبدال أسماء مؤلفي الروايات الشهيرة بأسماء أخرى، متتبعا كيف ستكون مصائر الشخصيات لو كتبت من قبل مؤلف آخر غير مؤلفها الشخصي، فاستبدل هنري جيمس بمارسيل بروست، وفلوبير باستاندال والفيسلوف نيتشه بدوستويفسكي. ويبرر ما فعل بأن هذه الأعمال تمتاز بالأصالة وهذا المنحى يفيد النصوص بإبراز معان غير منتظرة، ما كانت لتظهر في ظروف أخرى.

نقد التحسين

فكرة تعديل النصوص إن جازت تسميتها، ترتبط في أحد أهدافها بالسعي لتحسين الأعمال الأدبية الفاشلة على حد قول بايارد نفسه، وهو ما أسماه "نقد التحسين"، أي إخضاع النصوص للتعديلات. وفي ذات الوقت تكون بمثابة الدفاع عن الحق في التخييل، بما أن اللا شعور يلعب دورا حاسما في تلقينا للأدب. ومن زاوية أخرى نقيضة تماما، قد لا يقبلها البعض باعتبارها تدخلا سافرا من قبل الناقد أو الأديب في أعمال لها شهرتها العظيمة، واكتسبت أهميتها حتى بأخطائها على نحو ما شاهدنا ثلاثة ألوان لعيني مدام بوفاري في رائعة غوستاف فلوبير "مدام بوفاري".

وبقدر جرأة الفكرة في تبديل أسماء المؤلفين بآخرين يختلفون عنهم على كافة المستويات، إلا أن نتائجها غاية في الأهمية كما يقول، حيث تدفع إلى "إعادة التفكير في حضورنا الذاتي ضمن الأعمال التي نلتقيها". وإن كان ثمة هدف نبيل آخر يتمثّل في الحفاظ على حيوية النص وعلى الاهتمام بقراءته، والأهم هو عقد صلات جديدة من دون توقف بين الكُتّاب والنصوص.

على غرار فكرة الفرنسي بيير بايارد، نتساءل: هل لنا أن نتخيّل أن يقوم كاتب آخر بكتابة أعمال محفوظ؟ وحتى لا تكون الفكرة مستهجنة في عالمنا العربي، نتجاوز هذا السؤال إلى آخر: ماذا لو قدر لنجيب محفوظ نفسه أن يستكمل أدوار شخصيات رواياته المهمّة في الحياة، ويجعلها تستمر إلى لحظة الموت الحقيقي، لا الموت الروائي (حيث انتهاء الدور المرسوم من قبل الكاتب للشخصية)، ويغامر بهم فيشهد معهم التطوّرات التي حدثت للمكان الذي فارقته بعض الشخصيات؛ هربا من ذكرى الماضي، أو ينتقل بهم إلى أماكن أخرى لم يطأوها كأسوان وأسيوط وغيرهما من الأماكن؟ في اختبار لحالة التكيّف والمعايشة مع نقيض "المكان الأليف" الذي دعا إليه غاستون باشلار، فنرى هذه الشخصيات وهي تتعايش مع الواقع الجديد، المغاير للمكان الذي مارست فيه أحلام اليقظة وتشكّل فيه خيالها، وإن كانت محمّلة بندبات الماضي وجروحه الغائرة في النفس.

في الحقيقة هذه فكرة لم تخطر، ربما، على بال محفوظ نفسه. فهو لم ينشغل بتتبع مصائر شخصيات رواياته، بقدر انشغاله بنسج عوالم جديدة وشخصيات جديدة على مدار رحلته الإبداعية. لكن بما أن الإبداع قائم على الخيال في الأصل، وأن الخيال هو محركه الأساسي، وربما هو الدافع الذي دفع الكاتب والناقد مصطفى بيومي إلى المغامرة واستدعاء شخصيات محفوظ لاستكمال أدوارها التي توقفت مع نهايات الرواية التي رسمها محفوظ نفسه.

فكرة استدعاء شخصيات أو أحداث معينة، تدخل في باب المحاكاة أو إعادة الكتابة وهي أحد أنماط التناص وفق مصطلحات نظرية الأدب؛ حيث يعمل المؤلف على تناسل حكايات جديدة لحكايات قديمة، واستحضار شخصيات تجاوزت كونها شخصيات روائية، أي كائنات من ورق إلى شخصيات نمط.

المعروف أن نجيب محفوظ أوقف شخصيات أعماله عند ذروة معينة، تارة امتثالا لنسق القيم الذي انتصر للشرف كما في حالة إحسان شحاتة التركي بطلة رواية "القاهرة الجديدة"، وكامل رؤبة لاظ بطل رواية "السراب"، وبعضها إيذانا بانتهاء زمن وبداية زمن جديد كما في حالة عيسى الدباغ بطل رواية "السمان والخريف"، ورؤوف علوان بطل رواية "اللص والكلاب"، وتارة ثالثة استجابة لتغييرات الداخل وما حل على الشخصية من رضا كما في حالة سهام محمد حامد علوان في "الباقي من الزمن ساعة".

الانفلات والصدام

في مغامرة مصطفى بيومي "أما بعد" الصادرة عن سلسلة إبداعات قصصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، نحن مع نص يكسر مفهوم الرواية الكلاسيكية، ويحلّق بها في آفاق ما بعد حداثية، فلا حكاية ممتدة، ولا شخصيات متطورة، وإنما حكايات منفصلة، محورها الأساسي شخصيات روائية تنسل من أعمال محفوظ السابقة، وتحضر بعد أن أعاد المؤلف إحياءها من جديد، ووضعها في سياق ما بعد زمن توقفها عند نجيب محفوظ، مختبرا صمودها في مواجهة ماض، وقدرتها على تخطيه كما فعلت الكثير من الشخصيات، أو انتظار فرصة التفشي من الماضي كما ذهبت بعض الشخصيات.

يخرج المؤلف الشخصيات من الدائرة السردية إلى الواقع المعيش، فعباس الحلو يفكر في كتابة مسرحية عن أحداث الفتنة الطائفية لكن موت السادات يوقفه ويجعله يتحوّل إلى بائع في محمصة. وعندما يموت محمود دياب الكاتب المسرحي يُصاب بالصدمة، وبالمثل يتكيّف عيسى الدباغ مع المستجدات الجديدة، التي كانت بمثابة الانتصار له (بالإنابة) على نظام الثورة، وانتقاما إليها عما حدث له، بل هناك بعض الشخصيات ترتكن لواقعها وتعيش في استسلام للواقع الجديد كزينب وسمارة بهجت وكامل رؤبة لاظ؛ حيث سعوا جميعا للتكيف مع العالم الجديد الذي قذفهم فيه الروائي، وقد أسس لهم فيه حياة جديدة.

ثمة شخصيات أخرى ظلت متشبّثة بماضيها ناقمة على الأوضاع كما حدث مع عيسى الدباغ الذي كان ناقما على الثورة، ووجد في هزيمة 67 شفاء لجراحه. نفس الشيء يتكرّر عند جاد أبوالعلاء في رواية "المرايا"، وزوجته لبنى ابنة الباشا، التي لا تنسى ما فعله ضباط يوليو مع أبيها الباشا. حتى أنها لا تطيق أحدا وتنسب كل نقيصة إلى ثورة يوليو. كما أن جاد نفسه في الروايات التي يكتبها أو تُكتب له، ينفّس عن كراهيته في حذر وخوف، ويقول مباهيا "إنه ليس موظفا في عزبة الضابط ولا يحتاج إليهم".

وثالثة ارتكنت إلى اليأس على نحو ما أُصيب علوان فواز محتشمي زايد، وانتهى به الأمر إلى دخوله السجن في جريمة عبثية تؤكد عبثية الواقع. نفس الحال نراه في شخصية سهام محمد حامد برهان، التي كانت نموذجا للتمرد على الدين وأعراف المجتمع وفكرة الأسرة ومنظومة القيم الأخلاقية بعلاقاتها الجنسية المتعددة، فينتهي بها الحال إلى الركون، وتتكالب عليها أشباح الوحدة والفراغ التي تقودها إلى عيادة طبيب نفسي، حتى أنها ترفض الإعارة إلى دولة خليجية، فوفقا لفلسفتها "ما الذي تُجديه الملايين في حياة خاوية المعنى!".

ورابعة متلوّنة لعبت على كل الحبال، كما في شخصية رؤوف علوان بعد أن التقط أنفاسه بمقتل سعيد مهران. يقدمه الراوي لنا وهو ينتقل مع المرحلة الجديدة، مرحلة الوحدة مع سوريا حيث يتبنى شعارات المرحلة ويسافر إلى سوريا ويكتب يوميات عن الوحدة من هناك. لا هم له إلا أن يحظى بكرسي رئاسة التحرير، وهو ما يتطلب منه مجهودا في الدفاع عن سياسات النظام. لا مجد له بالزواج وخلافه وإنما بالمحافظة على ما حقّقه من أرباح طيلة مسيرته، ومن ثم يعمد إلى كتابة التقارير للجهات الأمنية.

النص الدائري

يتألف النص من ثماني عشرة شخصية روائية من أعمال محفوظ، يعيد المؤلف أدوارها، ويستكمل لها مسيرتها في سياق جديد، حتى لحظة الوفاة التي تأتي في معظمها طبيعية، وإن كان سببها الوحدة التي عاشت فيها الشخصيات. وكأن المؤلف يقر داخليّا بأن موت الشخصية روائيا أفضل من هذا المصير البائس الذي انتهت إليه، فبعض الشخصيات لم يشعر أحد بوفاتها إلا بعد أن تسربت رائحتها.

يستعيد الروائي شخصيات محفوظ وقد تبدّلت مواقعها وطبقتها وظروفها، حتى أنه يثير خيالنا بالتحولات التي حلّت على الشخصيات، فلك أن تتخيل بائع لحمة الرأس في حارة دعبس والد زينب دياب، وهو يرتدي بدلة حتى ولو كانت مستأجرة، كي يحضر حفل زفاف ابنته زينب بعد أن ضمّدت مواجعها، لتتزوج من زميلها مازن في العمل. وبالمثل صورة حميدة بطلة رواية زقاق المدق بعد أن تخلصت من القوّاد المستغل فرج إبراهيم والعاشق الساذج عباس الحلو. وقد نسج لها المؤلف حياة جديدة متخيلة. وفيها غادرت الزقاق، إلى شقة عماد الدين. لتكون القوّادة السابقة خريجة السجون واحدة من سيدات الأعمال والمجتمع، فتتبدل أحوالها وتعيش في دعة بما اكتسبته من أموال، بل تراها من الحصافة حيث تستغل الأجواء العامة، فتساير تقلبات السياسة والاقتصاد، فتنفتح مع الانفتاح وتوصف بالمليونيرة حميدة أو المرأة الخارقة.

بالطبع هذه الحياة الجديدة مستمدة من ماضيها، فجذور الماضي ممتدة حيث مهنة القوادة. حياة جديدة بعيدة عن الاستغلال الذي كانت خاضعة له بحكم وصايا فرج وعباس الحلو: فتستيقظ هنا قرب العصر، ومع بداية الإظلام تستكمل زينتها وتغادر إلى مقر العمل في سيارة تقودها بلا عناء. تستقبل الزبائن وتجالسهم وتشرب معهم أحيانا، ثم "تعود إلى شقة عماد الدين حيث الرّاحة وهي منهكة مثل موظف كبير دؤوب".

اللافت أن المؤلف يحتفظ بالوعي الذي حمّله نجيب محفوظ لشخصياته، فلا يعبث في تاريخها الشخصي والوطني، أو حتى يسعى إلى تصحيحه بغرض نقد التحسين كما هو عند بيير بايارد، فحميدة تعمل في الدعارة، وإن كانت في طور جديد يناسب المرحلة الجديدة التي انتمت إليها، ووصفتها بأنها سيدة أعمال، وهناك مَن فقد إيمانه بالقضايا التي كانت تشغله كما فعلت زينب دياب، وانخرطت في دولاب العمل الحكومي، وإن كانت لم تسلم من إكراهات الواقع بعدما تجنّبت إكراهات السياسة، خاصة بعد رفضها عرض الزواج من مديرها. وبالمثل تطل علينا زهرة بطلة ميرامار الفتاة الريفية من جديد بعد رحلة عناء في البنسيون، وقد نالت حظا من الاستقرار، بل وتتزوج وتنجب طفلين تختار لهما اسمَيْن من أسماء البنسيون عامر ومنصور.

لا يعمد المؤلف إلى ترتيب زمني وهو يستدعي شخصياته، كما جاء ترتيبها في سياق أعمال نجيب محفوظ، فمثلا يبدأ بكامل رؤبة لاظ، وينتهي بزهرة في ميرامار، أي لا يعمد إلى إظهار الشخصيات وفق ترتيب تاريخي تبعا لظهورها عند محفوظ. وإن كان ثمة ترابط قائم على مستوى التحولات لواقع مصر لا على مستوى الشخصيات، حيث تتقاطع التواريخ بين الماضي القريب في ما بينها. الشيء الآخر أن الحكايات يمكن قراءتها منفصلة ودون ترتيبها داخل العمل، دون أن يحدث خلل في البناء، وهو ما يعزز من كسر النص لمفهوم الرواية الكلاسيكي.

> يتألف النص من ثماني عشرة شخصية روائية من أعمال محفوظ، يعيد المؤلف أدوارها، ويستكمل لها مسيرتها في سياق جديد، حتى لحظة الوفاة التي تأتي في معظمها طبيعية

يكشف التطوّر الذي سارت عليه الشخصات التطور الذي سار عليه المجتمع المصري حيث باب الهجرة للعمل في دول الخليج صار مفتوحا فيسافر إسماعيل الشيخ للعمل هناك، حيث الثراء والبترول ويكتفي بإرسال حوالة شهرية إلى عائلته، وإن كانت تنقطع أخباره وحوالاته. كما تسافر إلى ليبيا ريري ابنة عيسى الدباغ مع زوجها. وأيضا على السيد يسافر إلى الخليج، وشفيق أخو سهام يسافر إلى السعودية ولا يعود إلا لزيارات خاطفة. كما تنبئ الرواية عن مصير مفجع لبعض شخصيات محفوظ على نحو ما انتهى الوضع بسمارة بهجت في المصحة النفسية، أو الانتحار كما في علوان فواز محتشمي.

لا يفصل الروائي شخصياته في سياق أدوارها الجديدة عن العالم المحيط بها، فنرى انفعالاتها لما يحدث في الواقع كما رأينا عباس الحلو يكتب مسرحية مستلهما أحداث الفتنة الطائفية، وبالمثل طاهر عبيد الأرملاوي بطل قشتمر، فمع أنه زهد في الحياة السياسية إلا أنه يتابع أحداث الأمن المركزي من نافذته على مقهى قشتمر، بل لا يمنع نفسه من التأثر بغزو العراق.

في الحقيقة صارت شخصيات روايات نجيب محفوظ أكثر من كونها شخصيات روائية، بل صارت علامات على تدهور قيم مجتمع كما حدث مع حميدة وإحسان تركي وسعيد مهران وزهرة وحليمة الكبش، وأخرى صارت نماذج دالة على قسوة الأنظمة كما في شخصية زينب دياب وإسماعيل الشيخ وحلمي حمادة وعيسى الدباغ.

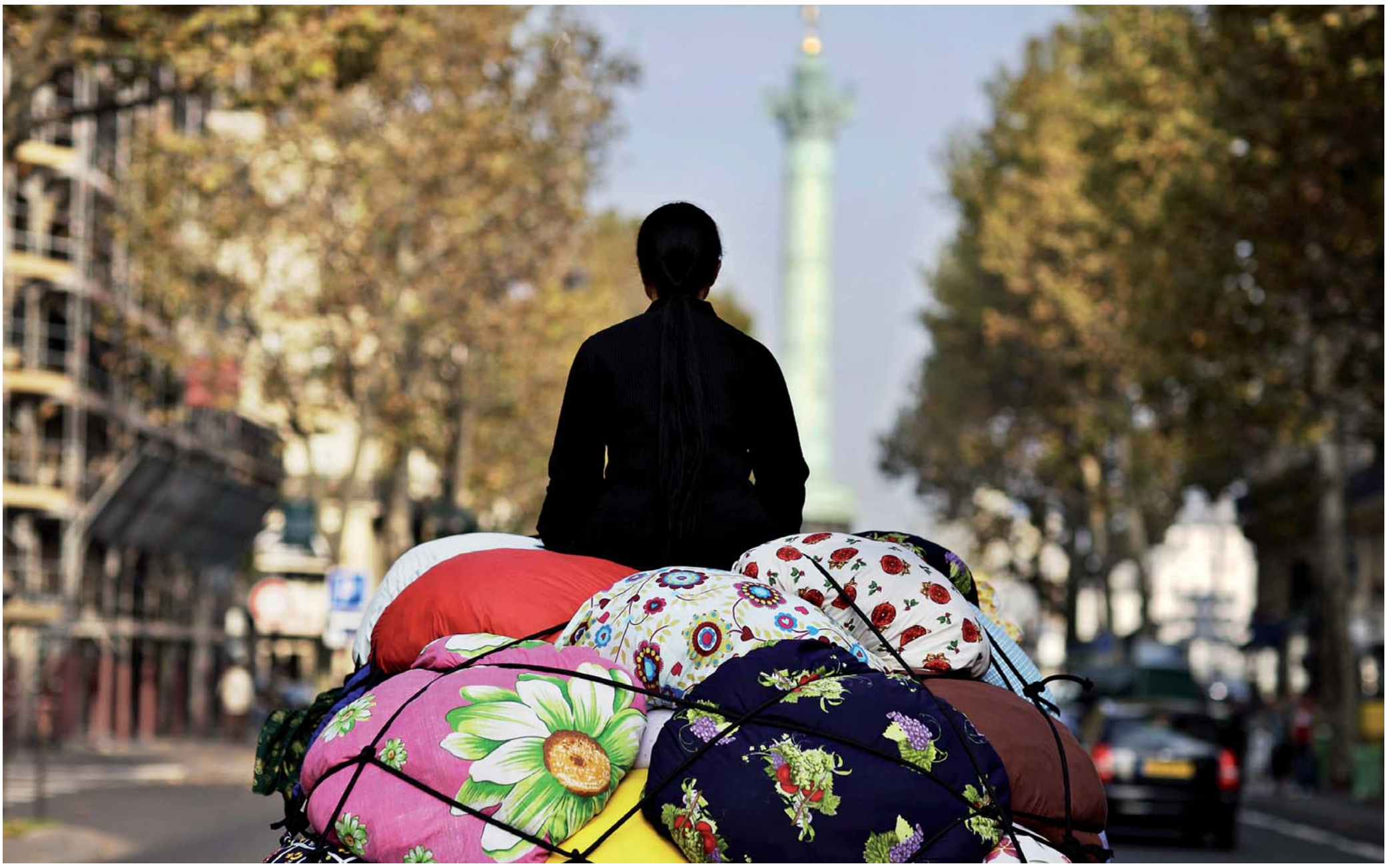

عمل يعكس يوم المهاجر في المتاهة الأوروبية

شخص مرحب به

الفن في مواجهة العنصرية الأوروبية

يَقترح المفكران الفرنسيان غيوم لوبلانك وفابيان بورجية في كتابهما "نهاية الضيافة"، تحوّل أوروبا إلى مساحة عدوانيّة ترفض "الآخر"، عبر تبنّيها مجموعة قوانين وأجهزة لدفع المهاجرين إلى "الخارج"، وعزلهم في مخيمات ومساحات استثناء، بل إن سياساتها العدوانيّة هذه، امتدت نحو مواطنيها أنفسهم، الذين يخضعون للمحاكمات ويدفعون الغرامات، لتسهيلهم عبور اللاجئين ومساعدتهم على الاستقرار، إلى جانب تفعيل القارة العجوز لمفهوم "الإنقاذ" عوضاً عن "الاستقبال"، ما يعني حلولاً مؤقتة، أخلاقيّة في الظاهر، لكنها تختزن ضمنياً، نفياً سياسياً وثقافياً للآخر المهاجر.

عمار المأمون
كاتب سوري

❑ دفعت مفاهيم "نهاية الضيافة" السابقة المتحف الوطنيّ للهجرة في باريس، ومتحف الفن المعاصر في ضاحية فال دو مارن، لإقامة معرض بعنوان "Persona grata" والتي تعني "شَخصٌ مرحبٌ به"، وفيه يستضيف المتحفان في ذات الوقت، مجموعةً من الأعمال الفنيّة المعاصرة التي تُسائل الظواهر الاجتماعيّة والثقافيّة المرتبطة باستقبال اللاجئين، وتعكس أشكال وسياسات الضيافة الحاليّة، ما يجعل العمل الفنيّ والمؤسسة الثقافيّة (المتحف) يقفان بوجه السلطة، ويضيئان على النشاط الاجتماعيّ المدني، وضمن هذه المواجهة، يتحوّل "الفن" إلى أثر مرئي فعّال، يكشف عدوانيّة خفيّة ضد القادمين الجدد.

تسعى الأعمال المعروضة إلى مخاطبة قضية اللاجئين، وجعل التجربة الجماليّة وسيلة لفضح التكوين الرمزي والقانونيّ للنظام القائم والسياسيات التي تتحكم بتوزّع "الغرباء"، وحركتهم في الفضاءات المختلفة، سواء أثناء هجرتهم أو في "البلاد الآمنة".

تتضحُ العمليّة السابقة أمامنا، عبر الموضوعات التي قسّم لها المعرض، وأولها بعنوان "نداء الطوارئ"، سواء ذاك الذي واجهه المهاجرون حين اتخذوا قرار ترك بلادهم والخطر الذي تحويه، أو الذي يواجهه الأوروبيون الذين من المفترض أن يرحبوا بالقادمين الجدد بعيداً عن أي اعتبار. ما يتركنا أمام "الطريق"، ورحلة العبور إلى الأمان، التي يُهدّدُ فيها المهاجرون في كل لحظة، فالطريق برياً كان أو بحرياً يشكّل خطراً على حياة الهاربين، في ذات الوقت يمثّل حُلماً يوتوبياً بالاستقرار، وهذا ما نراه في العمل الفوتوغرافي "المنزل" لإنريك راميرز، إذ نتأمل غرفة انتظار تطفو على الماء، هي شبه مكان آمن وشبه حميمي، النجاة فيه مؤقتة، كونه محاطاً بالغرق واحتمالاته، وهنا تتفكك الصورة اليوتوبيّة للحلم، فالطريق/ البحر خطرٌ، وركابه مكشوفون لنا وللتهديد الدائم، أما المنزل الآمن الذي تهدف إليه "الهجرة"، قد لا يكون إلا غرفة انتظار، بوصفها معادلاً لسياسات أوروبا، التي تترك القادمين الجدد معلّقين في مخيّمات وفضاءات مؤقتة لا استقرار فيها.

الموضوعة الثانيّة في المعرض هي "السحر"، والمقصود هنا القدرة والرغبة بالتعرّف على الغريب، واكتشافه بوصفه مرآة للذات وأحياناً وسيلة للخلاص، سواء على الصعيد الفردي أو السياسيّ، وهنا نُشاهد عملاً بعنوان "شخص مرحب به" للفنان لهواري محمد باكير، الذي كتب العبارة السابقة بالنيون المضيء، وكأنه يسخر من الإعلانات العدوانيّة التي يستهلكها الأوروبيون، ولا نقصد هنا الواضحة منها، كالقرارات السياسيّة والحملات الانتخابيّة، بل تلك التي تختفي وراء اللعب والترفيه، هي تحيط بالأوروبيّ، وتوحي له بأن هناك من هم غير مرحب بهم كما في الأفلام والبرامج التلفزيونيّة المختلفة.

ننتقل مع الموضوعة الثالثّة إلى الإنقاذ والاستقبال ومعانيهما، فالأولى تترك الفرد على حوافّ الحياة، أو حياً فقط، في حين أن الثانيّة تضمن استمراره، لكنها تتطلب جهداً سياسياً واجتماعياً، لخلق مساحات آمنة وصالحة لا فقط للحياة، بل للإنتاج على كافة المستويات، وهذا ما نراه في فيديو للفنانة الكوريّة الشماليّة كيم سوجا، إذ نشاهد شاحنة تتجول في باريس، محمّلة بأكياس قماشيّة، تحوي ثياباً وأغراضاً لعائلات مُهاجرة، أفرادها أحياء دون مساحات تؤويهم، هم مشرّدون في المدن الكبرى، أو مكدّسون في مخيّمات كي لا يعيقوا حركة السير.

> «أفق جديد»، تشير إلى محاولات خلق سياسات جديدة، لا تنشأ ضمنها قوانين وأعراف يَخضعُ فيها الزائر للمُضيف، بل تخلق شكلاً من التآخي الذي يضمن للجميع حياتهم واستمرارهم، ضمن صيغة تتلاشى فيها الحدود والاختلافات

يُحيلنا ما سبق إلى الموضوعة الرابعة، ذات عنوان "هل أبقى أم أذهب"، التي تُضيء على رغبة "الآخرين" بالاستقرار، والصعوبات التي يواجهونها، فهم يحلمون بمأوى وجيران وعمل، لكنهم دوماً مُعلّقون، بين متخيلات عن منزل حميمي وواقع قاس مُصمم لـ"طردهم"، وهذا ما نشاهد أصداءه في فيلم "يوم ستريم سايد"، الذي يوثق احتفالاً بتأسيس قرية وهميّة، اخترعها الفنان بيير هيوغ، حيث يتنكر قاطنوها الجدد بأزياء مختلفة وكأنهم في كرنفال، لنرى أنفسنا في عالم مُتخيّل يُرحبُ بالجميع، كباراً وصغاراً، سواء كانوا بثياب رسميّة أومُتنكرين بزي أرنب، أو رجل آلي أو زرافة، وكأننا نشاهد اليوم الأول لافتتاح يوتوبيا فانتازيّة، الجميع فيها يعيشون بسلام وعلى أهوائهم.

الموضوعة الأخيرة في المعرض التي تحمل عنوان "أفق جديد"، تشير إلى محاولات خلق سياسات جديدة، لا تنشأ ضمنها قوانين وأعراف يَخضعُ فيها الزائر للمُضيف، بل تخلق شكلاً من التآخي الذي يضمن للجميع حياتهم واستمرارهم، ضمن صيغة تتلاشى فيها الحدود والاختلافات، فلا بحر ولا سياج ولا جدران فاصلة، وهذا ما يقاربه شعرياً إنريك روماير، في منحوتة باسم شراع مهاجر، يصفه بأنه الحركة ذاتها، هو حر لا ينتمي إلى عالمنا وقيوده، هو غرض مهاجر دوماً.

مشهدان من المعرض.. أعمال تنشد البحث عن وضعية للمهاجر لا يخضع فيها للمضيف

الكرك وجهة أردنية تستقطب محبي المغامرات والباحثين عن الاستشفاء

قلعة الكرك أضخم قلاع القرون الوسطى في الشرق الأوسط مدينة سياحية متكاملة

الاهتمام العالمي بالحادثة الإرهابية داخل أسوار قلعة الكرك، منذ عامين، شكل ترويجا للمحافظة الواقعة جنوب الأردن مما زاد من إقبال السياح والزوار عليها، لا سيما وأنها تضم تاريخا زاخرا بالحروب ومعالم وأنشطة سياحية مختلفة وتنوعا مناخيا وجغرافيا، فالقلعة تمثل مدينة سياحية متكاملة من الداخل تجتذب محبي المغامرات والباحثين عن الاستشفاء وعشاق التراث.

سلام الشماع

❏ كشف محمود الصعوب مدير سياحة الكرك أنه "بعد الحادث الإرهابي، الذي تعرضت له قلعة الكرك عام 2016 والاهتمام العالمي بهذا الحادث انعكس الأمر إيجابا على الترويج لهذه القلعة فازداد عدد السياح بمعدل جيد جدا سنة 2017 عن العام 2016 وتضاعفت هذه الأعداد في العام 2018 عن العام الذي سبقه"، معتبرا ذلك إشارة إلى أهمية الإعلام في الترويج السياحي.

وقال الصعوب في حديثه لـ"العرب" إن غالبية الزوار والسياح هم من الجنسيات الأوروبية لما تعنيه لهم هذه القلعة من ذكريات مهمة في القرون الوسطى، وهناك سياح من الجنسيات الهندية والكورية واليابانية والصينية.

وأشار إلى أن وزارة السياحة الأردنية نظمت زيارات لسفراء هذه الدول إلى الكرك، بعد الهجوم الإرهابي، وأطلعتهم على الجانب الأمني، الذي يتمتع به الأردن، وهو الأهم، مما أسهم في إقبال مواطنيهم على زيارة هذه القلعة وزيادة الترويج لها في بلدانهم، فضلا عن الطبيعة السكانية المحافظة في الكرك، التي تمتاز بصفات الطيبة واحترام الضيوف وإكرامهم.

ونفذت وزارة السياحة مشاريع عدة داخل القلعة ومحيطها هدفت إلى زيادة متطلبات السلامة العامة، إذ أقامت بوابات أمنية وبوابات أمنية إلكترونية.

وتوصف قلعة الكرك بأنها من أضخم قلاع القرون الوسطى في الشرق الأوسط، بعد قلعة حلب، وأكثرها تحصينا من الخارج، فهي محاطة بالأودية الطبيعية وترتبط من الداخل بشبكة من الممرات السرية والأنفاق والأدراج بين الطوابق ويتوفر فيها نظام لقنوات إيصال المياه إلى الطوابق كافة.

تنوع سياحي

أوضح الصعوب "تمتلك محافظة الكرك مواقع خاصة بها على مستوى العالم، ففيها 4 آلاف موقع أثري أهمها هذه القلعة الضخمة، وموقع أول معركة إسلامية خارج حدود الجزيرة العربية (معركة مؤتة)، كما أنها تتمتع بتنوع في المواقع أكسبها ميزة تنافسية أخرى هي التنوع السياحي، ففيها السياحة الدينية متمثلة بمقامات الصحابة من شهداء معركة مؤتة في بلدة المزار، ومقامي النبي نوح والخضر، وأقدم المساجد من العهد العثماني، وأقدم الكنائس وأقدم مدرسة ابتدائية في الأردن".

وتابع "ويضاف إلى ذلك التنوع في التضاريس الذي انعكس على التنوع في الطقس، ويمكن للزائر أن يعيش أجواء عدة في يوم واحد، فإلى الشرق من مدينة الكرك الصحراء بامتدادها الفسيح ووسطها السهول والهضاب والجبال وإلى غربها أخفض نقطة على سطح الأرض هي البحر الميت والأغوار، وهناك سياحة المغامرات المتمثلة بسلوك الأودية وتسلق الجبال، وهناك السياحة العلاجية المتمثلة بحمامات المياه المعدنية، مما جعلها قبلة للسائحين، لكن ذلك لم يعفها من التأثر بالأوضاع الإقليمية منذ العام 2011 إلى العام 2017".

وتهتم وزارة السياحة بتطوير قطاع الخدمات السياحية في المحافظة من فنادق ومطاعم واستراحات، كما أنها تدعم أصحاب المهن الحرفية وخصوصا الجمعيات النسائية وتقيم لهم مهرجانات موسمية لعرض منتجاتهم للزوار مما يسهم في بيعها وتحسين المستوى المعيشي للعائلات.

وتقيم الوزارة أيضا مهرجانا سياحيا سنويا في موسم الصيف يشمل فقرات فنية وثقافية ومسرحيات أطفال وفرقا فنية من داخل محافظة الكرك ومن خارجها، بالإضافة إلى استضافة فرق أجنبية ترغب في عرض فعالياتها في أي وقت من السنة.

القلعة مدينة سياحية

قال مدير سياحة الكرك "إذا تحدثت كمواطن وليس كمدير للسياحة فسأقول إن القلعة يجب أن تستغل من الداخل بتحويلها إلى مدينة سياحية أسوة بالقلاع الأوروبية القديمة وبإشراك القطاع الخاص، وضرورة الاستفادة من الوضعية التاريخية للقلعة وإقامة مناسبات عامة فيها، فضلا عن أن القلعة بها حاجة إلى إتمام عملية إنارتها من جميع الجهات وهو مشروع مكلف، كما يتوجب الاهتمام أكثر بصيانة هذه القلعة وترميمها".

ولفت إلى أن من معيقات العمل ضيق الشوارع الواصلة إلى القلعة وضرورة التفكير بطرق مواصلات بديلة كالباصات والتلفريك.

تاريخيا، كان أكبر تحد لهذه القلعة وللجنود الصليبيين الذين كانوا فيها هو الحصار الذي ضربه عليهم القائد صلاح الدين الأيوبي، بعد إدراكه ضرورة تحرير القلعة في طريقه إلى تحرير القدس.

ومن القصص، التي مازال الكركيون يروونها لزائريهم وأطفالهم، والتي حدثت خلال حصار صلاح الدين للقلعة هي قصة زواج الأمير همفري والأميرة إيزابيل، خلال فترة الحصار والحرب، إذ أرسلت الأميرة ستيفني والدة الأمير همفري وزوجة أرناط مكتوبا إلى القائد صلاح الدين ترجو فيه السماح لهم بإقامة حفل الزفاف في أحد الأبنية داخل القلعة، فكان رده معبرا عن فروسيته فقد وافق على الطلب وقدم هدية للعروسين.

ويصف وليد ملاحمة من مديرية آثار الكرك قلعة الكرك بأنها تقع على بعد 125 كم جنوب العاصمة عمان وترتفع نحو 960م فوق سطح البحر، وتبلغ مساحتها الإجمالية قرابة 25 ألفا و300 متر مربع، وهي تشرف على البحر الميت والأغوار الجنوبية غربا وتحيط بها الأودية من ثلاث جهات: وادي الست من الشرق، وادي الإفرنج من الغرب، ووادي الكرك من الشمال.

وتلتقي هذه الأودية معا قرب عين سارة على بعد 2 كم غرب المدينة، وتشكل من قمة الجبل انحدارات قوية، هي في الشرق والشمال أكثر انحدارا منها في الغرب. أما في الجنوب فقد حفر خندق فصل الجبل الذي تقوم عليه القلعة والمدينة عن جبل الثلاجة ويمر عبر هذا الخندق طريق معبد يؤدي إلى بلدة الشهابية – الإفرنج سابقا – ويتفرع عن طريق آخر معبد يؤدي إلى الحي السكني.

وأوضح ملاحمة أن القلعة تأسست في فترة المملكة المؤابية، التي تعدّ إحدى الممالك الثلاث التي كانت في الأردن وهي العمونية والمؤابية والإدومية، وكانت حدود المملكة المؤابية من وادي الموجب شمالا إلى وادي الحسا جنوبا، وقد بنيت أساساتها في عهد الملك ميشع ملك مؤاب، الذي ذكر ذلك في مسلته الشهيرة الموجودة حاليا في متحف اللوفر، وكان أول ذكر لبناء القلعة سنة 850 ق.م كحصن ومعبد في المنطقة، ثم تعاقبت عليها الحضارات إلى أن وصلت إلى العصر الحديث وبهذه البنية.

أكثر من حصار

مرت القلعة بأكثر من حصار كلها لم تنجح، وفي العام 1188م حررتها قوات صلاح الدين من يد الصليبيين حيث استسلمت لهم من دون قتال، وأحلّ صلاح الدين أخاه الملك العادل ملكا للكرك والمنطقة المحيطة وبدأ يحضر لتحرير قلعة الشوبك، التي استولى عليها في ما بعد، وأولى الأيوبيون قلعة الكرك اهتماما كبيرا حيث كانت مركزا لحكمهم فرمموا ما تهدم منها خلال الحروب وأضافوا أبنية ومرافق جديدة لها، وبقيت تحت الحكم الأيوبي حتى نهاية حكمهم وسلطنتهم لتنتقل إلى الحكم الجديد وهي الفترة المملوكية حيث بدأت نقطة تحول في المنطقة والقلعة بالذات.

> وزارة السياحة تهتم بتطوير قطاع الخدمات السياحية في محافظة الكرك من فنادق ومطاعم واستراحات، وتدعم أصحاب المهن الحرفية وتقيم لهم مهرجانات موسمية لعرض منتجاتهم للزوار

وشهدت القلعة، بعد تأسيس السلطان الظاهر بيبرس الدولة المملوكية سنة 1262 – 1517م زيادة في البناء والمرافق وتم تحصين المدينة القديمة وتسويرها وبناء الأبراج الشاخصة إلى اليوم، مثل برج الحماة (الحصن)، والقاعة الناصرية، وبعض الأبراج الرائعة وأعيد ترميم مرافق أخرى واستخدامها.

وعلى الرغم من أن النسبة الأكبر من بناء القلعة الشاخصة حاليا بناها العرب المسلمون، إلا أن المرشدين السياحيين ينسبون النسبة الأكبر للصليبيين، ويعدون ذلك من ضمن الترويج السياحي واجتذابا للسياح الأوروبيين، كما يقول بأسف أحد موظفي الآثار.

جولة بين جنبات الماضي

معايشة عدة أجواء في يوم واحد

صمود في وجه الزمن

فنادق ذكية

التكنولوجيا الرقمية تغزو الفنادق

❏ **برلين** – يستقبل السياح في ردهة الفندق ديناصورا لإجراء تسجيل الوصول بشكل آلي، كما يمكن للسياح مثلا فتح الغرفة بواسطة الهاتف الذكي، هذه بعض ملامح غزو التكنولوجيا الرقمية للفنادق المستقبلية.

وأوضحت فانيسا بوركمان، الخبيرة بمعهد فراونهوفر الألماني، قائلة "تعد التكنولوجيا الرقمية وتطبيقاتها المحرك الرئيسي للتغييرات الحالية في قطاع الفندقة". وينصب اهتمام الباحثة الألمانية على المشروع البحثي الفندقي المستقبلي "فندق المستقبل" منذ أكثر من عشرة أعوام.

وأضافت بوركمان أن العديد من الفنادق العالمية تعتمد حاليا على الروبوتات للقيام بالأعمال الروتينية سواء كانت في بهو الفندق أو في الغرف، فمثلا عندما يقوم السائح بإجراءات تسجيل الوصول في قسم الاستقبال بفندق "هين نا" في اليابان، فإنه يتحدث مع ديناصور، ويظهر في قسم الاستقبال حيوان ما قبل التاريخ مع كائن آخر اصطناعي ودمية تبدو بمظهر موظفي الاستقبال في الفندق.

ولا يقتصر الاعتماد على الروبوتات في إجراءات تسجيل الوصول على هذا الفندق الياباني فحسب، بل هناك بعض الفنادق الألمانية، التي انتهجت هذا النهج أيضا، وتوفر الروبوتات للسياح المزيد من المعلومات عن الرحلات في المنطقة المحيطة أو تقدم بعض الخدمات للسياح.

ويقوم فندق "برونر هوف" في منطقة أرنشفانغ في الغابة البافارية باختبار الروبوت Pepper بالتعاون مع فندق آخر لاستعمال هذا الروبوت في بهو الاستقبال، كما يعول فندق "شاني" بفيينا على الروبوت "شانيبوت"، والذي يمكن استدعاؤه بواسطة السياح، ويقدم لهم معلومات ونصائح بشأن الرحلات خارج الفندق.

ويمكن للسياح التحكم في الغرف الفندقية عن طريق الهاتف الذكي، وهناك العديد من الفنادق توفر حاليا تطبيقات تتيح للسياح إمكانية حجز الغرف وإتمام إجراءات الوصول ودفع تكاليف الإقامة.

ويختبر فندق "شاني" بالتعاون مع معهد فراونهوفر إمكانية حجز غرف الفندق بشكل مسبق على غرار مقاعد الطائرة، ويتيح عدة اختيارات للسياح، سواء كانت الغرفة تطل على منظر خارجي أو في الطابق الأرضي أو بالقرب من المصعد.

وتسعى سلاسل الفنادق العالمية إلى تعزيز الترابط والتشابك في غرف الفندق؛ حيث قامت مجموعة ماريوت إنترناشونال بولاية ماريلاند الأميركية بتجهيز غرفة اختبارية لإنترنت الأشياء، ويتم في هذه الغرفة عرض تمارين اليوغا في مرآة بحجم الجسم الطبيعي، أو يتم ضبط درجة الحرارة المرغوبة وتخزينها في بروفايل الضيف أو نزيل الفندق.

وقامت بالإضافة إلى ذلك، مجموعة الفنادق "أن.آتش.هوتيل غروب" بإعداد غرف للحالة المزاجية في فنادقها في برلين ومدريد، ويمكن للضيوف في هذه الغرف ضبط مفاهيم إضاءة مختلفة حسب الحالة المزاجية وأوقات اليوم.

وأشارت ميريام تاينزر، خبيرة السياحة بالرابطة الألمانية للاتصالات وتكنولوجيا المعلومات، إلى أن التقنيات الجديدة تستغرق وقتا أطول لكي تنتشر في قطاع الفندقة، على عكس القطاعات الأخرى، كما أن السياح لا يكونون على استعداد كامل لقبول العروض الجديدة.

وأكدت بوركمان أن الوظائف الرقمية، التي سيتم تقديمها في الفنادق مستقبلا، ستظل وظائف إضافية؛ حيث سيكون بإمكان الضيوف مواصلة استعمال تجهيزات الإضاءة كالمعتاد عن طريق المفاتيح التقليدية.

بكين تضع الأخلاق جانبا وتفتح الطريق لاستنساخ البشر

أبحاث الدول الأخرى مكبلة بالقيود التنظيمية والأخلاقية فيما تنطلق الصين إلى مدار آخر

سلام سرحان
صحافي عراقي

هل اقترب موعد هندسة الأطفال حسب الطلب

❑ يقول مراقبون إن الصين تكاد تفلت في مدار بعيد في جميع البحوث الجينية والوراثية، بسبب منظورها المختلف للقيود والمعايير الأخلاقية، التي تسمح بأشياء كثيرة، لا تزال من المحرّمات في بقية أنحاء العالم.

ولا يشكّل خبر انطلاق نشاط أول استنساخ تجاري للكائنات الحيّة في الصين سوى مناسبة للحديث عن الحدود التي عبرتها الصين في ميادين الهندسة الوراثية والجينية، وما يرتبط بها من تطوير متسارع لصناعة الأدوية الحيوية.

قد يكون نجاح شركة سينوجين الصينية، في استنساخ الكلب الهجين "جويس الشهير بأدواره السينمائية مجرد خبر طريف، خاصة أن تقنية الاستنساخ ليست جديدة منذ استنساخ النعجة دوللي في أسكتلندا قبل 22 عاما.

استنساخ الحيوانات في الصين ليس خبرا جديدا فقد سبق ذلك استنساخ العديد منها، وخاصة حيوانات الباندا المهددة بالانقراض.

لكن الجديد أن سينوجين هي أول شركة خاصة للتكنولوجيا الحيوية، ويمكن أن تقدّم للزبائن كل ما يطلبونه، وقد يصل الأمر سريعا إلى استنساخ البشر، في ظل المنظور المركزي الصيني الذي يرى المحرّمات الأخلاقية من منظور مختلف كليًا.

ويجمع العلماء والخبراء على أن التكنولوجيا الحيوية في الصين تسير بسرعة فلكية مقارنة بمشروعات بنشاط الجامعات والمراكز العلمية في الدول الغربية، التي تواجه عوائق تنظيمية ومعارضة شعبية كبيرة لأسباب أخلاقية مثيرة لحفيظة الرأي العام.

كانت هناك قناعة عالمية راسخة بأن الأنظمة الليبرالية هي المناخ الملائم لجميع التطورات العلمية والاقتصادية الكبرى، لكن الصين أثبتت في العقود الأخيرة أن الاقتصاد الموجه مركزيا يمكن أن يكون له رأي آخر بسبب وضوح سلطة اتخاذ القرار، التي يمكن تقمع جميع الآراء والاعتراضات.

في نهاية الشهر الماضي بلغ الجدل ذروته حول مدى أخلاقية تعديل الجينات الوراثية للبشر، حين أعلن باحث صيني قيامه بأول عملية لتوليد طفلتين توأم معدلتين وراثيا، وهي عملية غير قانونية في جميع الدول الغربية وربما جميع بلدان العالم الأخرى.

وأثارت العملية استهجانا واسعة من الكثير من المنظمات والتجمّعات الدينية والشعبية، إضافة إلى الكثير من الباحثين في أنحاء العالم.

وكان الباحث هي جينانكواي قد درس في جامعتي ستانفورد ورايس الأميركيتين، قبل عودته إلى الصين وافتتاح مختبر في الجامعة الجنوبية للعلوم والتكنولوجيا في مدينة شينزين.

لكن نشاطه الأكثر إثارة للجدل هو امتلاكه شركتين تعملان في مجال الجينات، والبحوث التي يمكن أن تقوم بها شركات خاصة تهدف إلى ربح في ظل التساهل الصيني في المعايير الأخلاقية.

وتفاقم الجدل بعد أن أكد الباحث أنه لم يهدف من وراء العملية إلى علاج أو منع حدوث مرض وراثي ولكن "منح ميزة لا تتوافر بصورة طبيعية إلا في قلة من البشر، وهي القدرة على مقاومة العدوى المحتملة لفيروس نقص المناعة البشرية (الإيدز)، الذي قال إنه يمثل مشكلة كبيرة في الصين.

وقال جينانكواي إنه قام بتعطيل عمل جين يسمى سي.سي.آر 5، المسؤول عن تشكيل البروتين الذي يساعد فيروس الإيدز على دخول الخلية.

ورضخت الجامعة الجنوبية للعلوم والتكنولوجيا، التي يعمل فيها الباحث الصيني، نسبيا للضجة العالمية وقالت إنه "انتهك بشدّة الأخلاقيات والمعايير الأكاديمية"، وقرّرت فتح تحقيق، لكن ذلك لم يخفف القلق العالمي مما يمكن أن يحدث في الصين في هذا الميدان.

ويختزل موقف خبير الهندسة الوراثية في جامعة بنسلفانيا ورئيس تحرير مجلة علم الوراثة الدكتور كيران موسونورو، مواقف الكثير من الجهات العالمية حين قال "إن إجراء التجارب الجينية على البشر لا يمكن الدفاع عنها أخلاقيا".

لكن عالم الوراثة في جامعة هارفارد جورج تشيرش دافع عن محاولة تعديل الجينات لمحاربة فيروس الإيدز، قائلا إنه "تهديد رئيسي ومتزايد للصحة العامة... أعتقد أن المحاولة مبرّرة".

ويرى بعض الخبراء أن الأمر مجرد سرعات متفاوتة وأن الكثير من محرّمات الأمس أصبحت مباحة في جميع أنحاء العالم، وأنّ الفارق الوحيد هو أن الصين يمكن أن تسير بسرعة كبيرة نحو إزالة الحواجز.

ومن المرجّح أن يهدأ الجدل عاجلا أم آجلا وتلتحق بالصين دول أخرى، لكن الفجوة بين ما يمكن أن يحدث في الصين وبقية أنحاء العالم يمكن أن تتسع إلى درجة يصعب ردمها.

ولا يقف الاختراق الصيني الكبير عند التحرّش بالمحرّمات الكبرى، بل تمتد تداعياته إلى جميع بحوث الأدوية الحيوية، التي يسمح بها تخفيف القيود دون أن تجلب انتباه عناوين الأخبار.

وتشير التقارير إلى أن شركات ومختبرات الأدوية الصينية أصبحت تتحرك في مسار آخر ويمكن أن تهدّد هيمنة الشركات الغربية، التي قد تجد نفسها متخلفة عن الوتيرة المتسارعة للتقدّم الصيني.

ويؤكد مراقبون أن بعض الشركات الغربية بدأت تفكر بفتح مختبرات في الصين كي لا تجد نفسها متخلفة عن ركب صناعة الأدوية في المستقبل القريب.

وهناك إجماع اليوم على الاعتقاد بأن أي ثورة مدوية في الهندسة الوراثية، ستنشأ حتما في الصين وليس في الدول الغربية، مثل الولايات المتحدة وبريطانيا، التي كانت حتى وقت قريب معقل التقنيات الحديثة.

> جينانكواي أربك الحسابات العالمية بتعديل جينات طفلتين توأم ولدتا في الصين الشهر الماضي

هوس الذكاء الاصطناعي يقود العالم إلى مستقبل مجهول

يقف الخبراء أمام مفترق طرق تكنولوجي مليء بالشكوك بشأن احتمال حدوث انقلابات شاملة تغيّر حياة البشر خلال العقد المقبل نتيجة تغلغل تقنيات الذكاء الاصطناعي في قطاعات النشاطات والأعمال بإيقاع متسارع، لم يكن في الحسبان حتى وقت قريب.

❑ **لندن** – تتصاعد التحذيرات من إمكانية انفلات السباق المحموم إلى الثورة الصناعية الرابعة والذكاء الاصطناعي، التي يمكن أن تحدث انقلابات خارجة عن السيطرة مع تزايد استخداماتها في المصانع وقطاعات الخدمات والطب والتعليم وجميع تفاصيل الحياة الأخرى.

ويقول الخبراء إن مستقبل حياة البشر أصبح يزداد غموضا يوما بعد يوم مع تسارع طفرات الذكاء الاصطناعي، وإن الخطر لم يعد يكمُن في زحف الآلات على وظائف البشر بل في مدى هيمنتها وتحكّمها في تصرفات الإنسان.

ولم يعُد أحد يستطيع التكهن بالدور الذي سيلعبه الذكاء الاصطناعي في غضون عقد واحد من الزمن، في وقت تتباين وتتناقض فيه التكهنات بشأن تهديدات تلك التكنولوجيا لطبيعة النسيج الاجتماعي والاقتصادي لجميع سكان الكوكب.

وللتبسيط يمكن تقسيم التكهنات خلال السنوات القليلة الماضية إلى نوعين متناقضين يتحدثان عن حجم الآثار الإيجابية والسلبية للذكاء الاصطناعي على حياة البشرية في المستقبل.

وتقول وجهة النظر الأولى إن تطوّر تلك التكنولوجيا واتساع توظيفها بشكل أكبر سيجعل حياة البشر أفضل حالا خلال العقد المقبل، خاصة في مجال الرعاية الصحية والتعليم وفي جميع المجالات الأخرى في نهاية المطاف.

ويتبنّى جون غياندريا، مدير قطاع الذكاء الاصطناعي في شركة غوغل هذا الاعتقاد. ويرى أن التحذيرات من كابوس نهاية العالم بسبب استخدام تلك التقنيات "غبية". ويؤكد أنها غير واردة بالمرة وليس هناك ما يدعو إلى القلق جرّاء التطور السريع في هذا المجال.

أما وجهة النظر الثانية فتشير إلى أن تطور الذكاء الاصطناعي سيكون له الكثير من التأثيرات السلبية المحتملة على طبيعة حياة البشر والنسيج الاجتماعي والاقتصادي.

ويذهب الرئيس التنفيذي ومؤسس شركة تسلا لصناعة السيارات الكهربائية إيلون ماسك في هذا الاتجاه. ويرجّح أن يتسبب احتدام المنافسة على تطوير الذكاء الاصطناعي في حرب عالمية ثالثة يكون تهديدها أكبر من الأسلحة النووية.

ويؤكد ماسك أن تلك التكنولوجيا هي أكبر الأخطار التي تواجه البشرية. ويتوقع أن تفرض الحكومات معايير صارمة على نشاط الشركات في تطوير الذكاء الاصطناعي في نهاية المطاف.

وكان العالم البريطاني الراحل ستيفن هوكينغ قد حذّر من أن تقنيات الذكاء الاصطناعي يمكن أن تكون أسوأ شيء يحصل في تاريخ الحضارات البشرية ما لم يتم الاستعداد لكافة مخاطرها المحتملة بشكل جيد.

وفي تباين الفريقين بشأن التحديات، التي قد تواجه البشر بحلول عام 2030، سلّطت دراسة أجرتها مؤسسة بيو للأبحاث بالتعاون مع مركز "إيمجينينغ ذي إنترنت" الضوء على التأثيرات المحتملة للذكاء الاصطناعي استنادا إلى آراء العشرات من خبراء التكنولوجيا والمطورين ورؤّاد الأعمال والسياسيين.

وأشارت آراء 63 بالمئة منهم إلى أن حياة الناس ستكون أفضل، وأيّدت الفرضية القائلة بأنها ستوفر الوقت والمال والأرواح وتتيح للأفراد فرص أكبر للاستمتاع بأوقاتهم، في حين ذهبت بقية الآراء في اتجاه التشاؤم.

وبغض النظر عن آراء الفريقين، فإن أغلب المشاركين في الدراسة أبدوا قلقهم من التغييرات الجوهرية التي ستحدثها تقنيات الذكاء الاصطناعي على البشر في المدى البعيد.

ويخشى المختصون من سوء استخدام البيانات وفقدان الوظائف وغياب السيطرة على صناعة القرار في الأنظمة الرقمية حيث يتم التنازل عنها لصالح الآلات، فضلا عن تآكل في قدرة البشر على التفكير والفوضى التي ستنتج عن الأسلحة المؤتمتة والجرائم الإلكترونية.

وترى لي ريني مدير أبحاث الإنترنت والتكنولوجيا في مركز بيو أن الأنظمة الرقمية تعطي رسالة متناسقة وإجابات منطقية، وهو ما يعني أن بعض الأشياء الجيدة ستظهر للعيان، ولكن ستكون هناك مشكلات يتحتم على البشر التخوف بشأنها.

ويعتقد البعض أن سيناريوهات الرجل الآلي الخارق ذي الذكاء الاصطناعي، الذي سيدمر العالم باتت مستهلكة وغير منطقية، وليس هناك أي مبرر منطقي أو علمي لها. ويؤكدون أن هذه التصورات مجرد افتراضات خيالية.

> مخاطر طفرة الذكاء الاصطناعي لا تقف عند زحف الآلات على وظائف البشر بل في مدى هيمنتها على تصرفات الإنسان

ويقول أندريه ماكلولين الأستاذ في جامعة ييل الأميركية إن ابتكارات الذكاء الاصطناعي لها فوائد كبيرة على المدى القصير، وأن التعرّف على السلبيات بعيدة المدى سوف يستغرق عقودا من الزمن.

وأشار إلى أن الذكاء الاصطناعي سيقود مجموعة واسعة من تحسينات الكفاءة، ولكنه سيجلب معه كذلك التمييز التعسفي بين الأفراد في مجالات مثل التأمين والبحث عن وظائف وتقييم الأداء.

وحول السلوك العام الذي قد ينشأ مع تطور تقنيات الذكاء الاصطناعي، يرى كبير أخصائي علم النفس في المعهد الأميركي للبحوث السلوكية والتكنولوجيا روبرت إيبستين أن تلك الأنظمة ستكتسب نوعا من المشاعر حتى لو لم تكن شبيهة بالإنسان بحلول 2030.

ويفضل رامون لوبيز دي مانتاراس مدير معهد أبحاث الذكاء الاصطناعي التابع للمجلس الوطني للبحوث الإسبانية عدم إعطاء مستويات عالية من الاستقلالية لأنظمة الذكاء الاصطناعي مهما كانت، لأنها يمكن أن تربك حياة البشر.

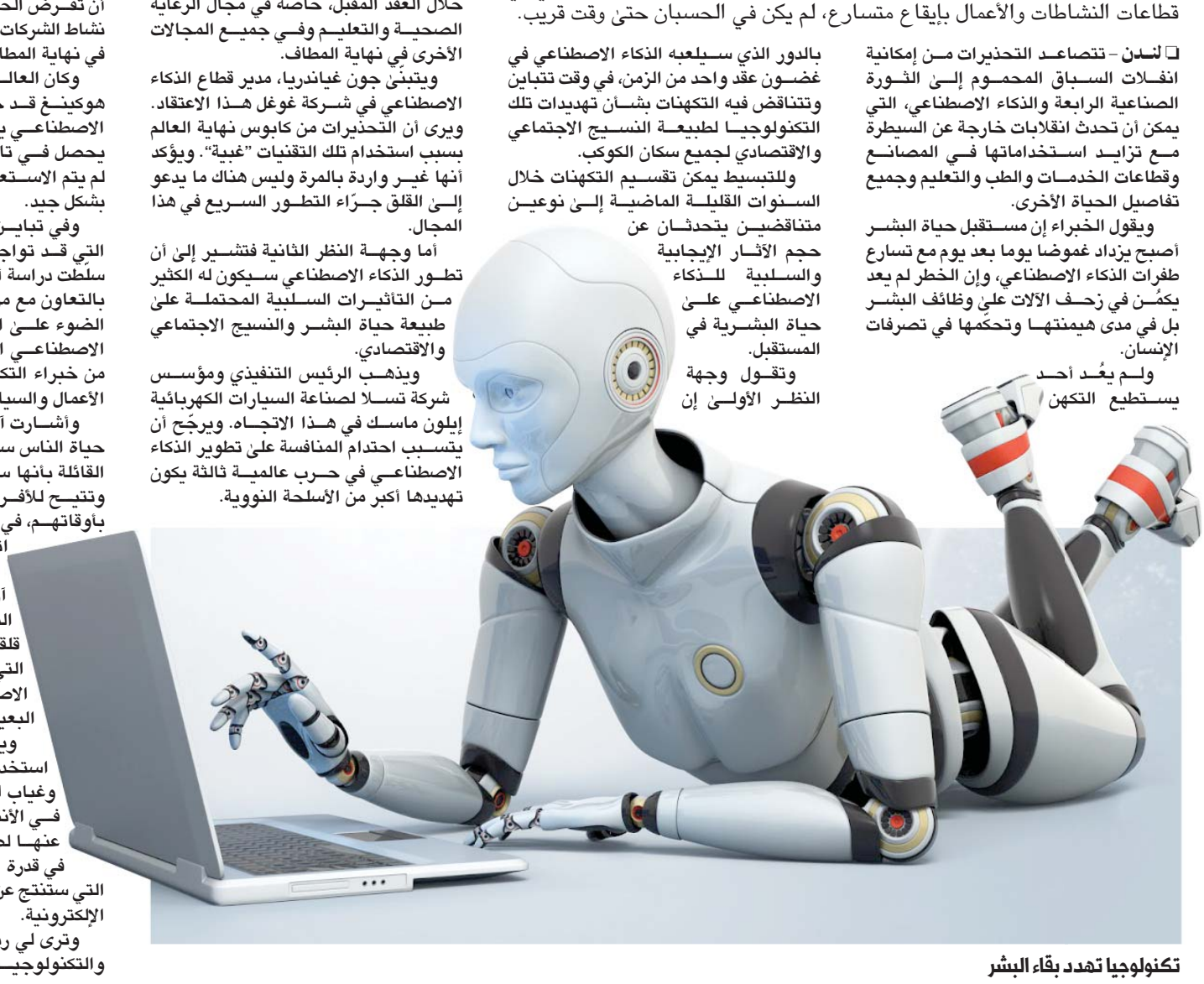

تكنولوجيا تهدد بقاء البشر

مسابقة الركض لمسافات طويلة تجهد قلوب الهواة

قلة التدريب تعرّض المشاركين لخطر الإصابات

يتحمس الكثيرون للمشاركة في مسابقات الركض لمسافات طويلة ويعتقدون أن التدرب لبضعة أيام، تسبق موعد الانطلاق، كفيل بجعلهم على أهبة الاستعداد وفي لياقة جاهزة لتحمّل الإجهاد والضغط الشديدين. ولا يدرك جلّ الهواة المشاركين أنهم بذلك يعرّضون حياتهم للخطر.

الركض لمسافات طويلة يتطلب تدريبا مركزا ومنتظما

❏ **مدريد** – كشف باحثون من إسبانيا أن مشاركة الهواة في مسابقة العدو لمسافات طويلة (المارثون) تجهد بشدة قلوبهم.

وأوضح الباحثون في دراستهم، التي نشرت في العدد الأخير لمجلة "سيركوليشن، جورنال أوف أميركان هارت أسوسيشن" التي تصدرها الجمعية الأميركية لأمراض القلب، أن قطع الهواة مسافة 42.195 كيلومترا عدوا يؤدي لارتفاع نسبة دلالات حيوية بعينها تشير إلى تعرض القلب للإجهاد.

ولم يستطع الباحثون حتى الآن معرفة إلى أيّ مدى يمكن أن يزيد هذا الارتفاع من خطر الإصابة بأمراض القلب. لكنّ الباحثين نصحوا العدائين الهواة بالعدو لمسافات أقصر، وليكن على سبيل المثال نصف المسافة الأصلية لمسابقة العدو لمسافات طويلة.

> واحد من بين كل 100 ألف مشارك في سباق العدو لمسافات طويلة يصاب بتوقف القلب أثناء مشاركته في المسابقة

وكانت دراسة قد أظهرت قبل بضعة أعوام أن واحدا من بين كل 100 ألف مشارك في سباق العدو لمسافات طويلة يصاب بتوقف القلب أثناء مشاركته في المسابقة، وأن هذه الإصابة انتهت حسب الأعداد التي أخذتها الدراسة في الاعتبار، بالوفاة في أكثر من ثلثي الحالات (71 بالمئة) وركّزت الدراسة على الرجال بشكل خاص.

وكانت دراسات أخرى قد أكدت أن نسبة مؤشرات حيوية بعينها تدل على إجهاد القلب، ترتفع عند المشاركة في مسابقة للعدو لمسافات طويلة.

ولكنّ أصحاب الدراسة الحالية، تحت إشراف خوان ديل كوسو من جامعة كاميلو خوسيه ثيلا الإسبانية، أكدوا الآن عدم خطورة مثل هذه المشاركات لأن منسوب هذه المؤشرات يعود إلى طبيعته بعد أيام قليلة من المشاركة.

ولمعرفة تأثير مسابقات العدو لمسافات طويلة على القلب بشكل أكثر دقة، فحص الباحثون درجة إجهاد القلب لدى 63 عداء هاويا.

شكّل الباحثون مجموعات من ثلاثة أشخاص لكل مجموعة بناء على تشابه هؤلاء الثلاثة في عوامل رئيسية مثل السن ومؤشر كتلة الجسم، ومدى احتمال تعرّض المتسابق لخطر الإصابة بأمراض القلب ومدى خبرته في العدو.

وكان في كل مجموعة من هذه المجموعات شخص شارك في سباق عشرة كيلومترات وآخر شارك في نصف مارثون وثالث شارك في مارثون كامل.

وسجل الباحثون قبل كل سباق وبعده نسبة علامات حيوية بعينها في الدم مثل مادة تروبونين آي وتي، وهي بروتينات تشير إلى مدى تضرر عضلة القلب. وكان حجم الإرهاق الذي تعرّض له المشاركون في السباقات متساويا، حسبما ذكر المتسابقون عقب العدو. لكن نسبة التروبونين في الدم ارتفعت بشكل واضح كلما طالت مسافة السباق، في حين أن مؤشر العلامات الأخرى لم يرتفع إلا لدى العدائين الذين شاركوا في سباق عدو لمسافات طويلة حتى نهايته. ورغم أن العدائين الذين شاركوا في المسابقة حتى نهايتها استعدوا بشكل مكثّف للسباق، كان إجهاد القلب لديهم الأكثر مقارنة بباقي العدائين.

وعلّق ديل كوسو على ذلك، قائلا "نعتقد بشكل عام بأن عدائي المسافات الطويلة أفراد أصحاء ليس لديهم مؤشرات على خطورة المشاركة على قلبهم، سواء أثناء العدو أو بعده"، مضيفا "لكن نتائجنا تؤكد إمكانية خفض الإجهاد الذي تتعرّض له عضلة القلب لدى المشاركين في هذه المسابقات في ضوء تزايد شعبيتها وأعداد المشاركين فيها وفي ضوء قلّة التدريب الذي يؤديه الهواة المشاركون فيها".

وأوضحت الجمعية الألمانية لأمراض القلب أن الرياضة هي إحدى أفضل وسائل الوقاية من مرض القلب التاجي، الذي يتسبب في كثير من حالات الإصابة بالنوبة القلبية.

ورغم احتمال تزايد خطر الإصابة بهذا المرض أثناء التعرّض لإجهاد رياضي، يظل التأثير الوقائي للنشاط الرياضي أكبر بكثير من خطره على المدى البعيد.

وفي الوقت ذاته، شدّدت الجمعية على ضرورة تجنّب الاستجابة للطموحات البالغة والخضوع بشكل منتظم لاختبارات الطب الرياضي، وأوصت بممارسة معتدلة لأنواع الرياضات المرهقة مثل السباحة والركض وركوب الدراجة.

كما أكد العلماء الإسبان أن الركض المنتظم لمسافات طويلة يزيد من كثافة العظام ويمكن أن يحمي الإنسان من ترقق العظام مع التقدم في السن. وتوصلوا إلى أن لدى العدّائين قدرة على التحمّل لأن كثافة العظام لديهم أعلى بكثير مقارنة بأولئك الذين يتبعون نمط عيش يتسم بكثرة الجلوس، بينما لا تنشط الأنواع الأخرى من الرياضة كالسباحة والتزلج الجسم بمقدار ما يحدث عند الركض. ولذلك ووفقا لما صرحت به ممثلة فريق البحث بياتريس لارا، لا تؤثر هذه الرياضات كثيراعلى حالة العظام.

شارك في الدراسة 200 عداء و75 متطوعا عاديا، وقام الباحثون باختبار قوة عظام المشاركين قبل سباق الماراثون وبعده.

وأظهرت نتائج الاختبارات أن كثافة العظام وشدتها تتوقفان فعلا على كثافة الركض، حيث اتضح أن عدائي الماراثون المحترفين يتمتعون بعظام ذات كثافة أعلى ومتانة أشد مقارنة بالآخرين.

وقد سجلت أدنى معدلات لكثافة العظام لدى الأشخاص الذين لم يمارسوا رياضة الركض على الإطلاق. ويظن العلماء أن النتائج تشير إلى أن الركض لمسافات طويلة يمكن أن يحمي الإنسان من ترقق العظام المتزايد ومن ضمورها مع التقدّم في السن.

لكل رياضة تمرين استطالة خاص

❏ **برلين** – توفر تمارين الاستطالة مجموعة كبيرة من الفوائد على اللياقة البدنية والصحة العامة، وكلما تمكن المتدرب من اختيار التمرين الأنسب وتكييفه مع الرياضة أو النشاط اللذين يرغب في أدائهما، زاد ذلك في مستوى أدائه، فمثلا في حالة ممارسة السباحة، يصبح من الضروري التركيز بحركات التمدد على اليدين والذراعين. وفي حال رغب الرياضي في لعب كرة القدم، فإن أوتار الركبة تصبح أكثر عرضة لحالات إجهاد، لذلك يفضّل اختيار تمارين إستطالة تساعد الركبة على الحفاظ على المرونة.

وأشارت مجلة "فروينديز" الألمانية إلى وجود مجموعة من النصائح والإرشادات التي يجب مراعاتها عند أداء تمارين الاستطالة، حيث أوصت بأنه لا يجوز ممارسة تمارين الاستطالة حتى الوصول إلى حد الشعور بالألم الشديد، نظرا إلى أنه في حالة ممارسة هذه التمارين بشكل خاطئ، فإنها قد تتسبب في تعرض الأربطة المشدودة للخطر أو حتى الإصابة بخلع المفاصل، علاوة على أنه يتعيّن على الرياضي اختيار تمرين الاستطالة المناسب، فهناك بعض التمارين لا يمكن أداؤها قبل التدريبات الرياضية أو بعدها، فمثلا تعمل تمارين الاستطالة الثابتة، التي يقف فيها الرياضي في وضع ثابت لعدة دقائق، على الحد من قوة العضلات، بحيث لا يتم شد العضلات بقوة أكبر، حتى مع التمرين بواسطة الأوزان فإن تمارين الاستطالة الثابتة تحدّ من الأداء، وهنا نصح الخبراء بالاعتماد على تمارين الاستطالة الديناميكية من أجل عملية الإحماء بصورة أفضل، نظرا إلى أنها تعمل على تحريك الجسم بأكمله.

ولا تعتبر تمارين الإطالة تمارين للإحماء، فقد يؤدي المتدرب نفسه إذا مارسها مباشرة على عضلات باردة. وبالتالي قبل ممارسة تمارين الإطالة، من الضروري القيام بالإحماء عبر المشي الخفيف أو الركض أو ركوب الدراجة بكثافة منخفضة لمدة تتراوح من خمس إلى عشر دقائق أو من الأفضل، أداء تمارين الإطالة، بعد ممارسة الرياضة عندما تكون العضلات في حالة إحماء.

تمارين الاستطالة الديناميكية تعزز عملية الإحماء

التاي تشي تحسّن المرونة والإدراك لدى كبار السن

❏ **بيجينغ** – أظهرت دراسة صينية أن رياضة "تاي تشي" يمكن أن تكون مفيدة لتحسين وظائف الإدراك والمعرفة، والذاكرة العاملة والطلاقة اللفظية والتعلم لدى كبار السن.

الدراسة أجراها باحثون بمركز البحوث السريرية، في كلية الطب جامعة "قوانغتشو" الصينية، ونشروا نتائجها في دورية (جورنال أوف أميركان جيرياتريكس سوسايتي) العلمية.

وأوضح الباحثون أنه وفقا للإحصائيات السكانية العالمية، فقد بلغ عدد السكان المسنين الذين يبلغ سنهم أكثر من 60 عاما، حوالي 962 مليون في عام 2017، ومن المتوقع أن يرتفع العدد إلى 2.1 مليار بحلول عام 2050.

وأضافوا أن تأثير الشيخوخة على الدماغ هو عامل خطر رئيسي في الانخفاض المعرفي، والضعف الإدراكي المعتدل، والخرف، الذي زادت مستوياته بشكل كبير وأحدث تأثيرات على النشاط العقلي والجسدي ونوعية حياة الأفراد المسنين.

ولكشف فاعلية "تاي تشي" في تحسين الوظائف الإدراكية لدى كبار السن، راقب الفريق 3624 من كبار السن، وكان نصفهم يعانون من ضعف وظائف الإدراك المرتبط بالتقدم في العمر.

ووجد الباحثون أن المجموعة التي مارست رياضة "تاي تشي" بانتظام، ظهر عليها تحسن في وظائف الإدراك والمعرفة والذاكرة والتعلّم، مقارنة بالمجموعة الأخرى.

وقال الفريق إن الضعف الإدراكي لدى كبار السن يصعب وقفه، كما أن التدخلات الفعالة في مرحلة الخرف لا تزال محدودة.

وأوضحوا أن رياضة "تاي تشي" يمكن أن تستخدم كعلاج لأنها تجمع بين التركيز الذهني، والتحكم في التنفس، وحركة الجسم، وهي مفيدة لتحسين المرونة والصحة العقلية، وتحسن وظائف الإدراك في سن الشيخوخة.

ونشأت رياضة "تاي تشي" في الأصل كأحد فنون الدفاع عن النفس بالصين في القرن الثالث عشر، لكنها أصبحت فنًا شعبيًا يسمح بتقوية العضلات وزيادة ليونة المفاصل وتخفيف الضغط.

وتعتمد "تاي تشي" على أداء حركات دائرية باسترخاء وانسيابية وبطء شديد، والمشي بخطوات أكثر ثباتًا مع تنظيم التنفس والفكر، وتهدف إلى السيطرة على الجسد والعقل.

ولا تحتاج هذه الرياضة إلى قاعة كبيرة، بل يكفي 10 أقدام مربعة من المساحة للقيام بالتمارين ويمكن أداؤها في الحديقة العامة أو على الشاطئ.

كما خلصت دراسة سابقة إلى أن كبار السن الذين يمارسون رياضة "تاي تشي" قد يكونون أقل عرضة للسقوط مقارنة بنظرائهم الذين لا يمارسون هذه التمارين الصينية التأملية التي تجمع بين التنفس العميق والحركات البطيئة الانسيابية.

وفحص الباحثون بيانات 18 تجربة نشرت مسبقا لتأثير تاي تشي في الوقاية من السقوط بمشاركة 3824 شخصا لا تقل أعمارهم عن 65 عاما.

وتوصل الفحص إلى أن تمارين تاي تشي كانت مرتبطة بالحد من السقوط بنسبة 20 بالمئة مرة على الأقل كما كان لها الفضل في خفض عدد السقطات بنسبة 31 بالمئة.

> رياضة «تاي تشي» يمكن أن تستخدم كعلاج لأنها تجمع بين التركيز الذهني والتحكم في التنفس وحركة الجسم

وقال جان ميشيل بريسمي وهو باحث في مجال العلاج الجسدي بمركز علوم الصحة والمركز الطبي الجامعي التابع لجامعة تكساس للتكنولوجيا "هذه نتائج مهمة كثيرا لأن تاي تشي نشاط يمكن تعليمه بسهولة ويمكن للناس ممارسته في المنزل ومكان العمل أو في مراكز التقاعد بمفردهم أو في مجموعة."

وأشار الباحثون في دورية (بي.أم.جيه أوبن) إلى أن ما يصل إلى 40 بالمئة ممن تزيد أعمارهم عن 65 عاما وحوالي نصف من هم أكثر من 80 عاما يسقطون سنويا على مستوى العالم. ويرجع السقوط كثيرا إلى تراجع كبير في القدرة على الحركة والاستقلالية وجودة الحياة ويعتبر سببا رئيسيا للوفاة بين البالغين الأكبر سنا.

وقال تشنتشن وانغ، مدير مركز الطب التكميلي والتكاملي بمدينة بوسطن والذي لم يشارك في الدراسة، إن النتائج تؤكد أبحاثا سابقة أظهرت أن تاي تشي يمكن أن تعزز التوازن والمرونة وقوة الركبتين وتحد من خطر السقوط بين البالغين الأكبر سنا.

وأضاف عبر البريد الإلكتروني "هناك عناصر كثيرة مهمة من بينها التمارين وتمرينات التنفس والوعي بالجسد وتركيز الانتباه والإدراك والتوازن والتخيل والاسترخاء".

إن هذه العناصر تؤثر إيجابا أيضا على الصحة من خلال تحسين الوظائف النفسية والاجتماعية والوقاية من الاكتئاب وتساعد كذلك في زيادة الثقة بالنفس والتوازن والتناغم لتفادي السقوط.

«لا يفهموننا»: صرخة جيل ناقم يعبّر عن غضبه بالعنف والجريمة

جرائم القتل والعنف غير المميت تلحق آثارا خطيرة بوظائف الشباب النفسية والاجتماعية

معدلات خطيرة تسجلها أرقام العنف والجريمة لدى الشباب على المستوى العالمي، وتزيد في المجتمعات التي يشكّل فيها الشباب نسبة كبيرة من المجتمع مثل الدول العربية، مع غياب دور الجهات المعنية التي تستوعب مشكلاتهم واحتياجاتهم، وابتعاد المجتمع عموما عن لغة الحوار وتفهم الآخر.

❑ **تونس** – يمثّل عنف الشباب مشكلة عامة عالمية، تبدأ من التنمّر والشجار مرورا بالاعتداءات الجنسية والجسدية إلى الجرائم على اختلاف أنواعها، لكن نسبتها تتفاوت بين بلد وآخر. ولعل المنطقة العربية تحظى بنسبة كبيرة منها نظرا إلى أن شعوبها فتية أولا، ثم إلى الظروف الاجتماعية والاقتصادية التي تسبّبت في نقمة فئة واسعة من الشباب وانقيادهم للعنف.

ويُسجّل، بحسب إحصاءات منظمة الصحة العالمية، كل عام في جميع أنحاء العالم، حدوث نحو 200 ألف جريمة قتل بين الشباب من الفئة العمرية 10–29 سنة، ممّا يمثّل 43 بالمئة من العدد الإجمالي لجرائم القتل التي تحدث سنويا على الصعيد العالمي.

وتتباين معدلات القتل التي تُسجّل بين الشباب، بشكل كبير، بين البلدان وداخلها. غير أنّ الذكور يشكّلون، في كل البلدان، معظم مقترفي جرائم القتل وضحاياها. أمّا معدلات جرائم القتل المُسجّلة بين الإناث فهي أكثر انخفاضا بكثير في كل الأماكن تقريبا. وتقول منظمة الصحة إن معدلات جرائم القتل انخفضت في صفوف الشباب في معظم البلدان بين عامي 2000 و2012، إلا أن مستوى هذا الانخفاض في البلدان مرتفعة الدخل كان أعلى من المستوى المسجّل في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط.

وهناك، مقابل كل شاب يُقتل، 20 إلى 40 شابا يتعرّضون لإصابات تقتضي دخولهم المستشفى لتلقي العلاج. وتنطوي الإصابات العنيفة غير المميتة على هجمات بالأسلحة النارية، يقلّ عددها بكثير عما يُسجّل في الاعتداءات المميتة، وعلى استعمال أكبر للأيدي والأقدام والسكاكين والعصي.

البداية بالتنمر

تتعرّض نسبة كبيرة من الشباب أيضاً للعنف الجنسي. فقد بلغت 3 بالمئة إلى 24 بالمئة من النساء المشمولات بالدراسة التي أجرتها منظمة الصحة العالمية في بلدان متعدّدة بشأن صحة المرأة والعنف الممارس ضدّها في البيت، بأنّ أوّل تجربة جنسية عشنها كانت قسرية.

ومن الملاحظ أنّ الشجار والتنمّر من الظواهر الشائعة أيضا بين الشباب. فقد أظهرت دراسة أجريت في 40 بلدا ناميا أنّ معدلات تعرّض الذكور للتنمّر تراوحت بين 8,6 بالمئة إلى 45,2 بالمئة، في حين تراوحت معدلات تعرّض الإناث له بين 4,8 بالمئة و35,8 بالمئة.

ولا تسهم جرائم القتل وحالات العنف غير المميتة المُسجّلة بين الشباب بقدر وافر في العبء العالمي الناجم عن الوفيات المبكّرة والإصابات والعجز فحسب، بل تلحق آثارا خطيرة أيضاً بوظائف الشخص النفسية والاجتماعية تدوم مدى الحياة في غالب الأحيان. ويمكن أن يؤثّر ذلك على أُسَر الضحايا وأصدقائهم ومجتمعاتهم المحلية.

ويزيد عنف الشباب، بشكل كبير، من التكاليف الصحية وتكاليف خدمات الرعاية والعدالة الجنائية؛ ويتسبّب في خفض الإنتاجية وتراجع قيمة الممتلكات وتفكيك النسيج الاجتماعي عموماً.

ظاهرة متفشية

إذا كانت هذه الإحصاءات تتناول الظاهرة عالميا، فإن الدول العربية تفتقر لأرقام دقيقة حول المشكلة، وتقتصر على القضايا التي تصل إلى أقسام الشرطة، رغم تفشّيها وسط المراهقين والشباب، في حين أن الكثير منها يبقى بعيدا عن أعين القضاء أو المراكز الاجتماعية المختصّة لعدم إبلاغ الضحايا عنها وتستر العائلات على أبنائهم، وبشكل خاص في قضايا العنف ذات الطابع الجنسي.

وأكد المستشار العسكري لرئيس الجمهورية التونسية كمال العكروت أن 48 بالمئة من القابعين في السجون التونسية هم من الشباب تتراوح أعمارهم بين 18 و30 سنة.

كما صرّح العكروت خلال الندوة الدولية لحماية الشباب من الانحراف والإجرام، أن 58 بالمئة من الشباب متهمين بقضايا سرقة و32 بالمئة متورطين في قضايا عنف، بالإضافة إلى مستهلكي الحشيش والمخدرات.

وأوضح أن أهم أسباب ارتفاع نسبة الجريمة والانحراف في تونس تعود إلى حالة التسيب خاصة بعد ثورة 14 يناير 2011.

ويقول متخصّصون في علم الاجتماع أن العنف ينتشر بين الشباب في المجتمع التونسي فهو موجود في الملاعب وفي الحملات الانتخابية بين الأحزاب، في الشارع والأسرة والمؤسسات التربوية وحتى في العيادات الإسعافية.

ويعتبر عزيز مقراني الباحث في علم الاجتماع، أن أسباب العنف والجريمة بين الشباب التونسي بشكل خاص تعود إلى تداعيات الأزمة السياسية والاقتصادية، التي تسبّبت في غياب الحلم لدى الشباب، وإهمال المسؤولين لمشاكل الشباب واحتياجاتهم، فمعظم المناصب الهامة بالدولة بيد كهول وشيوخ لا بيد الشباب، في حين أن الدول المتقدمة نجد أنها تتجه بشكل متزايد نحو ترسيخ السلطة بيد الشباب في المناصب الهامة".

وأضاف في تصريح لـ"العرب"، "لا يمكن استثناء الأسباب الاجتماعية والبيئة التي ساهمت في زيادة هذا السلوك، فلا توجد لغة للحوار بين مختلف النماذج الاجتماعية، ويظهر جليّا التعصّب للرأي والموقف

العنف وسيلة للحوار

ويزداد الشرخ اتساعا بين أصحاب النظرة الحداثية، وأولئك المتمسّكين بنظرة تقليدية قد تصل حدّ التطرف، ما جعل العنف هو الخطاب السائد".

وينصح المختصّون في التربية والخبراء، الآباء والأمهات بتنشئة أبنائهم على احترام الآخر واحترام حقه في الحياة، وكذلك على المحبّة بين أفراد الأسرة الواحدة. ويؤكدون على ضرورة النأي بأبنائهم عن أجواء التوتر والعنف اللفظي والمادي داخل العائلة ومع الأقارب مع توفير الإحاطة والرعاية النفسية في كافة المراحل العمرية. كما ينصح المختصّون بتدريب المراهق على الحوار والقبول بالرأي المخالف في الأسرة وخارجها، لكي لا يلجأ إلى لغة الجسد والعنف.

> العنف ينتشر بين الشباب في الملاعب وفي الحملات الانتخابية بين الأحزاب، في الشارع والأسرة والمؤسسات التربوية

ويعتبر الكثير من الشباب أن مشكلتهم الأساسية تتمثل بعدم الاستماع لهم ومحاولة تفهّم احتياجاتهم، فالأهل يمارسون ضغوطا كبيرة بشأن مستقبلهم، وخاصة في ما يتعلق بالدراسة، ويقول الشاب مصطفى المحمود (22) من دمشق، إن طاقات الشباب لا حدود لها، وهناك مجالات أخرى غير الدراسة مثل الموسيقى أو الرياضة أو الفن، لكن لا توجد مجالات في بلادنا لاستيعاب طاقاتهم، مع غياب دور الجهات المعنية، مما يبعث النقمة في نفوس الشباب ويصبح انقيادهم للعنف والجريمة سهلا".

ساحات القضاء

يتابع المحمود "نحن بحاجة إلى متخصّصين في المؤسسات التربوية للاهتمام بالمشكلات النفسية والاجتماعية للشباب ودراستها، ومحاولة مساعدتهم على تجاوزها قبل أن تتحوّل هذه المشكلات إلى أزمات تهز كيان المجتمع برمّته".

وتصل إلى ساحات القضاء الكثير من الحالات التي تورّط فيها شباب بجرائم مختلفة، وغالبا ما يكون القاسم المشترك البطالة، إضافة إلى أسباب أخرى تعود للتنشئة الاجتماعية مثل الانتماء إلى أُسَر محدودة الدخل أو مفكّكة ما يسفر عن دفع الأبناء إلى البحث عن الاهتمام المفقود في الشارع، وإهمال الوالدين لدورهم الأساسي في ظل السعي وراء متطلبات الحياة العصرية، وهو أحد سبب استفحال الظاهرة في الوقت الراهن.

وتتعلق نوعية الجرائم التي يرتكبها المراهقون والشباب بالسرقة والمخدرات أو القتل، وهي من القضايا التي تطرح يوميّا في المحاكم، وأصبح تفشي الإجرام في وسط المراهقين والشباب عامة ظاهرة ملفتة في المجتمع، وتعتبر هذه الظاهرة عنوانا لمشكلة فراغ ترافقت مع متغيّرات أخرى على غرار سوء التربية والمشكلات الاجتماعية، مما يدفع الشباب إلى توظيف طاقاتهم في الإجرام.

وكشفت الجهات المختصة في الأردن عن أرقام قالت إنها "صادمة" و"مقلقة"، إذ تشير الأرقام إلى ازدياد نسبة الجريمة في الأردن على اختلاف أنواعها، وخصوصا في السنوات الأخيرة، لا سيما في العامين 2016 و2017.

وأكد المختص في علم الاجتماع عبدالله الساكت أن "الثورة المعلوماتية في وسائل نقل وعرض المعلومات، وخاصة وسائل الإعلام غير المسؤولة، ساهمت في الإخلال بمنظومة القيم لدى الشباب من خلال انتشار أفلام العنف والجنس، والترويج للقيم والثقافات الأجنبية دون مراعاة للقيم والأعراف المحلية والدينية".

ويشير المحامي عادل مهنا إلى أن أغلب الجرائم بين الشباب هي السرقة ثم النصب فالاحتيال وخيانة الأمانة، ومؤخرا بدأت تظهر جرائم القتل ما يجعل الأمر يسير نحو الخطورة، لتدارك ما قد يستفحل في الأعوام المقبلة.

وقال مهنا في تصريح لـ"العرب"، إن العديد من الباحثين أشاروا إلى دور الأسرة والمجتمع، وحتى إلى سلبيات دخول التقنيات الحديثة كأسباب لاستفحال هذه الظاهرة إلا أن القليل منهم بحثوا في الأسباب الشخصية للشباب خصوصا في هذه المرحلة من العمر مثل الأسباب النفسية والصحية كقلة النوم التي تمنع وصول الدم إلى المخ فتجعل الإنسان مرتبكا، إضافة إلى نوعية الغذاء السريع الذي يتناوله أغلب الشباب لأن معظمه دهون وهرمونات ومواد حافظة تؤثر في الجسد والمخ فلا يستطيع الفرد التفكير بشكل سليم.

وأضاف أنه يوجد نمطان أساسيان في مجال الوقاية من الجريمة: أولا الوقاية الاجتماعية: وهذا النوع من الوقاية يركز على العوامل الاجتماعية والاقتصادية المسببة للجريمة وكيفية معالجتها عن طريق التربية السليمة والتعليم والتثقيف وتوفير العمل والسكن وملء أوقات الفراغ للشباب وغيرها من برامج اجتماعية موجهة.

وثانيا: أهمية الوقاية الشخصية التي تنصبّ الجهود فيها على فئات اجتماعية معرّضة للوقوع في الجريمة أو التي تكثر الجريمة في أوساطها أو التركيز على الأنماط الإجرامية المرتفعة في المجتمع.

فالشاب الممارسون للسلوك الإجرامي لديهم معتقدات وأفكار معينة تهيئ لهم إرادة السلوك الإجرامي بالإضافة إلى ضرورة توافر الفرصة المناسبة لإحداث هذا السلوك والمقدرة من خلال ضعف الرقابة الأمنية وتوافر عناصر الجريمة.

فيجب أن تكون جهود الوقاية في مجملها متركزة على تقليل الفرص لممارسة السلوك الإجرامي لدى الأشخاص عموما والشباب خصوصا، ويجب أن تنطلق من الجهود الرامية إلى تقزيم الإرادة الإجرامية لدى الأشخاص، بحيث تتلاشى هذه الإرادة منذ البداية.

الإصابات لها تداعيات أخرى غير واضحة

النساء على خطى الرجال في معاقرة الكحول

ظاهرة تختلف في أسبابها من طبقة اجتماعية إلى أخرى وتلتقي في مضارها

بدأت الدراسات المهتمة بانتشار الكحول تأخذ في السنوات الأخيرة منحىً جديدا يضع في اعتباراته المرأة بوصفها وصلت للمساواة مع الرجال في شرب الكحول وتفوقت عليهم في المعاناة من مضارها، لا سيما مع تنامي السوق الاستهلاكية المواجهة لتأنيث مشروباتها عبر أصناف كحولية خاصة بالنساء، ورمىً هذا التغيير التدريجي في علاقة المرأة بالكحول بظلاله علىً المجتمعات العربية وصار من القضايا المستجدة التي تحاول البرامج الاجتماعية التلفزيونية والمسلسلات طرحها ومعالجتها، وسط ذهول مجتمعي بين رافض ومؤيد.

شيماء رحومة
كاتبة من تونس

❏ "اسقينيها بأبي أنت وأمي، املأ الكأس ابتساما وغراما/ فلقد نام النداميٰ والخزاميٰ، بأبي أنت وأمي اسقينيها/ لا لتجلو الهم عني/ أنت همي/غني واسكب غناك/ ولماك/في فمي، صبّها مِنْ شفتيكِ في شفتيّا"، بهذه الكلمات غنت أسمهان لكؤوس الخمر، فيما قالت عنها العراقية سليمة مراد "اليوم الدنيا زهت واحنا بفرح يا ناس... القعدة وياكم حلت يالله ندير الكاس"، أما التونسية حبيبة مسيكة فتحضر بأغنية "دير المدام يا ساقي واسقيني، زرني الحبيب نقيم له حضرة، من كل طيب والكؤوس من خمرة/ تحت الشجور يحلىٰ شرب الكأس".

يعود تاريخ هذه الأغاني إلىٰ بدايات القرن العشرين، حيث لم يكن دارجا، علىٰ الأقل في الأماكن العامة، في المجتمعات العربية والغربية أيضا، أن تعاقر النساء الكحول، علىٰ عكس اليوم، حيث يعد شرب الكحول بكل أصنافها أمرا عاديا في المجتمعات الغربية، في "سلوك" تسلل إلىٰ المجتمعات العربية أيضا، وسط جدل وآراء متناقضة حول هذه الظاهرة التي تختلف أسبابها من طبقة اجتماعية إلىٰ أخرى، ومن فئة عمرية إلىٰ أخرى، حيث الشباب، من الفتيان والفتيات، اليوم يقبلون بشكل "عادي" علىٰ شرب الخمر في الملاهي الليلية وفي السهرات، خلافا للأجيال الأكبر سنا، التي ترى في شرب الرجل للكحول أمرا عاديا في حين تستهجن صورة المرأة الجالسة في حانة أو في مطعم وتشرب الكحول.

وبين الديني والمجتمعي تتداخل التقييمات التي أصبحت تستند أكثر علىٰ البعد العلمي حيث تشير الدراسات إلىٰ أن لشرب الكحول مضار كثيرة، فيما يرد البعض بأن الأمر يختلف بين الشرب "المعتدل" وبين الإدمان وأن التركيز يجب أن يكون علىٰ الظاهرة الأخيرة وخطورتها، باعتبار أنها ظاهرة اجتماعية سيئة، فأن ينافس نصف المجتمع النصف الآخر علىٰ عادته السيئة له تداعيات خطيرة علىٰ صحة المرأة والأسرة والمجتمع عموما، كما أنه يخلق في المجتمعات العربية فوضىً اجتماعية ويزيد من حالات التحرش بالنساء والتصادم الجذري.

ومن أحدث الأمثلة علىٰ ذلك ما حدث من جدل في تونس، المعروفة بأنها من أكثر الدول العربية انفتاحا، حين قالت ممثلة تونسية في برنامج تلفزيوني، حضره أيضا شيخ سلفي، إن الكحول "تعلمك ما معنىً أن تحب غيرك.. تعلمك أن تتقاسم مع غيرك".

وكالعادة في مثل هذه المواقف، عجّ الفيسبوك بالآراء والأفكار المتداخلة، بين مؤيدين قلائل ورافضين كثر، ومع ذلك لا يسقط من الأذهان أن الكحول تؤثث مجالس الأثرياء نساء ورجالا دون فرق.

غير أن اللافت اليوم أن نساء من طبقات معدمة أصبحن يستهلكن الكحول بأنواعها أسوة بالرجال ويتقاسمن معهم مخاطرها الصحية وأعباءها المادية.

وتعتبر المرأة العربية التي تشرب الكحول شخصا "سيئا" بسبب نظرة المجتمعات المحافظة والأعراف الدينية، إلا أن هذا الوضع بدأ يتغير شيئا فشيئا، حيث أصبح بإمكان المرأة في بعض المدن الكبرى ارتياد الحانات أو شراء الكحول من المحلات العمومية.

وكان تقرير أصدرته منظمة الصحة العالمية حول استهلاك المواد الكحولية في الوطن العربي عام 2017، بمناسبة اليوم العالمي للتوقي من الاستهلاك المفرط للمواد الكحولية، كشف أن تونس في صدارة الدول العربية الأكثر استهلاكا للكحول والخامسة عالميا، لا سيما في السنوات الأخيرة التي تلت اندلاع ثورة يناير 2011.

ومثّل تزايد عدد التونسيات المستهلكات للكحول، ليس فقط كسرا للاحتكار الذكوري لهذه العادة السيئة، بل ومهربا للكثيرات من مشكلاتهن الاجتماعية وصعوبة ظروفهن المادية، وإن كان لا توجد نسب دقيقة تؤكد ارتفاع نسبة المستهلكات لا سيما من المنتميات للطبقات المتوسطة والفقيرة عدا بعض الريبورتاجات المصورة والمحملة علىٰ موقع يوتيوب، علما وأنه تم حذف الكثير منها في الفترة الأخيرة، إلىٰ جانب صور وفيديوهات تم تداولها علىٰ نطاق واسع بين نشطاء موقع فيسبوك تظهر تقاسم عائلات فقيرة بمن فيها النساء للكحول بالتركيز علىٰ أنها من النوع الرخيص نظرا لقلة يد المستهلكين.

وصرح حسن الزرقوني مدير سيغما كونساي (مؤسسة تعنىٰ بسبر الآراء)، العام الماضي، أن ما بين 5 و10 بالمئة من التونسيات يستهلكن المشروبات الكحولية بشكل منتظم، وهي نسبة مرتفعة مقارنة بباقي الدول العربية.

توظيف مخصوص

علىٰ الرغم من عدم وجود إحصائيات واضحة حول عدد مستهلكات الكحول في تونس، إلا أننا نجد أن جل القنوات التلفزيونية التونسية لا سيما الخاصة منها ركزت علىٰ الظاهرة في أغلب مسلسلاتها.

وترى بعض التقارير الإعلامية أن هذا التوظيف يحط من صورة المرأة التونسية ومن صورة الرجل أيضا لما تحمله المشاهد من مغالاة وإفراط في تلميع صورة منتج محرم دينيا وأخلاقيا، ومغالطة لأن نسبة التونسيات المستهلكات للكحول لم تسجل بعد أرقاما تستدعي هذا التوظيف.

وأشارت هذه التقارير إلىٰ ما يحمله ذلك من تهديد لسلوكيات شريحة كبيرة من الشباب ذكورا وإناثا بسبب انبهارهم بالأبطال وتأثرهم الشديد بتقليدهم؛ فمثلا تمرير مشهد لطالبتين تحتسيان الكحول قبل الذهاب إلىٰ المعهد في مسلسل "فلاش باك" أو مسلسل "مكتوب" الذي عالج قضية محاولة شابة جميلة وصديقتها تجربة حياة الأغنياء بالسهر في الحانات والمراقص مما أوقعها في براثن الخطيئة أو تجاوز "أولاد مفيدة" لكل الخطوط الحمراء في مشاهد احتساء كحول ومخدرات جمعتهم بفتيات خصوصا وأنهم ينتمون للطبقة الفقيرة، يشجع المراهقين علىٰ التشبه بهم، خصوصا وأن أغلب المستهلكين والمستهلكات أكدوا أن الأمر يبدأ بالتجربة وينتهي بالتعود فالإدمان.

ولئن كانت نسبة المستهلكات قليلة فهذا لا يعني أن توجيه المخرجين التونسيين لعدسات كاميراتهم نحو الظاهرة يعد جريرة تشجع علىٰ اتباع هذه الفئة القليلة، بل محاولة للكشف والعلاج وعلىٰ بعض التونسيين تجاوز الصدمة وتقبل حقيقة أن المرأة التونسية تحتل موقعا بين مستهلكي الكحول سواء بالحانات أو خارجها، وأن مشهد معاقرة المرأة للكحول ليس مجرد صورة ولجت إلىٰ تونس من بوابة المسلسلات بل هو واقع إن لم تتم معالجته فهو في طريقه للتزايد بكل ما يحمله من تابعات علىٰ الصحة والأوضاع الاجتماعية والاقتصادية، خصوصا في ظل عدم إنكار الشباب والشابات داخل معاهدهم لتجربة المخدرات والتدخين بوصفها آفات قريبة من آفة احتساء الكحول.

إيحاء بروليتاري

يرى الدكتور في علم الاجتماع الطيب الطويلي أن هذه الإحصائيات الأخيرة "حول ارتفاع عدد مستهلكات الكحول في تونس بتقديري يندرج في إطار الإحصائيات حسب الطلب أو علىٰ المقاس".

وأوضح الطويلي في حديثه لـ"العرب" أن "تناول المسكرات بأنواعها في الأوساط النسائية موجود في مختلف المجتمعات ومختلف الأزمنة وإن تختلف أسبابه ورمزيته وتختلف المجاهرة به حسب المجتمع، ففي الأوساط الراقية يكون أحيانا إيحاء أرستقراطيا ومكملا لمشهدية البذخ، ويكون أحيانا في الأوساط الفقيرة ذا إيحاء بروليتاري ومكملا لمشهدية الرفض والثورية، حيث تحاول بعض النسوة التعبير عن خروجهن عن الواقع المجتمعي المزري الذي وضعهن علىٰ التخوم والهوامش، ويحاولن بذلك إيجاد واقع جديد لهن".

وأضاف "حتىٰ وإن وضعنا فرضية أن مستهلكات الكحول التونسيات قد ازداد عددهن وان مرتادات الحانات قد تزايدن فهذا يشير إلىٰ أن المرأة التونسية ليست بحاجة للتخفي خلف نقاب الفضيلة الوهمي وهي إذا ما أرادت أن تقوم بشيء فهي تقوم به بكل ثقة في نفسها وفي مجتمعها".

وتعود أسباب معاقرة الكحول لدى شريحة من النساء التونسيات إلىٰ ظروفهن الاجتماعية الصعبة، من بينها التفكك الأسري الذي يضطر بعض الفتيات للخروج إلىٰ الشارع.

وقال شيكار ساكسينا مدير إدارة الصحة العقلية وتعاطي المخدرات في منظمة الصحة العالمية، إنّ "الفقراء بشكل عام هم الأكثر تأثرا بالأضرار الاجتماعية والصحية للكحوليات"، مضيفا "هم غالبا يفتقدون الرعاية الصحية الجيدة ولا يجدون حماية كافية من عائلات فاعلة أو شبكات مجتمعية".

وتشير التقديرات إلىٰ أن حوالي 30 بالمئة من النساء في جميع أنحاء العالم يشربن الكحول، حيث تشرب امرأة من كل 20 أنثىٰ الكحول بكميات كبيرة نسبيا.

وقالت منظمة الصحة العالمية في "تقرير الحالة العالمي عن الكحول والصحة لعام 2018" إن ما يقدر بنحو 237 مليون رجل و46 مليون امرأة علىٰ مستوى العالم يشربون الكحول بشكل مفرط أو علىٰ نحو ضار.

وأشار فلاديمير بوزنياك العضو في إدارة سوء تعاطي المواد في منظمة الصحة العالمية إلىٰ أنه "بوسع كل الدول بذل المزيد من الجهد لخفض التكلفة الصحية والاجتماعية للاستخدام الضار للكحول".

وأضاف أن من بين الإجراءات التي أثبتت كفاءتها وكانت فعالة من حيث التكلفة زيادة الضرائب علىٰ الكحوليات وتقييد الدعاية والوصول السهل إليها.

ويقابل شرب المرأة للكحول بالرفض في مختلف المجتمعات العربية والإسلامية، وتكون الأحكام الاجتماعية عليها قاسية جدا، علىٰ عكس الأمر بالنسبة إلىٰ الرجل، إذ لا ينتقص ذلك من أخلاقه شيئا.

وبحسب دراسة أعدتها إدارة الطب المدرسي والجامعي، تبين أن ظاهرة شرب الكحول تشعبت في تونس حيث لم تعد مقتصرة علىٰ الرجال فقط، بل صارت تشمل النساء اللواتي أصبحن متواجدات في الحانات.

ويعود تواجد التونسيات وخصوصا المراهقات منهن بالحانات والمطاعم الراقية إلىٰ أحد أمرين إما كدليل رفاه و"برستيج" ناجم عن حياة الثراء وإما تفضيلا لشرب الكحول بدل العصائر والمشروبات الغازية عند الخروج للسهر ضمن شلة من الأصدقاء والصديقات.

إلا أن هناك أبحاثا أجريت مؤخرا أظهرت أن معظم النساء يحتسين الكحول للتغلب علىٰ "الألم العاطفي"، في حين أن شرب الرجال للكحول مرتبط بشكل أكبر بالضغوط الاجتماعية.

ما في كؤوسكن، أخمر أم هم وتسهيد!

> بعض النسوة يحاولن من خلال احتساء الكحول التعبير عن خروجهن عن الواقع المزري الذي وضعهن على الهوامش

ويرى الخبراء أنه بالنظر إلىٰ هذه الاختلافات في الدوافع التي تحمل النساء علىٰ احتساء الكحول والعوامل البيولوجية التي تجعلهن أكثر تأثرا بالمسكرات ولا سيما العلاقة الوثيقة بين إدمان الكحول وبين التعرض للصدمات، فإن احتياجات النساء تستدعي الدراسة عند البحث عن سبل للعلاج من إدمان الكحوليات.

وأكدوا أنه مضىٰ العهد الذي كان الباحثون فيه يجرون الأبحاث عن إدمان المشروبات الكحولية علىٰ الرجال فقط ويفترضون أن نتائجها ستنطبق حتما علىٰ النساء، نظرا لأن الكحول كانت تعتبر من "المشكلات الذكورية"، وعليه لم يهتم أحد بدرس أثر الإفراط في شرب الكحول علىٰ المرأة.

المرأة أسرع تأثرا

أثبتت الدراسات أن النساء اللواتي يسرفن في احتساء المشروبات الكحولية أسرع تأثرا بأضرار هذه المشروبات علىٰ الكبد والقلب والأعصاب، غير أن هذه الأضرار الصحية ليست ناجمة عن الإفراط في الشرب فحسب، وإنما عن مسألة اختلاف تأثير الكحول بين الجنسين.

كما أظهرت مسوحات أدمغة مدمني الكحوليات أن أدمغة النساء بدت أكثر تأثرا بالمسكرات من أدمغة الرجال.

واقترنت معاقرة الكحول بالرجال، وترسخت هذه الصورة النمطية في الأذهان وجسدتها الكثير من الأفلام والمسلسلات، وفقا لهيئة الإذاعة البريطانية، مشيرة إلىٰ أن دراسة عن عادات استهلاك الكحول أوضحت أن النساء اللائي ولدن في الفترة ما بين 1991 و2000 يستهلكن نفس الكميات من الكحول التي يستهلكها نظرائهن من الرجال، ولفتت أيضا إلىٰ أن معدلات استهلاك النساء للكحول آخذة في الارتفاع وربما تتخطىٰ الرجال قريبا.

وبالتوازي مع زيادة استهلاك النساء للكحول، زادت معاناتهن من أضرارها، إذ كشفت إحصاءات المركز الأميركي الوطني للوقاية من الأمراض ومكافحتها عن ارتفاع معدلات الوفاة الناتجة عن الإصابة بتليف الكبد، في الفترة بين عام 2000 و2015، بين النساء في عمر 45 إلىٰ 64 عاما بنسبة 57 بالمئة، بينما لم ترتفع لدى نظرائهن من الرجال إلا بنسبة 21 بالمئة فقط.

غياب توجيه ديني سليم وراء تزايد إقبال النساء على الكحول

الشيخ بدري المدني
باحث في الفكر الإسلامي

❏ يستمر السجال القديم/الجديد حول موضوع الكحول ولكن الإجماع - باستثناء نزر قليل- حاصل حول تحريمه قطعيا بالنص القرآني ونصوص السنّة النبوية الشريفة وإجماع أهل العلم، فقد ذكرت الكحول في القرآن أربع مرات.

● "ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا إن في ذلك لآية لقوم يعقلون"، النحل/67.

● "يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير ومنافع للناس وإثمهما أكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون"، البقرة/ 219.

● "يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتىٰ تعلموا ما تقولون"، النساء/43.

● "يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون، إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدّكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون"، المائدة/91-90.

والتحريم مرده أساسا إلىٰ تعدد مضاره الكبرى من جوانب لا تحصىٰ ولا تعدّ علىٰ الرجل وعلىٰ المرأة أكثر نتيجة طبيعتها الفيزيولوجية وخاصة منها الطمث والحمل والإنجاب، وقد تزايدت ظاهرة احتساء المرأة للخمر في العديد من المجتمعات، حوالي 30 بالمئة من النساء في جميع أنحاء العالم يشربن الكحول، وخاصة المسلمة منها رغم يقينيات التحريم لكن تظلّ الدوافع النفسية والاجتماعية والمادية تخيّم علىٰ هذه المجتمعات كتفشي الفقر والجهل والانحراف والإحباط والدعارة.

ومما يلاحظ تزايد إقبال النساء في المجتمع المسلم علىٰ شرب الكحول في غياب توجيه ديني سليم وتنويري يعتمد أساليب الترغيب ويكفي التركيز علىٰ اسم الخمر الذي يعني لغة الستر فهو يوقع بصاحبته في تغطية عقلها وحجب الحقيقة عنها، ولعلّ أبرز آثاره علىٰ المرأة أنّه يؤذي الجسد ويضلل البصيرة ويبدد الأموال ويعمي عن الحكم علىٰ الأشياء بطريقة صائبة... فشرب المرأة الحامل للخمر يرتبط بإصابة الوليد بمجموعة من الاضطرابات والأمراض التي تسمىٰ طيف اضطرابات الجنين الكحولية (Fetal Alcohol Spectrum Disorders) وهنا يخشىٰ علىٰ الأجيال القادمة من هذه النوعية من الأمراض.

ويوجد حسب أهل الطب رابط "خفي" بين شرب الكحول ومتلازمة أعراض ما قبل الطمث (بي إم إس) لدى النساء، ويُطلق مصطلح (بي إم إس) علىٰ الآثار الجسدية والنفسية والسلوكية التي تعاني منها بعض النساء قبل وأثناء فترة الحيض. وتشمل الأعراض تقلبات المزاج وتقرّح الثدي والتعب بشكل عام.

وإذا تكلّم النص القرآني وتكلّم الطبّ فلا نخال أن الأمر فيه مزاح بل فيه كلّ الجديّة، وعليه لا بد من الاستثمار الفعلي في عالمنا العربي والإسلامي لتوجيه المزيد من التوعية لخطر الكحول علىٰ المرأة.

وصمة عار الحبس تلاحق المسرحات وأسرهن مدى الحياة

أسر تتنكر لمسؤولياتها وتنبذ السجينات خوفا من نظرة المجتمع

لا تستطيع الكثير من الأسر التونسية تقبّل بناتها بعد خروجهن من الحبس إثر قضاء فترة من العقوبة السجنية، ولا يتساءل الكثير من الأهالي عن مدى مساهمتهم في وصول البنت إلى ارتكاب الجنحة أو الجريمة التي دخلت بسببها إلى الحبس بقدر مراعاتهم لنظرة المجتمع إليهم وإلى السجينة. وتلاحق وصمة العار المرتبطة بالحبس الكثير من الفتيات والنساء بعد السراح، فيلاقين رفضا ونبذا من المجتمع وأحيانا من أسرهن وعائلاتهن، ما يجعل الكثيرات منهن يشعرن بأنهن خرجن من الحبس الفعلي إلى حبس أرحب.

غطاء لتجنب نظرة الآخر

❑ **تونس** – عبرت العديد من التونسيات اللاتي قضين فترة من العقوبة السجنية عن رغبة تتملكهن في العودة إلى الحبس بسبب ما لقينه خارجه من سوء معاملة ومن رفض من أسرهن ومن المجتمع. ويدفع الإحساس بوصمة العار من الحبس أسرا كثيرة ليس فقط إلى رفض استقبال البنت التي خرجت من الحبس، بل أحيانا إلى التنكر إليها ورفض إيوائها في منزل الأسرة. ورفض التواصل معها خاصة إذا تعلقت عقوبتها الجزائية بجريمة مثل القتل أو بقضية أخلاقية.

وصرحت الكثير من السجينات في حوارات إعلامية مع الصحف أو البرامج التلفزيونية الاجتماعية التونسية بأنهن وجدن صدًا ورفضا قويين بعد الخروج من الحبس من عائلاتهن ومن المجتمع، وبالرغم من تقبّل بعض العائلات لأبنائهم من الذكور بعد الخروج من الحبس إلاّ أن نسبة هذه العائلات تقل إذا ما تعلق الأمر بامرأة خرجت من الحبس، فكأن وصمة العار من السجن بدورها تصبح تمييزية ضد المرأة مثلما هو الحال بالنسبة للأسرة والمجتمع.

وطالبت نورة، وهي امرأة في سن الـ56 غادرت الحبس بعد قضاء عقوبتها القانونية، بإعادتها إلى الحبس بعد أن لاقت الرفض خارجه، وأوضحت في حديث لوكالة الأنباء التونسية أن جميع الأبواب أوصدت في وجهها وأن رغبتها في العودة إلى الحبس ازدادت بعد أن تبين لها أن قضبان الحبس أكثر ليونة من قضبان المجتمع. ولا يعني طلب نورة العودة إلى الحبس بأنه مقر يستطاب فيه العيش بقدر ما يكشف عن غلظة المجتمع في التعامل مع المسرّحات من السجون.

> أسرة السجينة تشعر بالخجل والخوف من نظرة المجتمع إليها لأن إحدى بناتها سجينة سابقة، كما تشعر الفتاة أو المرأة بالعار لأنها مكثت في السجن

وليست نورة المسرّحة الوحيدة التي عبّرت عبر العديد من القنوات الإعلامية عن رغبتها في العودة إلى الحبس بل هناك الكثير من الحالات التي تشبهها في المجتمع التونسي، وهو ما يبرهن على أن المقاربات والخطط التي اعتمدتها الجهات الرسمية وصرحت بها في ما يخص إعادة إدماج المساجين بعد مغادرة السجن في المجتمع مازالت في مستواها النظري ولم يتم تنزيلها فعليا على أرض الواقع، لأن أغلب المساجين المسرحين نساء ورجالا يشتكون من نبذ المجتمع لهم والتعالي عليهم بنظرة دونية، ويتأكد ذلك من أن أغلبهم لا يوفقون في الحصول على عمل ولا يقبلهم أغلب المؤجرين، وبالرغم من غياب الأرقام الرسمية في هذا الشأن إلا أن الملاحظ أن السجينات يلاقين رفضا أوسع حتى في مواقع العمل، ولا يتم قبولهن إلا في حال لم ينكشف ماضيهن المتعلق بالحبس.

وتؤكد الباحثة التونسية المختصة في علم الاجتماع درة محفوظ أن هناك عدم قبول ورفضا للسجينات في المجتمع التونسي، إذ يتعرضن للتمييز حين يغادرن الحبس بالمقارنة مع الرجال حيث لا تكون معاملة رجل غادر الحبس مثل معاملة المرأة. ويُقال للرجل السجين "الحبس للرجال" لكن المرأة حين تحاكم وتسجن يتحوّل الحبس إلى وصمة عار، حتى لو كانت سجينة سياسية، والنتيجة أنها لا تستطيع أن تندمج كالسابق في المجتمع، إذ لا يوجد قانون إيجابي يدعم وضعية النساء في مرحلة ما بعد السجن.

وتضيف محفوظ لـ"العرب" أن "أسر السجينات أيضا جزء من المجتمع، وقد يقبل أفرادها عودتها إلى الأسرة لأنهم مجبورون على ذلك وليس أمامهم خيار آخر، ويشعر أهل السجينات بالخجل والخوف من نظرة المجتمع، لأن إحدى بنات العائلة سجينة سابقة، كما تشعر الفتاة أو المرأة بالعار لأنها مكثت في السجن رغم أن العائلة مسؤولة، بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، عن الخطأ أو الجريمة التي ارتكبتها، حيث أن الكثيرات منهن وقع التغرير بهن لاقتراف الجرائم".

وتعتبر محفوظ أن "المجتمع بصفة عامة قاس على هذه الفئة وعلى أسرتها أيضا، والسجينات لا يملكن القوة لمواجهته، لذلك يجب أن يلعب المجتمع المدني والجمعيات النسوية دورا هاما ومؤثرا لتغيير هذه الصورة النمطية السائدة عن السجينات. كما يجب أن تفعّل المساواة بين الجنسين في ما يخص النظرة إلى السجين، فالخطأ واحد حين يرتكبه رجل أو امرأة".

وبحسب التقارير المحلية وبعض أشغال مؤسسات المجتمع المدني فإن العشرات من السجينات واجهن مصيرا مشابها يبدأ من خطأ أو جريمة ليكلفهن شهورا أو سنوات في السجن ثم يخرجن ليصطدمن بحاجز الرفض من العائلة وبالوصم الاجتماعي الذي يرافقهن على مدى الحياة، فيجدن أنفسهن في نهاية المطاف إما حالمات بسقف الحبس لكي يأويهن بدل التشرد في الشوارع أو عاطلات بلا عمل ولا سند وهو ما يدفعهن نحو ارتكاب جرائم أخرى بهدف العودة إلى الحبس.

لقد ارتفعت أعداد التونسيات اللاتي دخلن إلى الحبس بحسب إحصائيات رسمية، فبعد أن كان العدد 424 امرأة في الفترة ما بين عامي 1956 و1960 إلى ما يزيد عن 624 سجينة في العام 2017.

وكشفت نتائج استطلاع للرأي أجرته المنظمة الدولية للإصلاح الجنائي في العام 2014، في سجني محافظتي منوبة والمسعدين، وشمل عينة من 201 سجينة مثلن وقتها 32 بالمئة من مجموع السجينات في تونس، عن أن نسبة 41 بالمئة من المشاركات في الاستطلاع تعرضن للوصم من قبل أسرهن والمجتمع نتيجة لتعرضهن لعقوبة الحبس، وأن 39 بالمئة منهن واجهن حالة من الانهيار الأسري، و9 بالمئة تم حرمانهن من أطفالهن، ونفس النسبة تخلى عنهن أزواجهن، كما فقد ربع هؤلاء السجينات أعمالهن، وخمسهن مساكنهن.

ويرى الباحث المختص في علم الاجتماع حبيب الرياحي أن المرأة المغادرة للسجن في مجتمعاتنا العربية تخرج موصومة اجتماعيا، ويوضح أن "هذا المفهوم السوسيولوجي يحيلنا إلى ما تلقاه خرّيجة السجن من أحكام أخلاقية وقيمية من نوع: صاحبة سوابق، ومجرمة، ومنحرفة، إلخ. رغم أن السجينة قد تكون ضحية زلة أودعت على إثرها السجن".

ويشير الرياحي إلى أن المجتمع لا يرحم ويزيد من عزلة المرأة السجينة وينبذها ويقع تهميشها باعتبار أن سمعتها في الحضيض، مؤكدا أن سجن المجتمع أشد وطأة وقسوة من سجن النساء، وتبعاته النفسية والاجتماعية أعمق فصفة مجرمة لها انعكاسات وخيمة بقطع النظر عن ملابسات دخولها السجن.

وينجرّ عن ذلك بحسب الرياحي ما يعرف في علم الاجتماع بالعطوبة الاجتماعية من خلال صعوبة الاندماج العلائقي للسجينات مع بقية أفراد المجتمع وصعوبة إيجاد شغل يعيد إليها الاعتبار، وبالتالي عدم الاندماج الاقتصادي إضافة إلى ما يسمى بالتحقير الاجتماعي حتى وإن كانت السجينة قد اكتسبت مهارات عملية داخل السجن، فبمجرد البحث في سجلها العدلي لا يتم قبولها للعمل.

ويخلص الباحث في علم الاجتماع "نحن إزاء تحدّ مجتمعي يجب أن تلعبه الهياكل الاجتماعية التابعة للدولة والجمعيات والمنظمات النسوية والحقوقية لمساعدة خريجات السجون؛ وذلك من خلال الإحاطة بهن نفسيا واجتماعيا وضمان مورد رزق لهن وإدماجهن في الدورة الإنتاجية وهذا يتطلب الرقي بالوعي العام وعدم إطلاق الأحكام المطلقة ومساعدة الخريجات حتى لا يضطررن للعود إلى السجون".

وأجمع أعضاء لجنة شؤون المرأة والأسرة والطفولة والشباب والمسنين في مجلس النواب، في محضر جلسة بتاريخ 12 فيفري 2018، مخصصة للمصادقة على تقرير الزيارة إلى سجن منوبة الخاص بالنساء، على أن المشكلة الأساسية بالنسبة للنساء السجينات هي متابعة المسرّحات، وتوفير الظروف الإنسانية لرعايتهن من خلال توفير مراكز إيواء، والتفكير في إدماجهن ضمن آليات تشغيل الفئات الهشة.

ويظل العمل على نشر ثقافة قبول المسرحات من السجن في المجتمع وتوفير الدعم والمساندة النفسية للأسرة لكي تحتضنهن من جديد أبرز الحلول.

فقراء لكنهم ذواقون

حكيم مرزوقي
كاتب تونسي

❑ إذا قيل لك أيها الرجل اللبق الفقير "ما حاجتك للإيتيكيت، وللاهتمام بكل فنون حسن التصرف، إنّها لا تخصّ ولا تُلزم أمثالك من أصحاب العيون البصيرة والأيادي القصيرة؟ وما قيمة أن تعرف كلّ تفاصيل البرجوازيّة ولا تمتلكها؟". ساعتها، ما عليك إلا أن تقول لهم بصوت الواثق وأنت تبتسم في عيونهم "نعم أيها السادة، إني أعتقد بأني أعرف أكثر من طريقة لعقد ربطة العنق حسب الفصول والمناسبات، لكني قد لا أرتديها لأني لا أمتلك ثمنها. أفهم في أفخم أنواع السيجار الكوبي المصنع بالطرق اليدوية التقليدية في أميركا الجنوبية، وأحسن أساليب حفظه وخزنه، أتقن تقليمه بالمقصّ الدائري وإشعاله بورق الصفصاف الناشف وتدخينه مع المشروب المناسب مرتديا بدلة السموكين التي جعلت في الأصل لتمييز المدخّنين من غيرهم في الحفلات الأرستقراطية..".
هل تعلم؟

أعرف أيضا أنّ المرأة يجب أن تسبقني في الدخول، وأتقن بعض اللغات ونزع قبعتي تحت السقوف وعند التحية، وأفهم في دلالة الوقوف والانحناء لسيّدة أرستقراطيّة وتقبيل ظاهر يدها إن هي نزعت قفازها.

قل لهم أيها الذواق الفقير كيف أنك تميّز بين أفخم أنواع الكافيار القادم من البحر الأسود، وكذلك تفرّق بين مشروبات "الأبيرتيف" و"الديجستيف"، وكيف أنك تعرف أن اللحم الأحمر يرافقه نبيذ أحمر، واللحم الأبيض يرافقه نبيذ أبيض. إنك أيها الذي خانته ذات اليد، تتذوّق أطباق سمك "السومون فيمي" وتهتدي إلى المشروب المناسب مع الطبق المناسب، وتعرف ماذا تطلب من النادل قبل العشاء وبعد انتهائه.. ولا مانع لديك بعد العشاء من رقصة التانغو أو السالسا أو حتى السلو.

قل لهم أيها الفقير الذي خانته جيوبه إنك تختار الألوان الحارّة في الشتاء والباردة في الصيف، تفتح الهديّة أمام صاحبها، تبتسم في اللحظات الحرجة وتختلق حكاية مسلّية في لحظات الملل، ولا تحرج السيدات في أعمارهن ولا تسأل الرجال عن رواتبهم.

نعم سيّدي الذواق الفقير، إنك تعرف كيف تخفي حزنك في الأفراح، وتظهره فقط في الأتراح، وتكتم ضحكتك في المآتم، إنك تقدم على ملاعبة وملاطفة الأطفال الغلاظ أمام آبائهم وتنصت إليهم ولكن، من ينصت إليك؟

يبدو أن الأموال تصيب أهلها بالطرش أمّا الفقر فيصيب بالبحّة والارتباك، وأحيانا السخرية من الذات.

كم لديك رغبة دفينة أيها اللبق الفقير في أن تعلم المرفهين كيف يترفهون والأنيقين كيف يتأنقون.. ولكن أين هم؟

هل ينبغي أن تشكر الأقدار التي أفرغت جيبك من النقود وملأت رأسك بالأفكار؟ الذواقون يحمدون الله الذي خلقهم أناسا مولعين بالتفاصيل التي لا يستقيم الجمال من دونها. هي تفاصيل وليست صغائر على كل حال. وهي التي تقود إلى الكتابة في الدراما، بامتياز، والطريقة الوحيدة للدخول إلى قلب المرأة، ملكة التطريز والمنمنمات الحياتية بلا منازع.

يقول بعض الذكوريين من المختفين وراء الجُمل المنتفخة "إنّ التفاصيل –كالنميمة– من صفات النساء، فليكن. من منّا لم يأت من رحم امرأة ومن منّا لم يتربّ في أحضان امرأة ومن منّا لا يرى في حديثهنّ بشاشة وفي قتيلهنّ شهيدا"، على قول الشاعر. ثمّ إنّ النميمة لا تسمّى باسمها إلاّ إذا مورست بقصد الإساءة، أما أدناها فمجرد ثرثرة يتسلى بها العاطلون.

التفاصيل تجعل العالم أجمل وأشهى وأغنى، إنها تلهمنا الحكمة والتدبّر في خلق الله. إنّها الطريق الأمثل لفن المعرفة. الثقافة في أرقى وأعمق تعريفاتها، هي ليست اكتساب المعلومة وإنّما كيفيّة النظر إليها والتصرّف فيها وإلاّ كان محرّك غوغل أهمّ مفكّر في العالم.

هل فعلا، كلما ضاقت الجيوب اتّسعت الأفكار؟

لك تُرفع القبعات أيها اللبق المفلس، والذواق الفقير. لقد عوضت العوز بإتقان فنون العيش، والتهام الحياة من كل أطرافها مثل تفاحة خضراء وشهية. نعم، إن الفقر قبيح، لكن الفقراء دوما جميلون، وخصوصا الذواقين والظرفاء منهم.

طبق اليوم

ديك رومي مشوي

* **المكونات:**
- علبة لبن الزبادي.
- (2) ملعقتان كبيرتان من الخردل ومثلهما كاتشب.
- (2) حبتان من البصل مفرومتان ومنقوعتان في الماء.
- عصير ليمونتين وملعقة كبيرة من الخلّ.
- زيت زيتون وملح، وفلفل، وبهارات مشكلة.
- ربع ملعقة صغيرة من القرفة المطحونة.
- 4 أكواب من الأرز البسمتي.
- ملعقة كبيرة ونصف من السكر.
- بصلة صغيرة الحجم وغير مفرومة.
- 4 أكواب من الماء.
- (2) مكعبان من مرق الدجاج.
- ربع كوب من الزيت النباتي.
- مكسرات محمّصة للزينة.

* **طريقة الإعداد:**
- نعد التتبيلة: نخلط الزبادي، والخردل، والكاتشب، والماء، والبصل، والليمون، والخل، والزيت، ونضيف إليها الملح، والفلفل، والبهارات المشكّلة، والقرفة، ونمزج المكوّنات.
- نغسل الديك الرومي جيدا، وندهنه بقليل من التتبيلة، ثم نضعه في صينية، ونسكب عليه باقي التتبيلة، نغطي الصينية، وندخلها إلى الثلاجة ليلة كاملة.
- قبل شوي الديك، نسكب ربع كوب من الماء فوق التتبيلة، ثم نغطّي وجه الصينية بورق ألومينوم فيه بعض الثقوب فيه.
- ندخل الطبق في الفرن على درجة حرارة لا تقل عن مئتي درجة مئوية لمدة لا تقل عن ساعتين ونصف، نزيل الورق، ونعيد الصينية إلى الفرن مرة أخرى حتى يحمرّ الديك.
- نضع السكر في قدر على حرارة متوسّطة حتى يتشكّل لدينا الكراميل.
- نسخن الزيت في قدر آخر على النار، ثم نضيف البصل ونقلبه حتى يذبل.
- نضيف الكبد، ونقلّبه جيدا مع المكوّنات، ثمّ نضيف هذه المكونات إلى السكر، نزيد الأرز، ونقلّب المكوّنات معا جيدا حتى تتجانس، ثم نسكب الماء وكوبين من مرق الديك ومرق الدجاج على الأرز، ونضيف إليه البهارات.
- نترك المزيج على النار حتى ينضج الأرز.
- نسكب الأرز في طبق التقديم، بجانب الديك الرومي، ونزينه بالمكسرات.

موضة

فساتين زفاف 2019 تمنحك إطلالة الأميرات

❑ تستلهم موضة فساتين الزفاف في 2019 من فساتين الزفاف الملكية؛ حيث تطل الفساتين هذا العام بقصّة مستوحاة من فساتين الأميرات ميجان ماركل ويوجيني، بالإضافة إلى تصاميم أخرى.

قالت خبيرة الموضة الألمانية سوزان برنارد إن فستان الزفاف يطل في 2019 بقصّة مستوحاة من قصّة فساتين الأميرات، والتي تتخذ شكل حرف A؛ حيث تكون القطعة الفوقية ضيقة والتنورة واسعة.

وتمتاز هذه القصّة بأنها تغازل كل أشكال القوام، خاصة القوام "الكيرفي" الغني بالمنحنيات، كما تعمل هذه القصّة على إخفاء عيوب الأفخاذ والأرداف بفضل التنورة الواسعة، التي تنسدل بانسيابية على الأفخاذ والأرداف. ومن جانبها، قالت خبيرة الموضة الألمانية سونيا شولتس إن الأبيض يظل متربعا على عرش ألوان فساتين الزفاف، مشيرة إلى أنه يطل بدرجات لونية عديدة، أبرزها العاجي والبيج ودرجة الكابتشينو الخفيفة.

الأهلي المصري يبدأ حقبة جديدة مع المدرسة الأوروغوايانية

مارتن لازارتي فخور بأول تجربة تدريبية في القارة الأفريقية

استقر مجلس إدارة النادي الأهلي برئاسة محمود الخطيب على تعيين الأوروغوايانى مارتين لازارتي مدربا للفريق الأول خلفا للفرنسي باتريس كارتيرون، وذلك بعد سلسلة طويلة من المفاوضات مع عدة مدربين من مختلف الجنسيات. وسيدخل لازارتي تاريخ النادي الأهلي حيث أنه سيكون أول مدرب أوروغواياني يتولى القيادة الفنية للأهلي في التاريخ.

لازارتي رقم صعب جديد يكتب في تاريخ القلعة الحمراء

❑ **القاهرة** – أبدى الأوروغواياني مارتن لازارتي المدير الفني الجديد للفريق الأول لكرة القدم بالنادي الأهلي المصري، سعادته بتولي القيادة الفنية للقلعة الحمراء خلال المرحلة المقبلة. وقال لازارتي في المؤتمر الصحافي الذي عقده الأهلي لتقديم مدربه الجديد لوسائل الإعلام داخل مقر النادي بالجزيرة "لقد جئت لقيادة الأهلي العظيم"، موضحا أنه اعتاد دائما على اختيار الأندية التي تمتلك أهدافا كبيرة.

وكشف لازارتي أنه يعيش الكرة بشغف وأنه جاء إلى مصر لقيادة الأهلي من أجل تحقيق الانتصارات، مؤكدا أن كل فرد داخل النادي عليه أن يقوم بدوره على أكمل وجه. وأشار إلى أن الجميع يجب أن يعمل كفريق واحد من أجل تحقيق الهدف المنشود، مؤكدا أن روح الفريق أمر مهم للغاية وأن تحقيق الانتصارات والوصول إلى الأهداف في فريق كبير كالأهلي أمر تترتب عليه سعادة الجمهور واللاعبين.

وأوضح المدرب الأوروغوايانى أن تحقيق هذه الأهداف سيسعد الجميع، كما أكد أن جهازه يتمتع بإرادة كبيرة في بداية مشواره مع الأهلي لتحقيق الأهداف التي جاء من أجلها. وتابع قائلا "أتطلع لمنح الفرص للعديد من اللاعبين الجدد، وهذا حدث معي خلال مسيرتي التدريبية، لقد كنت محظوظا باكتشاف لويس سواريز وأنطوان غريزمان". وأوضح لازارتي أنه سيختار طريقة اللعب التي تناسب الكرة المصرية، وأنه سبق له العمل في بلدان كثيرة، وهو الأمر الذي يساعده على استخدام أكثر من طريقة لعب.

وأكمل لازارتي قائلا "يجب أن أدرس أولا إمكانيات اللاعبين وبعد ذلك أقرر طريقة اللعب المناسبة، ولكن بشكل عام التغيير في طريقة اللعب سيكون بشكل تدريجي".

وأضاف المدير الفني للأهلي أن الفرق في أوروبا تعتمد على طريقة اللعب 1-3-2-4، وفي أميركا الجنوبية يفضلون طريقة 4-3-3، ولكنه سيختار الطريقة التي تناسب الكرة المصرية.

وأوضح أنه شاهد ست مباريات وشوطا واحدا لفريق الأهلي المصري ويمتلك العديد من "الفيديوهات" لمباريات الفريق، وأشار إلى أنه سيكون له دور في اختيار بعض اللاعبين بالتعاون مع إدارة النادي ومع سيد عبدالحفيظ مدير الكرة. وشدد المدرب الأوروغوايانى على أن الكرة مثل الحياة وأنها لا تكون عادلة دائما، وأنه يتطلع في الوقت الضيق الذي يمتلكه إلى اختيار أفضل القرارات التي تخدم الفريق. واختتم قائلا "أنا مستعد لتحقيق طموحات جماهير الأهلي بالمنافسة على البطولات، وأعلم جيدا حجم المسؤولية الملقاة على عاتقي بعد أن توليت تدريب فريق بحجم الأهلي، أتطلع لتحقيق النجاح في أول تجربة أعمل فيها في أفريقيا".

تاريخ حافل

أشار إلى أن تاريخ النادي يتحدث عن نفسه مؤكدا أن الأهلي من أكثر أندية العالم حصدا للألقاب قائلا إنه لم يضع أي شروط للتشكيلة الخاصة بالجهاز المعاون، لافتا إلى أن هناك مساعدين أجانب له سينضمون للجهاز الفني بجانب مدربين مصريين سيعملان معه.

وأكد أنه سيكون له دور في اختيار الصفقات الجديدة مع إدارة النادي موضحا أن ملف الراحلين سيتم تحديده بعناية ومؤكدا أن أزمة الإصابات التي تضرب الفريق تثير قلقه وسيضع حلولا للتخلص منها. وأكد أنه لا يعد بتحقيق بطولات معينة ولكنه يعد بالعمل من أجل تحقيق أقصى نتائج ممكنة موجها رسالة لجماهير النادي بالدعم والمساندة في المرحلة القادمة.

واختتم تصريحاته بالإشارة إلى أن أهم نقاط الفوز هو روح الفريق وأهم عنصر بها طاقة الجماهير ودعمها ومساندتها للفريق بكل قوة في كل الأوقات والفريق يحتاج للصبر من جماهيره.

ومن جانبه رحب سيد عبدالحفيظ مدير الكرة بالأهلي المصري، بالأوروغواياني لازارتي المدير الفني الجديد للفريق، موضحا أن المفاوضات لم تستغرق سوى 10 أيام، وتم التعاقد معه سريعا.

وأوضح عبدالحفيظ في المؤتمر الصحافي لتقديم لازارتي لوسائل الإعلام، أن المدرب الجديد سيبدأ مهام عمله يوم 27 ديسمبر الجاري.

وأكد عبدالحفيظ أن الفترة المقبلة ستشهد تكاتف الجميع من أجل تحقيق الانتصارات وعودة البطولات، موضحا أن الأهلي لديه طموحات كبيرة في جميع المنافسات. وسيتولى لازارتي قيادة الأهلي بداية من لقاء إنبي في الدوري المحلي يوم 30 ديسمبر الجاري.

بدأ لازارتي مسيرته التدريبية بداية من عام 1997 بقيادة فريق رامبيلا الأوروغوايانى واستمر معه لمدة 3 أشهر فقط، ثم انتقل لتدريب فريق رانتيستا الأوروغوايانى أيضا وبقى معه عاما كاملا ثم ظل بلا أي ناد لمدة 10 أشهر، قبل أن يعود مرة أخرى للتدريب من بوابة فريق بيلافيستا الذي قضى معه 14 شهرا، حيث أنهى مهمته بالفريق في أغسطس 2001، وظل دون أي ناد حتى مطلع نوفمبر 2002 الذي شهد توليه تدريب فريق الوصل الإماراتي، في مهمة لم تستغرق وقتا كثيرا حيث رحل بعد خمسة أشهر فقط عن الفريق الإماراتي، ليتولى قيادة فريق ريفر بلات الأوروغوايانى مباشرة من مايو 2003 وحتى ديسمبر 2004، ثم تولى في يناير 2005 قيادة فريق ناسيونال الأوروغوايانى وظل معه عامين حتى ديسمبر 2006، ولكنه في يوليو 2007 تولى قيادة فريق ميلوناريوس الكولومبي ورحل بعد شهرين فقط بعد قيادة الفريق في مباراتين.

وكانت أول تجارب لازارتي الأوروبية مع فريق ريال سوسيداد بداية من يوليو 2009 وخاض مع الفريق 83 مباراة ورحل يونيو 2011، وكان من أبرز إنجازاته الفوز على فريق برشلونة، ثم تولى قيادة يونيفرسيداد كالسوليك في يناير 2012 ورحل عنه ديسمبر 2013، ثم ينتقل إلى فريق يونفيرسيداد ويبقى معه حتى ديسمبر 2015، ويختم مشواره التدريبي قبل المجيء للأهلي بقيادة فريق ناسيونال مرة أخرى من يناير 2016 وحتى ديسمبر 2017.

سجل لازارتي مع البطولات يبدو جيدا، حيث سبق له أن توج بدوري أوروغواي عامي 2005 و2006 مع فريق ناسيونال، كما فاز بدوري الدرجة الثانية الأوروغوايانى مع فريق ريفربليت الذي صعد به للدرجة الأولى في عام 2004.

وفي ولايته مع فريق ريال سوسيداد الإسباني نجح في قيادته للتأهل إلى دوري الدرجة الأولى كما تمكن من الفوز على برشلونة.

كما حقق مع فريق يونيفرسيداد التشيلي لقب الدوري عام 2014 والكأس والسوبر عام 2015. ويعد مارتن لازارتي مكتشف الفرنسي غريزمان، حيث كان أول من منحه فرصة الظهور بقميص ريال سوسيداد، كما كان أول من منح الفرصة أيضا للأوروغوايانى لويس سواريز بفريق ناسيونال.

مشوار صعب

مشوار لازارتي مع الأهلي سيكون محفوفا بالمخاطر ومليئا بالصعوبات التي تهدده في القلعة الحمراء، حيث يأتي على رأسها تكرار الإصابات بين لاعبي الفريق والتي باتت غولا يلتهم لاعبي الأهلي ووصل الأمر إلى إصابة أكثر من 10 لاعبين في وقت واحد بالموسم الحالي، وهو ما يجعلها الخطر الأكبر أمام المدرب الأوروغوايانى، خاصة أن إدارة الأحمر لم تعلن نيتها التعاقد مع مخطط أعمال جديد بعد إقالة الهولندي مايكل ليدندمان من الجهاز الفني السابق بقيادة الفرنسي باتريس كارتيرون، بجانب عدم الإعلان عن تغيير الجهاز الطبي للفريق أو التعاقد مع استشاري أجنبي لمعرفة أسباب الإصابات المستمرة.

وطلب لازارتي من سيد عبدالحفيظ مدير الكرة إعداد تقرير شامل عن اللاعبين المصابين داخل الفريق الأحمر، لدراسته قبل العودة من بلاده لقيادة الفريق. وأبدى مدرب الأهلي انزعاجه من كثرة الإصابات داخل الفريق الأحمر، مؤكدا أنه أمر مثير للقلق. وطلب الأخير إعداد تقرير عن الإصابات التي ضربت الفريق في آخر 3 شهور، وتفاصيلها ومدة غياب كل لاعب، لدراسة هذه الظاهرة، خاصة أن الفريق يستعد لضغط مباريات مكثف خلال الشهور القادمة.

> نقص الخبرات العربية والأفريقية سيكون أبرز الأزمات التي تهدد نجاح المدير الفني لازارتي، بجانب تجربة مدرسة مختلفة عن الكرة المصرية

المدير الفني الأوروغوايانى سيتولى المسؤولية مع بداية شهر يناير المقبل، في فترة ستكون صعبة للغاية خاصة مع ضغط المباريات بشكل كبير في بطولتي الدوري وكأس مصر ودوري أبطال أفريقيا، وهو ما يصعب من مهمته خاصة أنه يحتاج وقتا للتأقلم والتعرف على إمكانيات اللاعبين، الأمر الذي سيجعل للثنائي محمد يوسف المدرب العام وعادل مصطفى المدرب المساعد دورا كبيرا معه خاصة أنهما متواجدان حاليا ويعلمان كل كبيرة وصغيرة عن الفريق واللاعبين.

نقص الخبرات العربية والأفريقية سيكون أبرز الأزمات التي تهدد نجاح المدير الفني، بجانب تجربة مدرسة مختلفة عن الكرة المصرية، حيث يعد لازارتي أول مدرب أوروغواياني يقود الأهلي، بجانب أنه لم يسبق له التدريب مطلقا في أفريقيا، وكانت له تجربة عربية وحيدة وقصيرة مع نادي الوصل الإماراتي خلال الفترة من نوفمبر 2002 حتى أبريل 2003، ورغم أنه قدم مستويات جيدة مع الفريق الإماراتي وقاده من المركز الأخير إلى المركز الخامس، إلا أنه رحل سريعا، حتى تجاربه في أوروبا محدودة بتولي تدريب ريال سوسيداد فقط من يوليو 2009 حتى يونيو 2011، وجاءت جميع تجاربه التدريبية في قارة أميركا الجنوبية بأوروغواي وتشيلي.

وسبق وأن تولى قيادة الأهلي 25 مدربا أجنبيا عبر تاريخه، من مختلف جنسيات العالم، أولهم الإنكليزي بوف وأبرزهم البرتغالي مانويل جوزيه والمجري هيديكوتي ولكن لم يسبق وأن تولى تدريب المارد الأحمر مدرب من أوروغواي، ليكون لازارتي المدرب الأوروغوايانى الأول والأجنبي رقم 26 الذي يجلس على مقعد المدير الفني في القلعة الحمراء.

تفاؤل بالمرحلة القادمة

في سياق متصل أبدى محمد أبوتريكة نجم الأهلي المصري السابق تفاؤله بالمرحلة القادمة للفريق الأحمر مع المدير الفني الجديد الأوروغوايانى مارتن لازارتي. وكتب أبوتريكة عبر حسابه بموقع تويتر "كل التوفيق والدعم للمدير الفني الجديد لازارتي للنادي الأهلي. بالمزيد من الهدوء والاستقرار والدعم سنحقق معه كل ما تتمناه الجماهير الأهلاوية".

وأضاف "المشوار مازال طويلا وصعبا لنرى الأهلي الذي نحبه ونعرفه، ولكن البداية مبشرة للجميع .

وفي هذا السياق نجح مسؤولو التعاقدات في الأهلي في حسم أربع صفقات قبل بداية الميركاتو الشتوي المقبل من خلال التعاقد مع محمد محمود لاعب وادي دجلة ومحمود وحيد لاعب مصر المقاصة والأنغولي جيرالدو من أول أغسطس بجانب الفلسطيني محمود السلمي والذي سينضم إلى فريق الشباب.

وسبق أن أعلن سيد عبدالحفيظ مدير الكرة بالأهلي مؤخرا عن دخول ناديه في مفاوضات مع أكثر من لاعب لتدعيم صفوف الفريق في يناير المقبل، لكن الفترة الماضية شهدت دخول أكثر من محترف مصري ضمن قائمة الترشيحات للانتقال لصفوف الأحمر. والاسم الأبرز في قائمة تدعيمات الأهلي خلال الميركاتو الشتوي هو حسين الشحات المحترف في صفوف العين الإماراتي، حيث حاول الأحمر في أكثر من مناسبة التعاقد مع صاحب الـ26 عاما، لكن في النهاية المفاوضات تفشل.

دورتموند يستعيد الثقة قبل الإجازة الشتوية ويتصدر البوندسليغا

كل الاحتمالات واردة في ظل تراجع أداء بايرن ميونيخ

استعاد بوروسيا دورتموند الألماني توازنه وثقته في الوقت المناسب قبل بدء الإجازة الشتوية، بتغلبه على بوروسيا منشنغلادباخ (2–1) مساء الجمعة ضمن افتتاح المرحلة السابعة عشرة من مسابقة البوندسليغا.

❑ **برلين** – رغم تلقيه صدمة قوية إثر الهزيمة أمام فورتونا دوسلدورف (1–2) في الجولة الماضية، إلا أن بوروسيا دورتموند استطاع تصدر الدوري الألماني وتقديم الرد الأمثل بالفوز في مباراته الجمعة أمام بوروسيا منشنغلادباخ (2–1) في افتتاح المرحلة السابعة عشرة من المسابقة، ليعزز موقعه في الصدارة قبل بدء الإجازة الشتوية للبوندسليغا.

وقال ماريو غوتسه، مهاجم دورتموند، والذي شارك من مقعد البدلاء قبل أن يصنع ثنائية الفريق التي سجلها جوردان سانشو وماركو رويس "كان مهما للغاية بالنسبة إلينا أن نحقق الفوز بعد الهزيمة في دوسلدورف، كان رد فعلنا جيدا، كافحنا لتحقيق ذلك".

وأضاف "نحن جميعا متحمسون، أنا متفائل بما سيحدث إذا واصلنا المضي قدما بهذه الطريقة، والتركيز على التفاصيل".

ومن جانبه، قال ماركو رويس قائد الفريق "نأمل جميعا في أن نحافظ على لياقتنا ونواصل تقديم عروض جيدة، بأقصى درجة ممكنة".

> دورتموند، الذي يتطلع لإحراز لقب الدوري للمرة الأولى منذ عام 2012، حقق ثاني أعلى عدد من النقاط يحصده خلال النصف الأول من الموسم في تاريخ مشاركاته بالدوري

وسجل الإنكليزي جادون سانشو في الدقيقة 42، والقائد ماركو رويس في الدقيقة 54 ثنائية دورتموند، وكريستوف كرامر في الدقيقة 45+1 هدف منشنغلادباخ.

واستحق بوروسيا دورتموند الفوز كونه كان الطرف الأفضل طيلة أغلب فترات المباراة ويدين في ذلك إلى نجمه ماريو غوتسه الذي صنع الهدفين في إنجاز حققه للمرة الأولى منذ أبريل 2013.

ودفع فافر بتشكيلته الأساسية بعدما أراح العديد من أعمدتها الرئيسية في مباراة دوسلدورف، فأشرك التركي أومير طبرق والمغربي أشرف حكيمي ويوليان فيغل والبرتغالي رافايل غيريرو وسانشو أساسيين.

وكانت أول وأخطر فرصة عندما تلقى رويس كرة على طبق من الإسباني باكو ألكاسير داخل المنطقة فانفرد بالحارس السويسري يان سومر وحاول لعبها في الزاوية اليسرى البعيدة بيد أن الأخير أبعدها بيمناه في الدقيقة 20، ورد رويس الهدية لألكاسير بعد دقيقة، عندما مرر له كرة داخل المنطقة لعبها بيمناه بجوار القائم الأيسر.

وسدد لاعب الوسط الدولي البلجيكي أكسل فيتسل كرة قوية من خارج المنطقة تصدى لها الحارس سومر على دفعتين في الدقيقة 30، وكانت أول فرصة لبوروسيا منشنغلادباخ تسديدة قوية لفلوريان نيوهاوس من خارج المنطقة تصدى لها الحارس في الدقيقة 32.

وأجرى فافر تغييرا اضطراريا بإشراك ماريو غوتسه مكان ألكاسير الذي تعرض لإصابة عضلية وخرج في الدقيقة 34.

ونجح سانشو في افتتاح التسجيل بمجهود فردي رائع داخل المنطقة عندما تلقى كرة من غوتسه داخل المنطقة فتلاعب بالمدافع أوسكار فيندت وسددها زاحفة في القائم الأيمن البعيد للحارس السويسري يان سومر، فارتطمت به وعانقت الشباك في الدقيقة 42.

وأدرك منشنغلادباخ التعادل عبر كرامر عندما استغل كرة عرضية تابعها برأسه فلمست يده وتهيّأت أمامه مجددا فسددها بيسراه داخل المرمى (45+1)، ولجأ الحكم إلى تقنية المساعدة بالفيديو بعد مطالبة لاعبي بوروسيا دورتموند، لكنه احتسب الهدف بداعي أن لمسة اليد لم تكن مقصودة.

وتابع بوروسيا دورتموند أفضليته في الشوط الثاني بحثا عن التقدم مجددا ونجح في مسعاه عندما مرر غوتسه كرة زاحفة أمام المرمى تابعها القائد رويس بارتماءة بيسراه داخل الشباك في الدقيقة 54.

وبعد أن أنهى الموسم الماضي في المركز الرابع بالبوندسليغا تحت قيادة بيتر بوس وبيتر شتوجر، فرض دورتموند هيمنته على صدارة البوندسليغا هذا الموسم تحت قيادة المدير الفني الجديد لوسيان فافري.

وحسم دورتموند بقاءه في الصدارة طوال الإجازة الشتوية التي تستمر أربعة أسابيع، بفارق عريض أمام أقرب منافسيه.

ويحتل بوروسيا دورتموند المركز الأول برصيد 42 نقطة، وبفارق تسع نقاط أمام كل من بوروسيا منشنغلادباخ وبايرن ميونيخ، و14 نقطة أمام لايبزيغ صاحب المركز الرابع.

وتجدر الإشارة إلى أن بوروسيا ورتموند، الذي يتطلع لإحراز لقب الدوري للمرة الأولى منذ عام 2012، والتاسع في تاريخه، حقق ثاني أعلى عدد من النقاط يحصده خلال النصف الأول من الموسم في تاريخ مشاركاته بالدوري.

وقال هانز-يواخيم فاتسكه، الرئيس التنفيذي لبوروسيا دورتموند، "لدينا 42 نقطة، وإذا قلنا (توقعنا) ذلك في أغسطس، لقال الجميع إننا مصابون بالجنون".

وسلّطت مباراة الجمعة الأضواء من جديد على القدرات الكامنة لدى دورتموند، الذي نجح في التغلب على مشكلة الإصابات في مركز قلب الدفاع وكذلك الخروج المبكر للهداف باكو ألكاسير بسبب الإصابة، وقد حقق الفريق الانتصار 13 له خلال 17 مباراة.

كذلك استكمل دورتموند الجمعة انتصاراته على ملاحقيه ضمن المراكز الخمسة الأولى في جدول الدوري، حيث سبق له الفوز على بايرن ميونيخ حامل اللقب (3–2) ولايبزيغ (4–1) وآينتراخت فرانكفورت (3–1) .

واستفاد دورتموند خلال النصف الأول من الموسم من تألق الإسباني ألكاسير الذي سجل 12 هدفا للفريق، مقتسما صدارة قائمة هدافي البوندسليغا مع لوكا جوفيتش لاعب آينتراخت، وكذلك القائد ريوس الذي سجل 11 هدفا، والنجم الإنكليزي الشاب سانتشو الذي سجل ستة أهداف وصنع تسعة أخرى.

وصعد دورتموند إلى دور الستة عشر بدوري أبطال أوروبا، حيث يواجه توتنهام الإنكليزي، كما تأهل إلى الدور نفسه في كأس ألمانيا وسيتنافس فيه مع فيردر بريمن. وتوج دورتموند باللقب في كل المواسم التي أنهى النصف الأول منها في الصدارة، لكن الفريق لا يبالغ في توقعاته لأن كل الاحتمالات واردة في موسم يؤدي فيه بايرن، المتوج باللقب في المواسم الستة الماضية، أداء دون المستوى.

وقال سيبستيان كيل، مدير قسم تراخيص اللاعبين بنادي دورتموند، "سنظل متحمسين ونواصل اللعب الهجومي، وسنسعى للحفاظ على وتيرة أدائنا وسنظل نتّسم بالاعتدال لأن هذا يمنحنا القوة".

وسيحصل اللاعبون على فترة راحة قبل أن يعود الفريق في الرابع من يناير القادم إلى معسكر التدريب في ماربيا بإسبانيا، استعدادا لاستئناف مشوار الدوري بمواجهة لايبزيغ في 19 يناير 2019.

تطلع نحو اللقب التاسع

الشرس والأستاذ

مراد البرهومي
كاتب وصحافي تونسي

❑ لا أحد بقي في الصورة، كلهم رحلوا وغادروا المكان، لم تكتمل بعد ملامح الصورة النهائية، غير أن أبطال ذلك الفيلم المشوق "الطيب والشرس والقبيح" لم يعد لهم أي وجود، في الفيلم طبعا، فقط هي مجرد آثار ربما قد يحفظها التاريخ كي تؤرخ لحقبة من الزمن.. زمن البحث عن الكنوز وكذلك المجد الشخصي.

غادر القبيح سريعا، وانتفت كليا تحركاته، ثم قاوم الطيب طويلا، لكنه استسلم في نهاية المطاف وأودع حقائبه وحقائقه لمن يحفظ السر، أما ذلك الشرس، فقد راوغ "الموت" وعاد سليما معافى، عاد إلى الصورة، أراد تقليب دفاتر الماضي المجيد لكن في مكان جديد، حاول النبش في سجلات النجاحات القديمة، لكنه فشل مجددا فكان "موته" هذه المرة أكثر إيلاما، ليكتب بذلك نهاية فصل جديد من هذا الفيلم الذي لا يوّد أن ينتهي.

كل ما سبق من الحديث هو مجرد اقتباس لأحداث فليم قديم، ومحاولة لإلباس شخوص وشخصيات رمزية رداء واقع كروي ميّز في بعض جوانبه منافسات الدوري الإنكليزي الممتاز.

فيما مضى، سبق وأن كتبنا عن ذلك الصراع والتنافس المحتدم بين المدربين في هذا الدوري، منذ ثلاث سنوات بالضبط استعرضنا بعض فصول السباق المستعر بين مدربي عدد من أندية الدوري الممتاز، كان الوضع في تلك الحقبة مشابها كثيرا لما حصل في ذلك الفيلم العالمي.

كان الصراع قويا للحصول على لقب الدوري بين المدربين؛ أرسين فينغر ولويس فان غال وكذلك خوزيه مورينيو، كان صراعا مماثلا لما حصل في الفيلم.

في تلك الفترة سقط فان غال الذي يشبه كثيرا في بعض تفاصيله شخصية "القبيح"، لقد عرف المصير ذاته الذي عاشه مورينيو عندما تمت إقالته من تشيلسي، قبل أن يأتي الدور بعد ذلك على فينغر الذي تقمص دور "الطيب" ليرمي المنديل بدوره ويضحي بالسنوات الطويلة التي قضاها مع أرسنال، لكن مورينيو بطبعه الحاد و"غطرسته" وعناده القوي ورفضه الانصياع لأوامر المخرجين عاد "حيا" محاولا قدر المستطاع إطالة الفيلم.

لقد تم تكليفه بتدريب مانشستر يونايتد، إذ انتهز فرصة سقوط "القبيح" فان غال في تلك الفترة وواصل رحلة البحث عن الكنز.

بدأ مورينيو الرحلة، حاول تلميع صورة المكان، سعى بكل خبرته ودهائه و"مكره" أن يصل إلى مكان الكنز، لكن "الموت" ترصده، لقد صبر وصابر وكافح وحاول أن يتلوّن ويغيّر مزاجه المتقلب، لكن مورينيو "الشرس" استسلم فلم ينج من مصيره المحتوم.

> أحداث الفيلم تقول إن «الشرس» مات برصاصة أطلقها صوبه «الطيب»، لكن مورينيو لم يعرف المصير ذاته، بل هو من جنى على نفسه

تقول أحداث الفيلم إن "الشرس" مات برصاصة أطلقها صوبه "الطيب"، لكن مورينيو لم يعرف المصير ذاته، لم يجهز عليه فينغر ذلك المدرب "الطيب"، بل هو من جنى على نفسه، لقد ناصب العداء لكل من حوله.

لقد خيّل له أنه تخلى عن طباعه الحادة التي قد تقضي عليه يوما ما، لكنه واصل تعنته وعناده ولم يقدر على قيادة الفريق نحو الطريق الآمنة المؤدية إلى الكنز.

كانت نتائج مانشستر يونايتد متوسطة ودون الآمال، فشل في المحاولة الأولى وفشل في الثانية، والمحصلة أنه لم يقدر على المنافسة على اللقب المحلي في موسمين متتاليين. استطاع أن يحافظ على مركزه للموسم الثالث على التوالي، فبدأه مترنحا متثاقلا، يبدو أن هذا "الشرس" بات عجوزا عديم الفائدة، لم ينجح الفريق في أن يكون ضمن فرق الصدارة، لكن الأخطر من ذلك أنه ناصب العداء لجنوده، ليدفع الثمن غاليا ويغادر الفريق في منتصف الطريق.

اليوم تشير كل المعطيات إلى أن أغلب اللاعبين تمردوا على مدربهم عقب الخسارة الأخيرة في الدوري، لقد أرادوا التغيير، لقد نفد صبرهم تجاه هذا المدرب "الشرس"، حتى أن بول بوغبا نجم الفريق لم يخف فرحته العارمة بعد قرار الإقالة.

لكن أتدرون من ساهم في سقوط "الشرس" مرة ثانية؟ إنه بطل جديد وشخصية أثبتت جدارتها بأن تغيّر سيناريو الفيلم وتكون مؤثرة ومساهمة في تغيير الأحداث، هي شخصية ربما اتخذت دور الأستاذ المتحمّس بمرح غامر لتصحيح الأخطاء وكتابة فصول جديدة لهذا الفيلم، إنه مدرب ليفربول يوغن كلوب.

طيب، أتدرون كيف أثر "الأستاذ" كثيرا في مسيرة "الشرس"؟ لقد أصابه بثلاث طلقات في ثلاث مناسبات وتسبب في إقالته من تدريب ثلاثة فرق.

في المرة الأولى فاز كلوب على مورينيو عندما كان الأول يدرّب بوروسيا دورتموند والثاني يدرب ريال مدريد، فدفع الثمن غاليا بعد أن تمت إقالته، أما في المرة الثانية فقد هزمه كلوب عندما تولى تدريب ليفربول ليتسبب في إقالته من تدريب تشيلسي.

أما الثالثة والأخيرة فكانت منذ أيام، في مواجهة حسمها ليفربول بثلاثية على حساب مانشستر يونايتد، فكان السقوط هذه المرة مروّعا ومدوّيا.

لقد قرر "الأستاذ" من حيث لا يدري أن يغير كليا في بعض فصول هذا الفيلم، لقد تحكم مرارا وتكرارا في مصير "الشرس"، لقد ترصده في كل مكان، كان أكثر قسوة من "الطيب" في الفيلم الأصلي، كان أشد تأثيرا من "القبيح".

ربما حق له أن يصبح شخصية محورية، لكن حذار فالكل بالمرصاد في فيلم قد يتزعمه فيلسوف السيتي أو حكيم تشيلسي أو مغامر توتنهام.

ريال مدريد بطلا للعالم للمرة الرابعة

❑ **أبوظبي** – تمكن نادي ريال مدريد الإسباني، من إحراز لقب كأس العالم للأندية للمرة الثالثة تواليا، والرابعة بنسخته الجديدة، عندما فاز السبت على نادي العين الإماراتي أربعة أهداف لهدف، في حين تحصل "الزعيم" على المرتبة الثانية، في إنجاز تاريخي لناد إماراتي.

والعين هو أول فريق إماراتي يتأهل إلى النهائي، وثاني فريق عربي بعد الرجاء البيضاوي المغربي الذي كان خسر أمام بايرن ميونيخ الألماني (صفر2–) في نهائي نسخة 2013 في مراكش.

وسجل للريال النجم الكرواتي لوكا مودريتش في الدقيقة 14 بتسديدة متقنة من خارج منطقة الجزاء، وقبل الهدف بدقيقة كاد اللاعب المصري حسين الشحات أن يحقق هدا السبق لـ"العين" بعد أن تلاعب بدفاع ريال مدريد وكورتوا وسدد، لكن راموس أنقذ الكرة من على خط المرمى.

وفي الدقيقة 15 ألغى الحكم هدفا للعين أحرزه كايو بداعي التسلل، وتألق حارس "الزعيم" خالد عيسى في أكثر من مناسبة سواء أمام بيل أو مودريتش لينتهي الشوط الأول بتقدم الملكي على الزعيم العيناوي بهدف دون مقابل. ومع بداية الشوط الثاني واصل الريال هجماته عن طريق كريم بن زيمة في أكثر من مناسبة إلى أن تمكن ماركوس يورينتي من إضافة الهدف الثاني بتصويبة قوية من خارج منطقة الجزاء.

وجاء الهدف الثالث للملكي في الدقيقة 79 عن طريق راموس بضربة رأسية إثر ركلة ركنية، وقبل نهاية المقابلة بأربع دقائق تمكن العين من إحراز هدفه الوحيد، وفي الوقت بدل الضائع أضاف الريال الهدف الرابع.

وانتزع فريق ريفر بليت المركز الثالث بالبطولة، عقب فوزه على كاشيما انتلرز الياباني (–4 صفر) السبت أيضا في مباراة تحديد المركز الثالث، فيما احتل الفريق الياباني المركز الرابع.

وتقدم ريفر بليت بهدف سجله برونو زوكوليني في الدقيقة 24، وأضاف جونزالو مارتينيز الهدف الثاني في الدقيقة 73، ثم أضاف رافاييل سانتوس الهدف الثالث لريفر بليت في الدقيقة 88 من ركلة، جزاء قبل أن يسجل جونزالو مارتينيز الهدف الثاني له والرابع لريفر بليت في الدقيقة الثالثة من الوقت بدل الضائع للمباراة.

إنجاز تاريخي للعين

الشباب يفضلون الأثاث العتيق على العصري

كشفت دراسة بريطانية عن وجود إقبال متزايد من المستهلكين الشبان على الأثاث العتيق بدلا عن الأثاث العصري لعدة أسباب من بينها تنامي العقلية البيئية والبحث عن الجودة والقطع الفريدة إلى جانب الثمن غير المرتفع.

❏ **لندن** – عندما يسأل أحدهم إن كان يحبّذ اقتناء أثاث عصري أو عتيق، يفضل جيل الألفية الإجابة الثانية. فالمشتريات العتيقة ذات جودة أفضل، فريدة من نوعها ولا تصنع بالجملة، وصديقة للبيئة فهي لا تخلف أي أثر للكربون. وتجعل هذه الميزات الخيار واضحا.

ويقول بونتوس سيلفرستولب، الشريك المؤسس لمحرّك البحث العالمي العملاق للمزادات إنجين بارنوبيس الذي يضم حوالي ألفي عميل على موقعه على الإنترنت ومليون قطعة معروضة للبيع كل يوم، "يختار الجيل الجديد الأثاث العتيق لبيوتهم، بشكل متزايد. وقد ارتفعت مبيعات التحف والأثاث العتيق بنسبة 32 بالمئة. وتدفع العقلية البيئية الشائعة المشترين إلى الاستثمار في الجودة والتحف الفريدة من نوعها مع توفير المال في نفس الوقت".

ووفق الموضع البريطاني فإن جيل الألفية يقود التغييرات في سلوك المستهلك، الذي أصبح مهتما بشراء العناصر المملوكة سابقا والتي يمكن تجديدها. وأصبح المستهلك قادرا على تقدير البصمة الكربونية. ومن الواضح بروز اهتمام متزايد من الجيل الأصغر من المشترين، الذين يريدون أثاثا فريدا وعالي الجودة، لا يتلف بسهولة مع مرور الوقت. ولا يستطيع عالمنا أن يستمر في طريقة استهلاكه الحالية. وتختار فئة كبيرة من جيل الشباب شراء أثاث مستعمل، وهو أمر غالبا ما يكون أرخص من أثاث "إيكيا" العصري المشهور.

واندلع جدال حول إنتاج عدد قليل من التحف العتيقة لهواة تجميع القطع الفريدة، مما أدى إلى ارتفاع قيمتها.

ويذكر على سبيل المثال طاولة طعام، "نشتري هذه الطاولة مقابل 350 جنيها إسترلينيا. وفي المقابل نشتري طاولة فيكتورية جميلة، أكثر ليونة في تصميمها، مقابل 250 جنيها إسترلينيا، وطاولة أخرى مقابل 145 جنيها إسترلينيا فقط. وتفسر هذه المقارنة ميل الشباب إلى اختيار القطع العتيقة".

وإذا قام أحد بتكرار ذلك مع الأسرّة والخزائن والكراسي، فسيتحصل على منزل أكثر سحرا واستثنائية من المنزل الذي يبدو وكأنه يخرج من مصنع إنتاج ضخم. يحتوي الأثاث القديم أيضا على المظهر المحبب للعائلة، الذي يضيف لمسة تدل على "عيش" ساحر. وهذا المظهر مشهور جدا لدى مصممي الديكور الداخلي.

وقال بيندكت وينتر، المتخصص في الأثاث والأعمال الفنية في دار كريستي للمزادات، "لقد شهدنا بالتأكيد اتجاها متناميا لدى الشباب المهتمين بمبيعاتنا في (كريستي)".

وأضاف في تصريحات لصحيفة "ذا تليجراف"، "من المؤكد أنه يساعد الناس على الاهتمام بالأثاث الأخضر، وهذا يقترن بالتاريخ والحرفية اللذين يجذبان حقا الناس في القرن الحادي والعشرين". ويظل مصطلح "العتيق" نسبيا، إذ نجد تحفا عتيقة باهظة الثمن، وأخرى عصرية ذات جودة عالية، ومصممة بشكل منفرد يؤثر على البيئة المنزلية المريحة والساحرة. ولا تدفع هذه القطع المستهلك إلى أن يناضل من أجل تجميعها في المنزل، إذ تصنع في إطار تشكيلة مكتملة.

ذوق رفيع وجودة عالية

دبي تطلق أول مستشفى يديره الروبوت في الشرق الأوسط

❏ **دبي** – تستعد دبي للبدء في تنفيذ أول مستشفى في الخليج والشرق الأوسط يدار بالروبوت.

وأعلنت إدارة المستشفى أن هيئة الصحة في دبي سجلت المستشفى ومنحته الموافقات المبدئية للبدء في تنفيذه، تمهيدا للافتتاح بحلول العام المقبل.

وقال مسعود محمد بن مسعود رئيس مجلس إدارة المستشفى، في بيان السبت، إن المشروع يحمل اسم مستشفى "الروبوتيك الدولي دبي"، ومن المقرر أن يدار وفقا لتقنيات الذكاء الاصطناعي فائق الدقة، والروبوت في غرف العمليات.

ويضم المستشفى 100 سرير و12 عيادة متخصصة وأربع غرف عمليات، ومنها غرفة عمليات متطورة باستخدام الروبوت، وقسم للطوارئ وقسم للأشعة ومختبر وصيدلية ذكية.

وأوضح أن مستشفى "الروبوت الدولي دبي" سيوفر خدمة التشخيص وإجراء الجراحات المتطورة باستخدام الروبوت والأقمار الاصطناعية، وممارسة الطب عن بعد.

وذكر بن مسعود أن المستشفى الجديد سيقدم خدمات إجراء جراحات متعددة باستخدام الروبوت، منها جراحات الجهاز الهضمي، والرحم والأورام، والسمنة، والبروستات والكلية، والقلب والأوعية الدموية، والأعصاب.

وشرح أنه "سيتاح للكفاءات الطبية خارج الإمارات إجراء العملية الجراحية عن بعد (التيلي سيرجيري)، ما يضع الإمارات ضمن واحدة من الدول الأربع التي تملك هذه التقنية المتطورة".

وأضاف بن مسعود "يجري تجهيز المستشفى وفقا لأحدث الأنظمة الإلكترونية في مجالات الاتصال، وتزويده بقاعدة بيانات إلكترونية لحفظ المعلومات والملفات الخاصة بالمرضى، وتسجيل المتابعات الطبية للمريض إلكترونيا من الزيارة الأولى، وحتى استلام الدواء وربط هذه البيانات بنظام الصيدلية الذكية الإلكتروني".

ومن جانبه، قال الدكتور مهند محمد سليم الأنصاري، المدير التنفيذي والمدير الطبي للمستشفى، إنه تم اختيار إمارة دبي لتكون مقرا للفرع الرئيسي للمستشفى لما تتمتع به من بنية تحتية متطورة وتقنيات اتصالات عالية، تتيح استخدام تقنيات الروبوت والذكاء الاصطناعي.

وأضاف الأنصاري "يضم المستشفى كادرا من الأطباء والجراحين من المتخصصين في مجالات جراحات المنظار المتقدمة، وجراحات الروبوت".

أريانا غراندي تخسر صدارة الأغاني البريطانية

❏ **لندن** – فقدت النجمة الأميركية أريانا غراندي صدارة قائمة الأغاني البريطانية في عيد الميلاد أمام مدون بث أغنية عن تجربته كأب وعن أكلته المفضلة فطائر النقانق.

وسجل لادبيبي واسمه الحقيقي مارك هويل نسخته الخاصة من أغنية "وي بيلد ذيز سيتي"، التي غناها فريق ستارشيب عام 1985، مع زوجته وابنيه مغيّرا في إيقاعها لكي تنسجم مع وجبته البريطانية المفضلة.

وقال الرجل البالغ من العمر 31 عاما "أشكر كل من في بريطانيا الذين رفعوا فطيرة النقانق إلى القمة. لا أجد كلاما أعبر به عن امتناني". ويُتابع لادبيبي، الذي يبث تسجيلات فيديو عن تجربته كأب وفاز في يونيو الماضي بجائزة "أشهر أب في العام"، قرابة ثلاثة ملايين شخص على موقع التواصل الاجتماعي فيسبوك وأكثر من 470 ألفا على قناته الخاصة على موقع يوتيوب.

تشرق الشمس بينما يحتفل زوار دائرة ستونهنج الحجرية في أميسبوري، جنوب غرب بريطانيا بالانقلاب الشتوي السبت

سيدة أولى جديدة تطرق باب الكرملين

❏ **موسكو** – قال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين إنه من المحتمل أن يتزوج مرة أخرى، لكنه لم يفصح عن اسم العروس.

وكان بوتين (66 عاما)، الذي يحافظ بشدة على خصوصياته وخصوصيات أفراد أسرته، يرد على سؤال طرحه أحد المراسلين في مؤتمره الصحافي السنوي، والذي ركز في أغلب محاوره على العلاقات الدولية وحالة الاقتصاد.

وقال بوتين مبتسما "كشخص يحظى بالاحترام، يتعين علي القيام بذلك في مرحلة ما".

وكان بوتين متزوجا من ليودميلا بوتينا التي كانت تعمل مضيفة طيران منذ عام 1983 حتى طلاقهما الذي أُعلن عنه عام 2013.

وأعلن أن الطلاق تم بالاتفاق بين الطرفين بكل تحضر وتفاهم، إلا أن ما تخفيه الكواليس يبدو غامضا حتى الآن، في ظل تكتم الأطراف المعنية عن البوح به.

ولا تشارك ابنتاهما كاترينا وماريا، وهما في أوائل الثلاثينات من العمر، في الحياة السياسية وبقيتا خارج دائرة الضوء.

ومنذ أن طلّق ليودميلا، انتشرت شائعات حول حياة بوتين الشخصية. وذكرت صحيفة روسية أنه كان على علاقة مع ألينا كاباييفا، وهي لاعبة جمباز أولمبية سابقة، لكن بوتين رفض تأكيد هذا الأمر.

صباح العرب

عدلي صادق

بلا آثام

❏ قبل التحرّك في ظهيرة الجمعة الماضية إلى المسجد المتاح بعد ساعة سفر بالسيارة؛ حملت للمرة الأولى من حقيبة سفري مجموعة الأقراص التي ابتعتها من مدينة "أكتوبر" المصرية، في أحد مساءات "حارة السوريين". وتلك حارة استثنائية تُجسّد إرادة الحياة لدى شعب سوريا، يتصاعد صخبها ليلا، وتتلألأ أضواؤها بكل الألوان. ترتاد الأسر المقاهي الساهرة وتلتقي فيها وتطالع أحوال بلادها، وتتكثف أدخنة النراجيل، وتصطف عربات الباعة، تعرض كل شيء ذي ملجٍ سوري، بأسعار زهيدة. يزدحم المكان، وتتمدد المقاعد فتغطي الشارع وتتلاصق. ينشط الباعة المتجوّلون، ومن بين هؤلاء شبّانٌ يعرضون حلوى ومعجنات بيتية، صنعتها أمهاتهم لكسب الرزق!

من هناك ابتعت الأقراص العشرين، وكان ربعُها لشيوخ من مُقرئي ومرتّلي القرآن الكريم، الذين ذاع صيتهم خلال نصف القرن الماضي. وبالطبع كانت أقراص الأغاني والموسيقى، لعدد من ألمع مطربي ومطربات القرن الماضي، أي للذين عرفناهم قبل موجة الأغاني الجديدة التي لا نفهمها.

أحبُ الشتاء، وقد أحببته مرغما، لأنه قرين الدفء في الأماسي الباردة، ومُحفّز الحنين إلى مواقد الكبار، ثم إنني أتذكر قلبي ووطني على صوت المطر!

في رحلة الذهاب، اخترت شريط تلاوة -وليس تجويدا- للقارئ مصطفى إسماعيل، وسررت لأن القرص يبدأ بسورة "البقرة" الشاهدة على تكسّر أحد أحلامي الأولى في السجن، عندما عقدت العزم على حفظ كتاب الله، ولكنني لم أتوافر على التلاوة حتى الحفظ البات، غير أن كل آيات "البقرة"، في كل مرة أعود إليها أو أسمعها، تُعيدني بكثير من الحنين إلى تلك المحاولة الأولى. وهذا بحد ذاته يستحثُ جانبا من الذكرى!

في رحلة العودة، أدرت قرصا لأم كلثوم، تتصدره أغنية "إنت الحب" التي لم يتح لها أن تشتهر، على الرغم من شجن موضوعها، المكتوب بالشعر الغنائي العامي، وهذا طبيعي عندما يؤلف أحمد رامي بالعامية، وهو ذو الباع الطويل في الشعر الفصيح.

لا أكتم أنني في رحلة العودة من المسجد؛ تذكرت مأزق الذين التزموا أيديولوجيات اليأس والقطيعة مع الموسيقى ومع الشعر الذي يرسم تقسيمات العاطفة الإنسانية. فهؤلاء يجافون الذكرى والطبائع الرائقة، لكنهم يعشقون الخطابة التي وصفها الفلاسفة، بكونها الكفاءة العالية التي ترفع الكذب إلى مرتبة الطرب. لقد بات الذين ضللتهم الحزبية الغبية، يتحاشون أصوات الموسيقى، بخلاف ما كانت عليه أمزجة الفقهاء والمقرئين الأفذاذ في عهود الاستقرار والسلام الاجتماعي.

في سجن بئر السبع الصحراوي كان إمامنا في صلاة العشاء أحد أظرف زملائنا وأتقاهم، وهو نفسه الذي يتولى بعد الدعاء إحياء الحفل الغنائي دونما آثام.